

# حسن البنا

الذي لا يعرفه أحد

حلمى النمنم

مكتبة مهابوتى



# حسن البنا الذي لا يعرفه أحد

تأليف  
حلمي النمنم

الناشر  
مكتبة مدبولي  
2011

النممن ، حلمي.

حسن البنا .. الذي لا يعرفه أحد / تأليف : حلمي النممن .  
ط ١ . - القاهرة : مكتبة مديبولي ، ٢٠١١ م .

٢٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

تدمك : 6 - 907 - 208 - 977 - 978

١ - الإخوان المسلمون

٢ - الإسلام - تراجم

٣ - البنا ، حسن ، ١٩٠٦ م - ١٩٤٩ م

أ - العنوان .

ديوى ٢١٧.٦

رقم الإيداع : ٢٤٦٨٥ - ٢٠١١ م

### مكتبة مديبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت : ٢٠١١ - ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

الموقع الإلكتروني : [www.madboulybooks.com](http://www.madboulybooks.com)

البريد الإلكتروني : [Info@madboulybooks.com](mailto:Info@madboulybooks.com)

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١١٤١٠١٣٣٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر  
عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر  
بالضرورة عن وجهة نظر الناشر .

## المقدمة

من بين رموز الحركة الإسلامية المعاصرة بقيت مشاعري محابدة تجاه الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، فلا أنا تعاطفت معه وأحييته مثل الإمام محمد عبده وغيره، ولا أنا انتقدته أو هاجمته كما فعلت مع بعضهم، وفي نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات، حين كنت في مرحلة الطلب بالجامعة، كانت رسائل حسن البنا متوفرة، فقد كانت الجماعة الإسلامية منذ أن أتيح لأعضائها السيطرة على الاتحادات الطلابية، تنشر بميزانية الاتحاد أعمال البنا وسيد قطب وغيرهما بدلاً من أن توظف هذه الميزانية في الأنشطة والخدمات الطلابية، وحاولت أن أقرأ رسائل البنا، لكنها لم تستهوني، فلم أجد فيها حرارة أسلوب سيد قطب وصوته، ولا لمحت فيها جهد الباحث والعالم كما هي الحال في بعض أعمال الشيخ محمد الغزالي التي أتيح لي قراءتها في ذلك الوقت، كنت أشعر أنه متعجل في الكتابة، وتفتقد كلماته إلى الضبط المنهجي والعلمي، واستشهاداته بالآيات القرآنية لا تنم عن فهم عميق للقرآن الكريم، وغالبًا تأتي استشاداته في غير مواضعها؛ لذا تركته وتركتم أعماله، ولم أشغل به... ثم فرضت على الظروف أن أقرأ أعماله كلها، متصف التسميعيات، حين كنت أعد كتابي عن سيد قطب وثورة يوليو... ولم يكن هو الهدف، كنت أحاول التعرف على العالم الذي ألقى سيد قطب نفسه فيه، نهاية الأربعينيات، خاصة أن سيد قطب له مقالاً مطولاً عن حسن البنا، حمل عنوان «حسن البنا وعبقريته البناء».

وكنْتُ ألاحظ حب الإخوان الذي يصل حد التقديس لمرشدهم حسن البنا، ومن يراجع سجل الإنتاج العلمي وأعمال الإخوان لن يجد أنهم أصدروا كتاباً يمكن الوقوف أمامه عن حياة وسيرة النبي محمد ﷺ، ولا كتاباً ذا قيمة عن أبي بكر الصديق، أول الراشدين والذي لولاه لتبدد الإسلام بعد وفاة النبي، وهكذا الحال



بالنسبة إلى شخصيات عظيمة ومؤثرة في تاريخ الإسلام كله، بينما أصدروا العديد من الكتب والدراسات عن حياة البنا وسيرته، ومنحوه صفات مذهلة يصعب أن تجتمع في إنسان، وكانت بعض الآراء فيه والتصورات عنه تحمل قدرًا من الشطط.. فهناك كتاب صدر للأطفال الصغار عنوانه «حسن البنا.. منشئ الدعوة الإسلامية» ولو صح هذا، وهو غير صحيح، فإذا عن النبي محمد وماذا عن صحابته رضوان الله عليهم؟ ومع هذا كنت أفهم ذلك على أنه جزء من ظاهرة عامة، لدى الكثيرين في مختلف التيارات الفكرية والسياسية، حيث يركز كل منها عن شخص أو رمز، جعلوه قبيلتهم، وعادة ما ينتمى ذلك الشخص الرمز إلى مرحلة مضت، الوفاةيون تسمر وعيهم عند سعد زغلول وسنوات العشرينيات من القرن العشرين، الناصريون أو بعضهم فعلوا الشيء نفسه مع جمال عبد الناصر، وهكذا..

وفي كل مؤتمرات جماعة الإخوان المسلمين وندواتهم ومطبوعاتهم تجد صور حسن البنا وبعض كلمات له ولن تجد شيئًا من ذلك بالنسبة إلى من تلاه من مرشدي الجماعة، وللوهلة الأولى يبدو ذلك مستغفراً للمراقب من بعيد، لكن في أدبيات الجماعة، فإن شخصية حسن البنا أو الإمام الشهيد تكاد أن تكون مقدسة، والغريب في الأمر أنه لم يكن كذلك في حياته، فقد اختلف معه بعض الإخوان وانشق عنه بعضهم، وهاجمه عدد منهم، وصل الأمر أن أحمد السكري، الذي كان الرجل الثاني في الجماعة وشريك حسن البنا في تأسيسها ورفيق عمر البنا اتهمه بالكذب وبأشياء أخرى، وطعن بعضهم في ذمته المالية، واتهمه كل من انشق عن الجماعة بالسلط والديكتاتورية، وأنه يتحدث عن الشورى لكنه لا يعملها بالمرّة، أما بعد عودة الإخوان إلى النشاط في السبعينيات فقد اجتهدوا في تقديم مرشدتهم الأول، في صورة الإنسان المثالي، لن تسمع منهم أنه وقع في هفوة أو ارتكب خطأ ولو صغيراً.. وهو أمر يصعب أن نجده في تناول سيرة أى إنسان مهما كان، فلا يوجد إنسان مضت حياته بلا خطأ ارتكبه، حتى لو كان خطأ صغيراً.. والحديث النبوى يقول: كل بنى

آدم خطأ، حتى في تناولنا لسير الأنبياء يصعب أن نجردهم عما هو إنساني، ففي القرآن الكريم تجد عتاباً من الله سبحانه وتعالى للنبي محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين.. مثلاً قوله تعالى عن النبي ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكَّى﴾ [عبس: ١-٣]. وهناك تحذير في القرآن الكريم لسيدنا موسى من أن يصبح جباراً، وهكذا، لكن حسن البناء عند تابعيه غير ذلك. إنه الإنسان الكامل وأكاد أقول الأكمل. ومع ذلك لم يشغلني هذا كثيراً، هم وشأنهم.. ذلك لمرشدهم وهم أتباعه..

لكن في نهاية عام ٢٠٠٨م كان لا بد من التركيز على حياة وشخصية حسن البناء، ففي ديسمبر من نفس السنة مر ستون عاماً على اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي، وكان النقراشي في جيله واحداً من رموز الوطنية المصرية، شارك في ثورة ١٩١٩م وأصدر الإنجليز بحقه حكماً بالإعدام، ثم انشق عن الوفد مؤسساً الحرب السعدى، بعد أن رأى أن هو وصديقه د. أحمد ماهر أن وفد النحاس باشا يمتد عن مبادئ الوفد الأولى، خاصة في القضية الوطنية، وقد قام الإخوان باغتياله في ديسمبر ١٩٤٨م إثر إصداره قراراً بحل الجماعة، وكان مرور ستين عاماً على اغتياله مدعاة إلى الحديث عنه، وإذا بعدد من كتاب جماعة الإخوان يكتبون أن النقراشي كان ذا ميول صهيونية، وهذا يعني أنه ليس هناك من جانبهم أسف حقيقى على اغتياله، بل إنه طبقاً لذلك التوصيف يستحق الاغتيال، وكان ذلك مستفزاً بالفعل، كنت أتصور أن تكون المناسبة فرصة لنقد ذاتى تقوم به الجماعة لنفسها ولسلوكها في مرحلة معينة، لكن إذا هم يصرّون على موقفهم، فلا قاموا بمراجعة ولا نقد ذاتى، بل تكريم - ضمنى - لبدأ العنف وتصفية الخصوم جسدياً، ثم تصفيتهم معنوياً، فالنقراشي كان وطنياً، وتكوينه أو تجريده من وطنيته وتكفيره أو تجريده من عقيدته، أخطر كثيراً من اغتياله بالرصا، وهكذا وجدتني أخوض في شؤون الجماعة وتاريخها، خاصة تاريخ التنظيم الخاص الذى قام بعملية التصفية، وما ترتب عليها

من تصفية حسن البنا نفسه، باختصار دم بدم ... ورأس برأس أو رجل أمام رجل، كما هي قاعدة النار في الصعيد والريف المصري، حتى يومنا هذا.

وجاءت العاصفة في صيف ٢٠١٠م، حين أعلن أن السيناريست التميز والكاتب النابه وحيد حامد يعد مسلسلاً تليفزيونياً يعرض خلال شهر رمضان المبارك عن «الجماعة»، يتناول فيه نشأة الجماعة والتركيـز على دور وشخصية حسن البنا، ولم يكن تسرب شيء عن مضمون العمل وتفصيلاته، لكن هبت عاصفة جماعة الإخوان المسلمين على وحيد تفشش في ضميره وفي نياته، وهاج وماج عدد من قيادات الجماعة يعترضون على تناول سيرة البنا في مسلسل.

نعرف أن الأزهر الشريف يحول دون ظهور النبي محمد ﷺ أو أى من الأنبياء على الشاشة، فضلاً عن كبار الصحابة، ترى هل صار حسن البنا في مقام الأنبياء والرسـل والشخصيات التى لا يجوز ظهورها على الشاشة؟! وتبين أن الأمر ليس كذلك، هم يريدون كاتباً موالياً تاماً وتاباً لهم، يصنع أسطورة على الشاشة ولا يقدم إنساناً عادياً..

كان بداخلي قلق من نوع آخر، ذلك أن معظم كتاب الدراما عندنا حين يقدمون سيرة ذاتية لأى من الشخصيات المؤثرة على الشاشة يقعون في نمطية غريبة، يحاولون تحسين القبيح، وإخفاء الكثير من العيوب وإظهار الشخصية في أكمل صورة، وبذلك تخرج الشخصيات مصمتة غالباً، بلا نقاط ضعف وبلا أى خطأ، ونموذج ذلك مسلسل أم كلثوم ومسلسل عبد الحليم حافظ وغيرهما، وينتهى العمل إلى تكريس الصورة النمطية السائدة دون محاولة الوقوف على تفاصيلها، المهم انتظرت حتى بدأ عرض حلقات مسلسل الجماعة، ومن البداية كان أتباع الشيخ غاضبين، رغم أن وحيد في الحلقات الأولى خلق أسطورة اسمها الطفل حسن البنا، كان غضبهم فيما يبدو من أن «البنا» بالنسبة إليهم ملكية تامة لا يجوز لغيرهم الاقتراب

منها، وكنت أنا غاضباً، فقد جامل وحيد حسن البنا كثيراً، وأخذ برؤية البنا - نفسه - عن طفولته، وهي رؤية مليئة إعجاباً بالذات، وتواصلت الحلقات، وفيها بعد قال وحيد ل لقاء تليفزيوني مع عمرو الليثي أنه أغمض عينيه عن أشياء كثيرة، وأنا أصدقه تماماً، لكن لماذا فعل ذلك؟ هل الحملة التي شنت عليه في البداية جعلته هو يتهم نفسه بعدم الإنصاف فأثر أن يغمض عينيه عن كثير من الوقائع السلبية في حياة حسن البنا؟ هل تخوف لو ذكر تلك الوقائع وخاض في تفاصيلها أن يتهم منهم؟ وهل وهل؟

وبينما كانت حلقات المسلسل تعرض كنت أنا أعاود بحث كتابات حسن البنا وأحداث حياته وحياة الناس الذين احتكوا به وتعاملوا معه، وتواصل البحث شهوراً بعد انتهاء المسلسل وكانت فصول هذا الكتاب.

هي إذن قراءة جديدة لحسن البنا ومحاولة للبحث عن الوجه الآخر له، ليس وجه الأسطورة التي صاغها الأتباع والدارسون من جانب، أو الخصوم والكارهين من جانب آخر، فكل منهم لديه أسطورة خاصة بحياة ومسيرة حسن البنا.. هو إنسان بقدرات خاصة ومكونات ثقافية محددة في لحظة زمانية من تاريخ مصر .. مجتمعا ودولة وتاريخا.. لحظة متازمة بالاستعمار الأوروبي والفقر والتأخر.

الغريب في الأمر أن حسن البنا في أيامه الأخيرة وحين ضاقت به السبل واكتشف خطأ الطريق الذي سار بالجماعة فيه وتمنى أن تعود به الأيام، يعد مائة أو مائتين من الشباب في الدين ويفقهون الناس ويتجنب طريق السياسة ...، بينما أتباعه يصرون على الطريق الذي اعترف البنا بخطأ السير فيه.

## الْقَصْدُ الْإِسْلَامِيُّ

### صعوبة الكتابة عن حسن البنا

- روايتان متناقضتان لواقعة واحدة في حياة المرشد المؤسس... هو من روى، فيأتيها نأخذ؟!  
يعاني كثيرًا من يحاول دراسة حياة وتطور مرشد جماعة الإخوان المسلمين (المؤسس) حسن البنا، ذلك أن المصدر الوحيد أمام الباحث، هو ما كتبه البنا نفسه عن نفسه، خاصة في المراحل الأولى من حياته، فبعد أن أسس جماعته واشتبك في العمل العام باتت هناك أطراف أخرى يمكن الاستعانة بها ومراجعتها للمعرفة، لكن قبل ذلك، حين كان حسن البنا طفلًا وشابًا مغمورًا يظل هو المصدر الأول، وأكاد أقول الأوحى عن نفسه، وقد دون هو ما أراد في كتابه الذي يحمل عنوان «مذكرات الدعوة والداعية».

والمعروف علميًا أن الكتابة من الذاكرة، تحمل المرء ونسبى وربما يتناسى أشياء، وتلعب حالته النفسية والعقلية دورًا في عملية الكتابة، وحين أخذ حسن البنا يكتب مذكرات الدعوة والداعية، كان هو المرشد العام للجماعة وكان يخاطب بها جمهور الجماعة، وكذلك الجمهور الذي يود استقطابه نحو الجماعة؛ لذا نراه يكتبها وكأنه وُلد ليكون مرشدًا عائلاً للجميع! وربما كانت ملاحظة شقيقه الأصغر جمال البنا مهمة هنا، إذ ذكر أن الدعوة تغلب على المذكرات وتزاحم الداعية، لتناكر أن طله حسين حين كتب «الأيام» لم يتردد في أن يقول لنا إنه وهو في الكُتَّاب كان «يرشو» العريف ليعفيه من قراءة أجزاء القرآن يوميًا، وأنه - هو نفسه - حين عهد إليه العريف القيام عنه بمهمته تلقى هو الآخر رشاوى من بعض الصبية، ولم يجد غضاضة في أن يكتب



أنه عندما فشل في قراءة بعض سور القرآن حفظاً أمام والده، ذهب وضرب نفسه بالساطور، ولم يتردد في القول إنه في طفولته كان يكره عمه الذي كان يهكم عليه بسبب فقدان بصره وإنه لم يكن يحب جده، فقد رآه تقبل الظل. لكن في مذكرات البنا تشعب بأنه الإنسان الكامل.. لم يكذب مرة واحدة.. لم يخطف مرة.. لم تصب عنه فتنة ولو صغيرة في حياته، لم يمر بلحظة ضعف واحدة، وهذا يلقي بمعب ضخم على الباحث الذي يتناول حياته.

وزاد الأمر صعوبة بعد النهاية المؤسفة لحياته، فقد أخضعت هذه النهاية حالة من القداسة عليه في نظر الذين عرفوه وتعاملوا معه.. حتى الذين اختلفوا بعد ذلك مع الجماعة وخرجوا عليها، راحوا يؤكدون إيمانهم بموهبة البنا، وأنهم خرجوا على الجماعة لأنها من بعده في ظل مرشدين آخرين خرجت عن خط المرشد العام المؤسس ولم تلزم بتوجهه وروحه.. لذا كتبوا عنه أنه الإمام الشهيد.. اللهم الموهوب.. الرجل الرياني.. الرجل النوراني.. وغير ذلك من صفات قد لا يُمنح بعضها إلا للأبياء وللرسلين، لقد وجدنا في السيرة النبوية أن المحيطين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يختلفون معه أحياناً فيما لم يرد فيه وحيي.. واعتزفوا بأن الرسول لم يكن معصوماً فيما هو خارج الوحي والتكليف الإلهي.. ونموذج ذلك ما جرى في غزوة أحد.. ونعرف أنه بعد إحدى الغزوات وقف الرسول يوزع الغنائم فقال له أحدهم: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، ونعرف كذلك من السيرة النبوية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بلحظات بأس شديدة (رعى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي) وشعر بالإجباط في بعض المواقف، لكن شيئاً من هذا لن نجده في سيرة حسن البنا، هو في نظر نفسه وفي نظر جماعته «الإنسان الكامل» وقد يزيد عن ذلك عند بعضهم.

هذا كله يزيد عبء الباحث، خاصة أن الجماعة لا تتسامح مع أى انتقاد للمرشد المؤسس وتمارس ضغطاً معنوياً رهيباً على من يحاول الاقتراب أو الكتابة عن

بغير انتهاز؛ لذا لم نجد تعاملاً علمياً حقاً مع حياة البنا إلى اليوم، إلا في حالات نادرة، مثلاً هو يذكر أنه لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن الرابعة عشرة بمدينة المحمودية، وهي سن متأخرة ليم الطفل حفظ القرآن الكريم فيها، ففى ذلك الوقت كانت السن النموذجية لحفظ القرآن هي التاسعة من العمر، إن كان الطفل متميزاً، وبعد ذلك بعامين للطفل العادي، أما ما دون ذلك فيعنى أن الطفل ليس مهتماً بالحفظ أو ليس ناهياً، وبمعنى آخر قد يكون «العيباء» أى يفضل اللعب عن المداومة على الحفظ، وربما كان «بليداً» بالفعل، وهى درجة من درجات الكسل العقلي... ترى ماذا كان عليه الطفل حسن، وما الذى أخره هكذا فى حفظ القرآن الكريم، حتى أنه حفظ ثلاثة أرباع القرآن فقط فى تلك السن؟ ألا يتفق ذلك عنه ما ذكره هو من اهتمامه البالغ بنشر التدين منذ الطفولة وتشكيل جمعية لإجبار الناس على ذلك؟! تعرف أن حسن البنا الذى ولد سنة ١٩٠٦م، كان الابن «البكري» لوالديه، ومثل هذا الابن يكون - غالباً - مدلاً فى طفولته، هو مناط بهجة الوالدين والأهل جميعاً، فهل كان حسن مدلاً فى طفولته، وهذا ما جعله يتأخر فى حفظ القرآن الكريم، عن مناظرته من أبناء جيله. طه حسين، الذى ولد فى نوفمبر ١٨٨٩م وفى سنة ١٩٠٠م كان قد أتم حفظ القرآن الكريم، رغم أنه كان ضريباً، وكانت ظروفه بالكتاب تسمه للغاية.. فما بالنابن لم يكن كذلك؟! عموماً هو يحدثنا عن تلك التجربة بأنه كان فى «كتاب» الشيخ محمد زهران أو ما يسميه هو «مدرسة الرشاد»، وأنه قضى بها أربع سنوات من الثامنة وحتى الثانية عشرة، ثم ترك الشيخ المدرسة واشغل بأمور أخرى، لكنه عهد بها إلى غيره من «المرفاء»، فلم ينسجم معهم؛ ولذا قرر أن يترك هذه المدرسة، رغم أنه كان قد وصل فى الحفظ إلى سورة الإسراء فقط، أى نصف القرآن الكريم تقريباً، مما أثار حزن والده، لكنه تعهد له أن يتم الحفظ مع نفسه وفى المنزل!! والواقع أن أربع سنوات كانت كافية جداً للطفل لكى يتعلم حروف الهجاء نطقاً وكتابة ثم ينطلق إلى كتاب الله حفظاً، وتكون القدرة على الحفظ



كبيرة في السن الصغيرة، نشعر في رواية حسن البنا بأن هناك شيئاً غامضاً أو غير واضح، هو يوجز بشدة ولا يقول كل شيء.. فحتى التحاقه بمدرسة المعلمين بدمهور لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم، رغم أنه كان قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره بنصف عام.

يذكر البنا أنه ترك الكتاب والتحقيق بالمدرسة الإعدادية، كان ذلك وعمره ١٢ عاماً، أي نحو سنة ١٩١٨م، ونعرف من تاريخ التعليم أن نظام الإعدادية أدخل في التعليم بعد ثورة ١٩٥٢م، على عهد الوزير كمال الدين حسين، أما قبلها فكانت هناك المدارس الإلزامية والابتدائية ثم الثانوية وبعدها التوجيهية، صحيح أنه يستدرك ويقول: «والمدرسة الإعدادية - حينذاك - على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الأجنبية وإضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحه البساتين، مع التوسع نوعاً في دراسة علوم اللغة الوطنية والدين»، ويكرر بعد ذلك أن «الغلام» كان طالباً بالمدرسة الإعدادية، هو هنا يتحدث عن نفسه، ونلاحظ أن مواصفات المدرسة التي يتحدث عنها تنطبق على المدرسة الإلزامية، فلماذا ذكر الإعدادية، ولم يذكر الإلزامية؟ كان المعروف أن المدارس الإلزامية للتلاميذ الفقراء، وكانت - على الأغلب - بلا مصاريف، أما المدارس الابتدائية التي كان يتعلم بها الطفل اللغة الإنجليزية والحساب فكانت بالمصاريف، وكان معروفاً أن المدرسة الإلزامية تقدم تعليمًا محدودًا، يتيح لمن يتخرج فيها أن يعمل موظفًا بسيطاً أو عاملاً، ومن الناحية الاجتماعية كان التعليم بحق في الأزهر أو في المدارس الابتدائية، وهو كانت لديه عقبة في الذهاب إلى الأزهر، وهي أنه لم يتم حفظ القرآن الكريم، أما الابتدائية فحتاج مصاريف، ونعرف أن والده كان فقيراً وكان كثير الإنجاب، أما هل وجد المرشد العام وهو يكتب سنة ١٩٤٣م عن نفسه أنه لو ذكر حقيقة المدرسة الإلزامية فإن ذلك يحط من قدره ومن قيمته؟ وهل أراد أن يتهرب من تلك الحقيقة، فاخترع مقولة المدرسة الإعدادية؟! الطريف أنه فيها بعد وهو في «دار العلوم»

يتحدث عن أخيه عبدالرحمن الذي أنهى الدراسة بالمدسة الابتدائية، وكان عليه أن يتسقل إلى القاهرة ليدرس الثانوية، دون ذكر لحكاية الإعدادية.

ومن الوقائع التي ترد في مذكرات الدعوة والداعية، ما يتعلق بالبعثة إلى الخارج فيقول «وقد وجدت عند بعض الإخوان الكرام فكرة التقدم بطلب الترشيح للبعثة إلى الخارج باعتبار أن ذلك من حق الأول في الدبلوم داتها». ويذكر أنه كان متردداً، لكن حسم الأمر بطريقة أخرى تلتخص في أن «دار العلوم لم ترشح لهذا العام أحداً».

لكن نجد رواية مغايرة لدى د. إبراهيم بيومي مذكور في مذكراته «مع الأيام».. ومنها نستنتج أن حسن البناء لم يكن أول دفعته في الدبلوم كما يذكر، بل كان د. مذكور متقدماً عليه، يقولها د. مذكور بأسلوب بالغ التهذيب «لقد عرفت في مدرسة دار العلوم زملاء جدداً ممن مروا بالتهجيزية، واشترك بعضهم معي في فرقة واحدة، ومنهم حسن البناء الذي كان يناقسنى في الدرس والتحصيل». أى أنه كان يناقسه، والمعنى أن مذكور كان هو المتفوق، ولا نعرف أن دار العلوم كانت ترسل الأول في الدبلوم إلى الخارج في بعثة، وفي العام التالي للتخرج رشح مذكور في «بعثة أميرية» إلى لندن، وحالت الظروف السياسية دون سفره، فقد كان والده وفدياً ولم تكن الحكومة وقتها وفدية، وضغط على والده كي يترك الوفد وإلا ألغيت بعثة ابنه، وألغيت بالفعل.. أى أنه طبقاً لما ورد في مذكرات د. مذكور التي صدرت سنة ١٩٩٠م لم يكن الشيخ حسن البناء هو الأول على الدبلوم ولم يكن مطروحاً سفره إلى بعثة تعليمية بالخارج.

هذا التباين في الروايتين، يجعلنا - على الأقل - نتعامل بحذر ونشكك علمي فيها جاء بمذكرات الدعوة والداعية..

وهناك واقعة أخرى ترد في مذكرات الدعوة والداعية، تفرض علينا - مجدداً - التعامل مع المذكرات بحذر علمي، فهي - كما ذكرت من قبل - مكتوبة لجمهور التابعين واليهوديين ومقصود بها تضخيم الذات.

الواقعة تتعلق بزيارة على بك الكيلاني - مراقب التعليم الابتدائي بالإسماعيلية - وتوجهه إلى المدرسة التي كان يعمل بها حسن البنا مدرّساً للخط العربي، طبقاً لما ورد في المذكرات فإن شكوى وصلت إلى إسماعيل صدقي (باشا) رئيس الوزراء من الإسماعيلية ضد حسن أفندي البنا، اتهمه بالشيوعية، وكان صدقي باشا جاثلاً في محاربة الشيوعية، فأحال الشكوى إلى وزير المعارف العمومية، ومن مسؤول إلى آخر بالوزارة، حتى انتهت إلى مراقب التعليم الابتدائي الذي كان عليه أن يحقق فيها بنفسه، فذهب إلى المدرسة وقابل البنا وقال له بالحرف الواحد: «جئت لأزورك زيارة شخصية فلا تعتبرها زيارة تفقيسية أو رسميات ولكن جئت لرؤيتك فقط، فذكرت له ذلك، وانتهزتها فرصة وقلت له: ذلك جميل يا سيدي ومن حقّي عليك إنعاماً للزيارة ورداً للجميل أن تزور بناء المسجد والمدرسة لترى بنفسك أثرًا من آثار هذه الدعوة والجماعة، فوعد بذلك آخر النهار... وتمت الزيارة في الليلة نفسها واستمع إلى خطباء الإخوان، وقال كما يروى البنا في المذكرات: «عجيب، هذه أعجب مدرسة رأيتها»، ولم يتمالك نفسه بعد نهاية الخطب أن قام فتناول وساقاً من أوسمة الإخوان، وكان شارة الإخوان إذذاك وساقاً من الجوخ الأخضر كتب عليه الإخوان المسلمون، فلبسه وأعلن انضمامه إلى الجماعة وحيا المجتمعين بكلمات طيبات».

ولدينا رواية أخرى لزيارة على بك الكيلاني، يرويها حسن البنا بنفسه، في رسالة بعث بها إلى والده، وقد نشر هذه الرسالة جمال البنا في كتابه «خطابات من البنا الشاب إلى أبيه»، والرسالة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ / مارس ١٩٣١م، تبدأ الرسالة هكذا:

«سيدى الوالد المحبوب..»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلعلكم جميعاً بخبر ما أحب لكم هناة وغططة.. عندى بشران أقولها لكم مشفوعين بحمد الله وشكره.. الأولى: إننا تسلمنا بقية المبلغ وهو ٣٠٠ جنيه من الشركة» والقصود هنا مبلغ التبرع من شركة قناة

السويس، ولا نعرف هل هو بقية مبلغ الخمسمائة جنيه التي كانت تبرعًا لبناء المسجد، أم أنها تبرع آخر، خاصة أن مبلغ الخمسمائة جنيه كان المرشد اعتبره «دفعة أولى» أو بداية لتبرعات أخرى تمنها، ما يعطينا في هذا السياق، البشري الثانية، لأنها تتعلق بزيارة على بك الكيلاني، يقول لوالده في الخطاب: «إن سعادة مراقب التعليم الابتدائي على بك الكيلاني زار الإسمايلية، وزار المدرسة وكان له بها حفل تكريم حضره الأعيان والموظفون، وكنت خطيب القوم، فسر الرجل سرورًا جدًا تضاعف بزيارته لي في الفصل، بما رأي من نظام ونشاط»، ويقول أيضًا: «ثم إنه زار في الليلة التالية المسجد ومدرسة التهذيب ومعه الأمور والمعاون ووكيل النيابة والناظر والمدرسون، فدهش لما رآه من نظام الجمعية والمسجد والمدرسة، ووقع في دفتر الزيارة ثم انتقل هو والمدرسون إلى بوفيه شاي وتناول الشاي في حفل عظيم، وخطب الإخوان خطبًا وقصائد في الترحيب به، فزاده كل ذلك قيام محييًا للجمعية والإخوان».

نحن - هنا - يزاء رواية مغايرة تمامًا، زيارة «البك» كما في الخطاب، لم تكن للتحقيق ولا للمساءلة ولا لإبداء الإعجاب بالمدرس، الزيارة كانت للإسمايلية وللمدرسة وكانت هناك حفلة لتكريمه معدة سلفًا، وزيارته للفصل كانت بعد أن استمع إلى خطبة ألقاها المدرس، أي أنها لم تكن واردة من قبل، ولا أنها زيارة للتحقيق وللمساءلة، ولو كانت للتحقيق لم يكن ليصعبه فيها الأعيان وكبار الموظفين.. ولو كانت زيارة للمساءلة لوقع أورانًا أو كتب نتيجة التحقيق أو اتخذ أي قرار أو ترك وصية للناظر، ولنقل تعليمات إليه، لكن كما هو واضح من الخطاب أنها زيارة تكريمية معدة سلفًا، للمراقب العام، وأن البك خطط من قبل لزيارة المدينة والمدرسة ولم تكن «زيارة مفاجئة»، ولم يرد في الخطاب أن البك بادر بالانضمام إلى الجماعة، ولا إنه تناول شارة الجماعة وارتداها تلقائيًا.. كما ذكر البنا في المذكرات.. ويعقب جمال البنا بعد نشر الخطاب بالقول: «وقد أصبح الأستاذ على الكيلاني بعد ذلك من الإخوان» وبالتالي أكد لو أن البك انضم إلى الجماعة وهو في الإسمايلية لأخبر

حسن البنا والده في خطابه، فلم يكن يخفى عنه شيئاً.. وكان يتفاخر في رسائله إليه بما يحققه وينجزه، والآن.. ونحن بإزاء روايتين لواقعة واحدة، بينهما تباين كبير واختلاف شديد، والراوى في الحالتين هو حسن البنا.. فأى الروائتين نأخذ وأيهما نستبعد؟ المعنى المهم هو أننا في تاريخنا ودراستنا لحياة ومسيرة حسن البنا، نقع أسرى أحادية المصدر - غالباً - وهذا المصدر هو حسن البنا نفسه.. ومن أسف أن بقية خطابات حسن البنا وأوراقه الخاصة في حوزة نجله إلى الآن، ولم يتح لأحد الاطلاع عليها ولا هو نشرها، هكذا قال جمال البنا في كتابه «خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه».

المذكرات تملئ إعجاباً بالذات، بل امتناً، والغريب أن الجميع أخذوا كل ما بها باعتباره حقيقة لا تقبل أى شك أو حتى مساءلة، مثلاً يحكى البنا حين ذهب إلى الإسماعيلية وأخذ يلقي الدروس بالمقاهى فيقول عن نفسه: «كان المدرس دقيقاً في أسلوبه الفريد الجديد، فهو يتحرى الموضوع الذى سيتحدث فيه جيداً (...) وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلاً جذاباً مشوقاً.. ألم يكن الأجدى أن يترك الآخرين أو لجمهوره والمستمعين إليه أو من يتابعونه أن يطلقوا عليه هذه الصفات؟! وفي سياق آخر، يتحدث عما قام به تجاه أهالى الإسماعيلية أو بعضهم، ولنتذكر أنهم مسلمون موحدون، يقول: «سلك بهم المدرس مسلكاً عملياً بحثاً، إنه لم يعتمد إلى العبارات بلقيها أو إلى الأحكام المجردة يرددها، ولكن أخذهم إلى الحنفيات تواتراً، وصفهم صفّاً ووقف فيهم موقف المرشد إلى الأعمال عملاً عملاً، حتى أتموا وضوءهم ثم دعا غيرهم، ثم غيرهم، وهكذا أصبح الجميع يتقنون الضوء عملاً».

ترى هل مطلوب منا أن نصدق ونقتنع بأن مواطنين مسلمين يعيشون في بلد مسلم بحاجة وهم في سن متأخرة إلى من يعلمهم الضوء أو إتقان الضوء؟!!



ويحاول أن يستخرج نفسه صفات أخرى، مثلاً حين كان يتهيأ لامتحان التقديم إلى دار العلوم، وكان قلقاً بشدة من امتحان النحو والصرف، فلم يكن درسه دراسة منتظمة، صحيح أنه حفظ ألفية ابن مالك، لكنه قلق، فهو لا يجيد قواعد النحو، ولنتأمل كيف تجاوز هذه العقبة. يقول في مذكراته، إنه ليلة الامتحان نام، ورأى رؤية خاصة حلت له المشكلة: «رأيت فيها يرى النائم أنني أركب زورقاً لطيفاً مع بعض العلماء الفضلاء والأجلاء يسير بنا الهوينى في نسيم ورياء على صفحة النيل الجميلة، فتقدم أحد هؤلاء الفضلاء، وكان في رزي علماء الصعيد، وقال لي: أين شرح الألفية لابن عقيل؟ فقلت: ها هو ذا، فقال لي: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات، هات صفحة كذا، وصفحة كذا، لصفحات عينها، وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت منشراً مسروراً، وفي الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات»، ثم ظهرت النتيجة ونجح! ترى أى معنى يصل إلى القارئ هنا، خاصة إذا كان تلميذاً أو دارساً؟! أليس في ذلك دعوة إلى إهمال العمل، أى المذاكرة، وأن رؤيا في المنام سوف تقوم عنه بكل شيء؟! ولن نذهب - هنا - إلى ما يقوله علماء التحليل النفسي عن مثل هذا النوع من الأحلام والرؤى.

في المذكرات نجد ما يمكن أن يعد خفة أو استسهالاً في استعمال الآيات القرآنية الكريمة.. من ذلك ما يرد حول شراء الأرض لبناء مسجد للجماعة بالإسكندرية، والذي حدث أنه وجد قطعة من الأرض وأعلنت الجماعة أنها سوف تشتريها أو تقبل التبرع، كانت القطعة ملك الحاج على عبد الكريم ويصفه بأنه «كان صالحاً يحب الخير»، لذا تبرع بقطعة الأرض وكتبوا معه عقداً ابتدائياً بالتنازل عنها، ولكن «أخذت عقارب الحسد والضغينة تدب في نفوس ذوى الأغراض» وما أن علموا بأن الشيخ على عبد الكريم تنازل عن قطعة الأرض حتى ضيقوا عليه الخناق وملؤوا نفسه بالوشايات والدماسيس... (...) فكانت ذنبة انتهت بأن سلمته ورقة التنازل عن طبيب خاطر...، ووجدوا قطعة أرض اشتروها ودفعوا ثمنها. نحن إذن يازءاء رجل

تبرع ثم قرر التراجع أو لعله طلب ثمنًا لها، وهذا وارد وربما كان متوقعًا، ويستعرض البيا ما قيل عنهم إبان تلك الأزمة: «راحوا يصورون الدعوة والداعية للناس بصورة شتى: فهم تارة يدعون إلى مذهب خامس وهم أحيانًا شباب طائش لا يحسن عدلًا ولا يؤمن على مشروع، وهم أحيانًا نفعيون مختلفون يأكلون أموال الناس بالباطل وهكذا..» ولو كان الأمر كذلك لما وجدوا من يبيعهم قطعة أرض أخرى ولوجدوا معارضة في بناء المسجد، المسألة ببساطة - كما هو واضح - أن التبرع لم يقتنع وسحب تبرعه، لكن المرشد العام لا يضعها في هذا السياق، فحين راح يرويها في مذكراته بدأ الحديث عنها هكذا «ولكن دعوة الحق في كل زمان ومكان لا بد أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف في طريقها، ويعمل على معاكستها وإحباطها، ولكن النصر لها في النهاية، سنة الله ﴿فَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّكُمُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَآلِهِمْ عَلَى حَكِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢].

هذه الاستشهادات القرآنية استشهد بها المرشد المؤسس في واقعة سحب التبرع تبرعه.. ومعنى هذا الاستشهاد أنه يضع نفسه في مصاف الأنبياء الذين نزل فيهم قول الله تعالى في الآيات السابقة.. وأن الذين يعترضون على دعوته وجماعته هم من المحرمين ومن الشياطين.. والواقع أن هذا استسهال بالغ، فلا هو في مكانة الأنبياء ولا خصوصه من الشياطين وليسوا مجرمين، والاستشهاد والقياس خاطئ تمامًا، لكن خطورة هذا الخطاب أنه انزلق منه إلى أتباعه وإلى غيرهم، فصارت آيات القرآن



الكرم تُستعمل في غير سياقاتها، ويضفى البعض على نفسه حالة من القداسة ويتم شيطنة المخالفين لهم ومن ثم تكفيرهم، وما يحدث بعد ذلك، في حق هؤلاء المخالفين، يكون مجرد نتيجة فقط.

هذه الصورة شبه المقدسة التي يرسمها المرشد لنفسه في مذكراته، تنفقد إلى التضاريس الإنسانية البسيطة من غضب وفرح... حب وكراهة... انفعال وفقر وغير ذلك، مما يصاب به البشر أجمعون، كبيرهم وصغيرهم، وهي صورة ليست حقيقية، الصورة الحقيقية نجد شيئاً منها في بعض الرسائل التي يبحث بها المرشد المؤسس إلى والده، فور وصوله الإسماعيلية، ونشرها جمال البناء، واحدة من هذه الرسائل كان يتحدث فيها عن مصاريفه الخاصة لمدة ثلاثة أشهر، وضع مفردات الإنفاق، ويبدو أن والده كان غاضباً منه والدة كذلك؛ لأنه كان من المفترض أن يرسل إليها مبلغاً من راتبه الشهري، ولم يتمكن من الوفاء بذلك، ويتوقع جمال البناء أن تكون الرسالة قد كُتبت في أواخر سنة ١٩٢٨م أو بداية سنة ١٩٢٩م، يفيدنا هنا منها بعض الجمل مثل «وعلى كل حال الذي يهمني راحتكم مهما كلفتني ذلك، وسأفصل لكم في هذا الخطاب حساب ثلاثة أشهر مضت هي نوفمبر وسبتمبر وأكتوبر، أي منذ فارقتكم لتعلموا أنه ليس في تصرفي شيء من الإسراف ولا الخفاء ولا الاستبداد برأيي، وإنما أنا مساق بقوة الظروف التي لا تُغلب، وإذا كانت ظروفي هكذا فما ذنبي أنا».

وكان بين مصاريفه مبلغ خمسين قرشاً كتب أمامها عبارة «المسجد الراشدين»، ويقول للوالد عنها: «وإن كان يؤلمكم الخمسون قرشاً التي دفعت في المسجد فقلدروا الظروف التي تورطت فيها لدفعها وقدموا أجراً»، والواضح أنه كان قد تبرع بها، ويقول له كذلك: «ذلك يا سيدى حساب ثلاثة أشهر أتقدم إليكم أدق من الشعرة، فإن كان لا يروقكم فما ذنبي أنا فلنسالوا الله أن يحور هذه الظروف».

في هذه الرسالة نحن أمام إنسان حي... من دم ولحم، لديه أزمة اقتصادية خانقة حتى إنه يقول: «واقترضت من مال الجمعية جنبها آخر وهي تمام المنصرف»، وسبب

هذه الأزمة يعلنه لوالده وهو يقدم له قائمة المصاريف: «لست أغشكم أو أكذب في هذا» ويقول في رسالة أخرى لوالده بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٨م: «أنا الآن لا أسهر في الخارج قطعياً، و فقط سأجعل ليلتين في الأسبوع أدرس فيها بعد العشاء في مسجدين»، والواضح أنه كان كثير السهر وأن والده لم يكن مستريحاً لذلك، أو لعله أتبه على طول السهر خارج البيت، لكن هذه الصورة الإنسانية جرى طمسها، والمرشد نفسه هو من طمسها في المذكرات، فقد قدم صورته الأسطورية أو الربانية التي يريدناها في مذكراته، وباتت هي الصورة الوحيدة والأحادية له.. لذا نعيد التساؤل من جديد: هل تصلح هذه المذكرات وحدها لتقديم صورة المرشد المؤسس حسن البنا؟ والإجابة القاطعة هي النفي.. لكن واقع الحال يقول إنه المصدر الوحيد الناح والمعتمد والمسلم به لذلك.

## البَقْصَةُ الثَّانِيَّةُ

### متى تأسست «جمعية» الإخوان؟

أول لائحة تستبعد السياسة نهائياً، وفي الثانية صارت السياسة الأصل

لا تقتف الصعوبة المنهجية والعلمية عند تناول حياة حسن البنا وحده، خاصة في مراحل الأولى، لكنها تمتد إلى قيام جماعة الإخوان وتأسيسها، هذه أيضاً مصدرنا الأساسي فيها هو حسن البنا نفسه، وما ذكره في مذكراته، ولن أعيد - هنا - روايته، فهي معروفة، لكن تحوط هذه الروايات العديد من الإشكاليات .. هل تم الأمر بالسهولة والبساطة التي نتحدث بها البنا، مجموعة من المسلمين ذهبوا إليه، يطرقون بابه، ويطلبون إليه أن يقودهم، فيطلب منهم هو البيعة فيقدمونها؟! هل ذهب حسن البنا إلى الإسماعيلية، وهو لم يختر المدينة، ولا كان يعرفها، وفي ذهنه مشروعه الخاص، أم أنه كان متأثراً بتجربته أو عضويته في جمعية الشبان المسلمين، وأراد أن يؤسس شيئاً على غرارها.. أم كان لديه متسع من الوقت في تلك المدينة الجميلة، وأراد أن يشغل فراغه، فقرر أن يقوم بها حاول وتغنى القيام به في القاهرة أو ما قام به - من قبل - في مدينته الأولى المحمودية وهو طفل وصبي؟!!

واحدة من المصاعب تتعلق كذلك بتاريخ تأسيس الجماعة، نحن اليوم، نعرف تاريخ تأسيس حزب الوفد، خطوة.. خطوة، يوماً بيوم، ليس حزب الوفد فقط، بل غيره من الأحزاب سواء منها في التجربة الأولى، زمن مصطفى كامل والشيخ علي يوسف، في مطلع القرن العشرين.. أو في التجربة الحزبية الثانية بعد ثورة ١٩١٩م،

ونعرف كذلك تواريخ تأسيس الأحزاب في التجربة الثالثة، التي بدأت في العام ١٩٧٦م ومازالنا نعيشها إلى اليوم.

نعرف كذلك تفاصيل تأسيس الجمعيات الأهلية الأخرى، سواء منها ما يختص بالعمل الخيري والإنساني أو العمل العلمي والثقافي، مثل الجمعية الجغرافية المصرية (سنة ١٨٧٥م) وجمعية الاقتصاد والتشريع (١٩١٠م)، وهكذا في بقية الجمعيات .. كما أننا نعرف بالتدقيق تاريخ وقصة تأسيس جمعية الشبان المسلمين، ومن وقف خلفها .. لكن في حالة الإخوان المسلمين، لا تتوافر لدينا مثل هذه التفصيلات والمعلومات الدقيقة، ومصدرنا الأساسي عنها هو حسن البنا، الذي باتت روايته المصدر الوحيد والمعتمد.

★★★

السائد بيننا أن حسن البنا أسس جماعته سنة ١٩٢٨م، أي بعد شهوور من تعيينه مدرّساً للخط العربي بإحدى المدارس بمدينة الإسمايلية، لكن الوثائق التي نشرها شقيقه جمال البنا، تجعلنا نشكك في ذلك التاريخ، فهناك دراسة أو مذكرة أعدها البنا وأحمد السكري وحامد عسكري سنة ١٣٤٨هجرية، بعنوان «مذكرة في التعليم الديني» وهذه السنة يقابلها عام ١٩٢٩ ميلادية، ونجد أن توحيات البنا وزميله ليس فيها أي شيء عن الجماعة، بل جاءت التوقيعات هكذا «حسن أحمد البنا.. مدرّس بمدرسة الإسمايلية الأميرية الابتدائية، أحمد محمد السكري سكرتير مدرسة الأمير عمر طوسون الابتدائية التابعة لمجلس مديرية البحيرة» حامد عبده عسكري واعظ منطقة القناة... أما ديباجة المذكرة فهي غاية في المسالة والتوادر للجميع في مصر، إذ تقول «لم نبدأ من تقديم هذه الكلمة الفصلية إلى جلالة ملكنا المفدى وإلى سمو أمرائنا المحبوبين وإلى معالي ووزرائنا المصلحين وإلى مجلس نوابنا وشيوخنا الموقرين الغيورين على مصلحة أمة ترى فيهم معقد آمالها ورمز أمانها.. وإلى رجال الأزهر الشريف ووزارة المعارف الذين يدهم ثقافة الشعب وتربية

الأمّة». الخطاب هنا موجه إلى كل مستويات الدولة المصرية، وخاطبوا كلاً منهم بما يحبه ويتمناه، فالوزراء مصلحون والأمراء محبوبون ورجال البرلمان موقرون وغيبورون على مصلحة الأمّة، وفوق هؤلاء جميعاً «مليكتنا القدي»<sup>(١)</sup> .. صاحب الجلالة الملك فؤاد الذى كان يراه كثير من المصريين، وقتها مستبداً وطاغية، هو كان كذلك بالفعل.

ترى هل كانت هذه المذكرة والتفكير حولها تمهيداً لما انتهى إليه هؤلاء من تأسيس الجماعة، وأن تلك المذكرة وفترتها كانت بداية اللقاء والتدارس في الأمر والشأن العام وهو ما انتهى بهم إلى تأسيس الجماعة؟ وبذلك لا يمكن أن نعتمد عام ١٩٢٨م ميلاداً لها، فلو كانت الجماعة تأسست بالفعل لحرص مؤسسها وزميلاه على أن يرفعوا المذكرة مذكرة باسم الجماعة، ففى ذلك إعلان عنها ورفع لاسمها أو على الأقل لذكروها بأى طريقة في المذكرة، أمام من يمكن أن تقع في يده هذه المذكرة من المسؤولين، فضلاً عن يمكنه أن يطالعها من الجمهور والمهتمين بهذه القضية. ولو كانت الجماعة أسست لحرص ثلاثتهم على أن يذكروا إن مذكرتهم تعبر عن الجماعة، أى ليست تعبر عنهم وحدهم، بل معهم فئة وجمهور آخر، وهذا يدعم منها ويقوى صوتهما وصوتهم... أم أن الجماعة كانت أسست - فعلياً - ولم تنل موافقة الجهات الرسمية عليها، ومن ثم فقد قدم البنا مذكرته أو أعلنها تظليماً للجهات الرسمية وإثباتاً بأنه ليس من ورأئهم أى هدف سياسى، فهم أناس مخلصون وغيبورون على دينهم ومحبون للمليك وللأمراء وللوزراء، وربما للخبراء أيضاً. خاصة أن مؤسسى الجماعة كانوا مواطنين عاديين، لم يكن من بينهم «بك» ولا شخصيات عامة، كما كان الحال بالنسبة إلى جمعية شبان المسلمين التى تأسست سنة ١٩٢٧م، لكن يضعف من هذا الاستنتاج أن الجمعيات الدينية والخيرية وقتها كانت تجد الموافقة الفورية، في تلك الفترة كان هناك حوالي ١٢٠ جمعية دينية.

(١) راجع: جمال البنا. من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة، الجزء الأول، ٢٠٠٩م.



أيما كان الأمر، ففي زمن الملك فؤاد كان هناك ترحيب بهذا اللون من الجمعيات لأسباب عامة تتعلق بالرغبة في مقاومة جمعيات التبشير الأجنبية التي انتشرت، وديماً حرصاً على نشر الفضائل، وكان هناك سبب يتعلق بالملك. فالملك فؤاد منذ إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م كان يحلم بأن تنتقل إليه الخلافة، وكان يحاول أن يبني مدافعاً عن الإسلام وعاملاً على إحياء تقاليده.

حسن البنا ظل يتحدث عن الجماعة باعتبار أنها تأسست سنة ١٩٢٨م، وتبعه في ذلك كتاب الجماعة ومعظم المؤرخين لها، لكن هناك وجهة نظر أخرى تقوم على أن الجماعة تأسست في العام التالي، أي سنة ١٩٢٩م، عام الأزمة الاقتصادية العالمية، وأصحاب هذا الرأي يؤسسون موقفهم على أن البنا لم يكن ممكناً أن يؤسس «جمعية» فور وصوله إلى الإسماعيلية، طارئاً عليها وغريباً، لكن إذا اتخذنا اللائحة الأولى، وهي وثيقة رسمية، معياراً للتأسيس فإن «جمعية الإخوان المسلمين» تأسست سنة ١٩٣٠م وليس قبل ذلك بعامين كما هو سائد، ولا قبلها بعام كما يذهب بعض الدارسين الغربيين خاصة؛ ولأن الجمعية كانت مغفورة ومؤسستها كذلك، فلن نجد أي خبر في الصحف عنها لحظة التأسيس، ولو أن هناك خبراً بهذا المعنى لحسم لنا تاريخ التأسيس. وهكذا طبقاً للائحة المتاحة فإن الجماعة رأت النور في العام ١٩٣٠م.

### ★★★

اللائحة الأولى تحدثت عن جمعية الإخوان وليس جماعة، لا ترد فيها نهائياً كلمة جماعة، لذلك ليس هناك حديث عن مرشد عام ومكتب إرشاد، لكن رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة، وتنص اللائحة بوضوح على ابتعادها التام عن السياسة، إذ تنص المادة الثانية على أن «هذه الجمعية لا تتعرض للشؤون السياسية، أيما كانت ولا للخلافات الدينية ولا صلة لها بفريق معين للإسلام والمسلمين في كل مكان وزمان».

هذه المادة من الناحية العملية تعد المادة الأولى، إذ أن الأولى في اللائحة هي ديباجة الجماعة، والمادة الثالثة تتحدث عن أغراض الجمعية وهي إصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الاجتماعية والخلقية.. «هذه كل الأغراض، ويتم تحديد وسائل تحقيق هذه الأغراض، ومنها مقاومة الأمية وتعليم القرآن، ثم «الدفاع عن الإسلام في حدود القانون» وهذا معناه الالتزام بالقوانين القائمة واحترامها.. ويتأكد البعد عن السياسة، في المادة ١٥ وهي ضمن الباب الرابع المتعلق بالجمعية العمومية، ويرد فيها «يفتح الرئيس الجلسة» لنلاحظ مرة ثانية، أن الحديث ليس عن مرشد ولا عن إمام بل عن رئيس، ثم تقول المادة «لا يجوز مقاطعة التكلم ولا التعرض للسياسة أو الشخصيات». أي أنه ليس وارداً في اجتماع الجمعية العمومية أن يتحدث أى عضو في السياسة أو أن يتعرض لأى شخصية سياسية، لكن ماذا لو فعل ذلك أحد الأعضاء؟ الحل في نفس المادة إذ تنص على أن «الرئيس أن ينذر أى عضو يخرج على آداب الجمعية وله أن يخرج».

أما خاتمة هذه اللائحة وهي المادة ٤٣ فتتص على أنه «لا يجوز بحال من الأحوال تعديل شيء من هذا القانون إلا بموافقة ثلاثة أرباع مجلس الإدارة المتعقد لذلك».. ولا يجوز بحال تغيير المواد الثانية والثالثة والسادسة.. أى أن الجمعية العمومية نفسها لا تملك تغيير ما يتعلق بالائتماد عن السياسة، وكأنها هوية الجمعية ولا وجود لها إلا بتجنب السياسة، ورغم هذا فقد أطيح بهذه المواد في أول تعديل لللائحة، ففي سنة ١٣٥٤ هجرية، أى بعد انقضاء حوالى ٥ سنوات، تم تعديل قانون الجمعية، ونجد أن المادة الثانية حذفت بالكامل، ونلاحظ كذلك اختفاء كلمة جمعية من النص ليحل محلها الجماعة، ويختفى بالتالى مسمى مجلس الإدارة ورئيس مجلس الإدارة، لكن يظهر لقب «المرشد العام» ثم يتم الحديث عن «البيعة» التى يقدمها العضو المنضم إلى الجماعة ويتلقاها المرشد العام أو من ينوب عنه، ويرد في اللائحة، مادة ٨، بالنص



«وليس في نظام الإخوان الإقالة ولا استقالة، فإن عهاد الفكرة الإيماني الروحي، ويجوز أن يعتذر الأخ عن مزاولته بعض الأعمال الإدارية إذا طرأ عليه ما يحول دون قيامه بها من غير أن يؤثر في منزلته وصلته بالجماعة بحال».

وبينا كان في اللائحة الأولى ممنوعاً على العضو أن يتحدث في السياسة في أثناء الاجتماع وأنه يجوز للرئيس إخراج العضو، يخفى كل ذلك وتحل محله في المادة ١٦ هذه العبارة «لا يعلو الصوت بالنقاش ولا يقاطع المتكلم ويتجنب الجدل والمراء وإطالة القول في غير فائدة وتحترم رئاسة الجلسة ويستمع لها ويستأذن منها».

وبينا كانت اللائحة الأولى تتحدث حول الدفاع عن الإسلام في إطار القانون نجد في اللائحة المعدلة ما يلي «الدفاع عن الإسلام ومقاومة كل عدوان يراد به «وجاهدوا في الله حتى جهاده»، هذه اللائحة لا تستبعد القانون في هذه الحالة فقط، بل تستبعده نهائياً، ففى لائحة التحكيم والمصالحة نجد المعجب، إذ تنص هذه اللائحة على أن يشكل مجلس الشورى المركزى للجماعة من بين أعضائه لجنة فض الخلافات بين الإخوان بالطرق الودية «من غير التجاء إلى المحاكم والقانون»، وفي تفصيل عمل هذه اللجنة يرد بالنص بند رقم ٥ «لا يجوز للإخوان أن يلجؤوا إلى المحاكم في الخلافات التى بينهم خاصة، ولا يجوز لهم ذلك في الخلافات التى بينهم وبين غيرهم إلا إذا عجزت اللجنة عن التأثير على الآخرين»، أى أن أعضاء الجماعة يكونون معاً «جيتو» خاصاً بهم، لا يتعاملون مع قوانين المجتمع ومحاكمه. ويؤكد هذا المعنى البند التالى رقم ٦ إذ يقول «إذا رأى أحد الإخوان في حكم اللجنة إجحافاً فله أن يستأنف ذلك إلى مجلس الشورى المركزى، وعلى المجلس إذا وصله هذا الاستئناف أن ينظر فيه ويكون حكمها بعدئذ نافذاً وعلى الأخ أن ينزل عليه» باختصار تحل اللجنة محل القضاء الابتدائى، فإن لم يقتنع الأخ بحكمها اتجه إلى الاستئناف «مجلس الشورى المركزى» ولا سلطة تملو فوقه، وسوف يتسع هذا الاتجاه ليصبح قطيعة شبه تامة مع المجتمع، على النحو الذى سيتضح فيما بعد في رسالة حسن البنا «العوالم».

وفي سبتمبر ١٩٤٥م يتم تعديل ثالث للاتحة الإخوان، وفي هذا التعديل لا يتم الحديث عن جمعية ولا عن جماعة، بل «هيئة الإخوان المسلمين» وجرى تعديل أو تحول لهم في تلك الهيئة، فبينما كان غرض الجماعة في للاتحة الأولى «إصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الاجتماعية والأخلاقية» وصار الغرض في للاتحة الثانية «العمل على تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويعمل بتماليمة..» إذا به في للاتحة الثالثة يصبح جامعاً مانعاً «الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف». وتدخل «الهيئة» في السياسة مباشرة، فمن بين أغراضها نقرأ «مساعدة الأقليات المسلمة في كل مكان على الوصول إلى حقوقها، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية سيراً حقيقياً» أى دولة الخلافة، ثم يقول «.. إقامة الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتماليمة عملياً وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج» أى الدولة الدينية بلا نقصان «في للاتحة الثالثة» نجد توسعاً في الحديث عن دور المرشد العام وسلطاته وطريقة اختياره، ونجد تحولاً كبيراً، ففى للاتحة الثانية نجد المادة ١٥ تحدد «بختار المرشد العام للإخوان المسلمين برأى مجلس الشورى العام ويعزل برأيه كذلك إذا ثبت أنه سلك بالجماعة مسلكاً يتناقى مع أصول الإسلام وقواعده» وفى نفس المادة يرد أن المرشد عليه «أن يجعل مهمته سبيلاً إلى منفعة شخصية.. وأن يتقبل كل نصيحة ورأى واقترح من أى شخص كان متى اعتقد فيه خير للجماعة» لكن في للاتحة الثالثة - سبتمبر ١٩٤٥م - نجد المادة ٢١ تقول «ونظراً إلى أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام الحالى للإخوان هو المؤسس الأول للهيئة والقائم عليها منذ نشأتها فقد عين فضيلته مرشداً عاماً للإخوان المسلمين مدى حياته..» هنا النص يتحدث عن تعيين وليس عن اختيار، ولا حتى عن بيعة وهو تعيين أبدي، صحيح أن البنا كان يتحكم في كل شيء بالجماعة، وسبق أن انشق عدد من الأعضاء عن الجماعة بسبب سلطته واستبداده، وعدم احترامه لمبدأ الشورى، لكن هنا يصبح الاستبداد والتسلط مقتناً ومنصوصاً عليه في للاتحة، ويتم

استحداث مادة جديدة في هذه اللائحة، هي المادة ١٧، وتقول «يقوم المركز العام بنفقات المرشد العام ونفقات مكتبه على أن يكون تقدير هذه النفقات بلمجة تخارها الهيئة التأسيسية» وهذا ما يسمى بدل احترام أو بدل تفرغ في الأحزاب ذات الطابع الأيديولوجي أو الجماعات التي تحمل طابع السرية.

وهناك لائحة رابعة أو تعديل رابع، اقترحه المرشد العام على الهيئة التأسيسية وتم إقراره في ٢١ مايو ١٩٤٨م، وكان دافع المرشد في ذلك «تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها، وعلى ضوء التجارب التي مرت بها خلال هذه الفترة...» في اللائحة الجديدة يتم التوسع في بعض المواد، وفصل بعض المعاني الواردة في المرة السابقة، لتصبح موادًا وبندًا مستقلة بذاتها، مثل البند الخاص بتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ومكافحة الجهل والمرض والفقر وكذلك «الزينة»، ومثل البند الخاص بقيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام. ورغم أن هذا التعديل جرى في ٢١ مايو ١٩٤٨م، أي بعد أسبوع من قيام إسرائيل، لا نجد شيئًا حول إسرائيل وفلسطين المرة، ورغم تأزم القضية الوطنية في مصر والدعوة إلى الكفاح المسلح ضد الإنجليز، فلا تلمس ذلك بوضوح، لكن تجد كلاً ما شديد العمومية، ورد في لائحة ١٩٤٥م بنصه، وهو «تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعًا والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً فاعلاً والسبر إلى الجامعة الإسلامية».

هذا كل ما يرد، ولا شيء محدد حول الاحتلال الإنجليزي لمصر وغيرها من البلدان العربية ولا حول فلسطين.

العرب أن الإخوان يؤكدون أنهم أسسوا التنظيم الخاص من أجل مقاومة الإنجليز في مصر والصهاينة في فلسطين لكن ها هي اللوائح والوثائق بنصها وحرفيها.

وهناك تعديل آخر في تلك اللائحة يتعلق بالمرشد العام، فبينما كان هناك نص في اللائحة ١٩٤٥ على أن حسن البنا عين مرشداً للأبد، يتم تعديلها لتصبح هكذا «يقوم المرشد العام بمهمته مدى حياته ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخليه عنه. والمرشد العام حالياً هو فضيلة الأستاذ حسن البنا باعتباره المؤسس الأول للدعوة والقائم عليها منذ نشأتها».

والمادة الأخيرة في هذه اللائحة، تنص على أن يكون التاريخ الهجري والأشهر الهلالية هي التقويم المعتمد، صحيح أن اللوائح السابقة كانت تتحدث عن عمر المرشح للمرشد العام والمكتب الإرشادي بالسنوات الهلالية، لكنه في هذه اللائحة تم تحويلها إلى مادة ملزمة.

## الْقَصْدُ الثَّانِي

### التكفير في تعاليم المَرشد

في النصف الثاني من السبعينيات اكتشف أمر جماعة شكري مصطفى، حين قامت هذه الجماعة باختطاف أستاذ علم التفسير بجامعة الأزهر الشيخ محمد حسين الذهبي، وزير الأوقاف السابق، وبعد اختطافه تم قتله. هذه الجماعة أطلق عليها مؤسسها «جماعة المسلمين» واصططح الإعلام على تسميتها «جماعة التكفير والهجرة».. وكانت هذه الجماعة بداية لجماعات أخرى ظهرت بعدها، ولم تبتعد عنها كثيراً، أي الخروج على المجتمع ورفضه ثم تكفيره ورفع السلاح عليه، في حرب معنوية أو عمليات إرهابية بلغت ذروتها في سنوات التسعينيات من القرن الماضي.

ومع ظهور كل جماعة من هذه الجماعات، خاصة الجماعة الإسلامية ثم جماعة الجهاد كان المتحدثون باسم جماعة الإخوان يباهون أنهم يمثلون الاعتدال وأن أفكار العنف هذه هم يرفضونها وأنهم لا يرفعون السلاح على المجتمع ولا يكفرونه، لكن هذه الجماعات، خرجت بشكل أو بآخر من معطف الإخوان. شكري مصطفى كان عضواً بالجماعة، وكان أحد الذين حوكموا ضمن تنظيم سيد قطب، أو تنظيم سنة ١٩٦٥م، وقد أثبت لنا الكاتب والباحث الإسلامي جمال البنا في أحد كتبه أن قائد تنظيم الفنية العسكرية صالح سرية، كان بمعنى ما تلميذاً لحسن البنا نفسه، فقد وجد جمال البنا في أوراق شقيقه الأكبر رسالة إعجاب من صالح سرية، الذي قاد محاولة للانقلاب سنة ١٩٧٤م في القاهرة، وهي ما عرفت باسم عملية «الفنية العسكرية»، وأظن أن صلة قادة هذه العملية بالإخوان بحاجة إلى إعادة دراسة في



ضوء إعلان «طلال الأنصاري» أحد قادة عملية الفدية، أنهم عرضوا العملية على الحاجة زينب الغزال قبل القيام بها وأنها جاءتهم بموافقة المرشد الثاني المستشار حسن الخضبي، وقد نشر طلال ذلك في كتاب له بالكتيبات الآن، ولم يكذبه أحد رغم مرور عدة سنوات على نشره.

كل هذه الشواهد قد تجد نفيًا وتكذيبًا من الإخوان، لكن هذه الجاهات بأفكارها لم تخرج عن بعض كلمات وأفكار حسن البنا، المرشد المؤسس للجماعة الإخوان.. وهذه الكلمات نشرت في حياته ولا تزال تنشر إلى اليوم، ويقوم على نشرها أناس من أنصاره وحيه، أقصد أنهم ليسوا خصوصًا له ولا للجماعة، ولا يبقون كيدًا له أو للجماعة.

كلمات وأفكار البنا بهذا هذا المعنى، أى رفض المجتمع والخروج عليه ورفض الدولة الحديثة بكل مقتضياتها وشروطها.. بل يصل الأمر حد إعلان الجهاد ضدها والحرب عليها، وقد قال البنا ذلك في وقت مبكر، أى قبل وقوع أى خلاف بينه وبين جماعته له مع الحكومة - أية حكومة - يبدو ذلك في رسالته التى تحمل عنوان «رسالة التعاليم».. وهى رسالة لم تكن موجهة إلى عموم أعضاء الجماعة، بل إلى فئة منهم، يبدو أن المقصود بها كان أعضاء النظام الخاص بالجماعة، إذ يقول فى مقدمتها «هذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة. وهى ليست دروسًا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ». ثم يقول «أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات. ولكل وجهة هو موليتها». وهذه الكلمات لا تكشف فقط تعدد المستويات والأدوار داخل الجماعة، لكنها تكشف وتؤكد تعدد أوجه حسن البنا، فهو نارة يلقى بالنصيحة والموعظة، ونارة يطرح أفكارًا، وثالثة يصدر تعليمات فقط، تؤخذ للتنفيذ والانترام العمل. ولنتأمل بعض هذه التعليمات، التى وصلت إلى ٣٨ تعليمية.

التعليمية رقم ١٦ تقول بالنص: «ألا تفرص كل الحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتتحت لك، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة». والمقصود بواجبات الدعوة هنا شروط والتزامات جماعة الإخوان، أي أن الولاء الأول للموظف العام يكون لجماعته وليس لمقتضيات الوظيفة والعمل، وأنه يمكن للموظف في هذه الحالة أن يترك الوظيفة، مثلاً لو كان هذا الموظف يعمل بالأزهر أو في البوليس، وبحكم عمله يكون هناك موقف فقهي أو عملي من الجماعة، يكون الاعتبار للجماعة وليس لمقتضيات العمل، وسوف نلاحظ أن حسن البنا كان حريصاً على تجنيد أناس بعينهم من الجيش والشرطة إلى صفوف الجماعة، نعرف من مذكرات عبد اللطيف البغدادى أن البنا طلب إليه منذ سنة ١٩٤٠م هو وعدد من رفاقه كان بينهم أنور السادات، أن ينضموا إليه ويدوبوا في جماعته، وقد أثار هذا الطلب قلقهم ومخاوفهم.

التعليمية رقم ٢١ تقول: «أن نخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن نحرص على القرش فلا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا نأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى». وسوف نلاحظ أنه استعمل تعبير «وطنك الإسلامى» ولم يقل «وطنك المصرى».. البنا استبعد هذا المعنى وذهب إلى مفهوم «الوطن الإسلامى»، والنتيجة العملية لذلك أن التعامل الاقتصادى والمالى يكون وفق الديانة والعقيدة الدينية، وليس وفق المعيار الوطنى أو معيار الكفاءة العملية، فإذا احتاج المواطن إلى سبائك، وكان هناك سبائك مصرى ولكن ليس مسلحاً أى قبطى أو يهودى، وقتها كان اليهود موجودين في مصر، لا يجب التعامل معه أو الاستعانة به، لأن أجره الذى يتقاضاه أو القروش التى سندفعها له بمعيار ذلك الزمان.. لن تكون في يد إسلامية.. إنه يقسم أبناء الوطن ألواناً وفق اعتبار الديانة، لكن ماذا لو أن هناك مصنوعات ومنتجات ليست من صنع الوطن الإسلامى، مثل الأدوية، كأدوية أمراض السكر والقلب والسرطان



وغيرها، وهي كلها من اختراع وتصنيع الأوروبيين - غير المسلمين... هل نترك مرضانا يموتون ونلجأ ثانية إلى طب الأعشاب والعلاج بالرقية وغيرها؟!<sup>١٩</sup>

هذه «التعليمية» واجبة النفاذ التي يصدرها المرشد إلى «المجاهدين» من أعضاء جماعته، تتصادم مع الواقع حتى بمعيار العصر الإسلامي الزدهري، في مصر أو في غيرها من البلدان المحيطة بنا، ففي ذلك العصر لم يحدث منع لغير المسلمين من المعاملات الاقتصادية، وكان بين التجار يهود ومسيحيون، وكانت بعض الحرف تكاد تكون وقفًا على غير المسلمين، وكان التعامل الاقتصادي والمادي معهم، بلا حرج وبلا أي محاذير.

التعليمية رقم ٢٥ تقول حرفيًا: «أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرناك الإسلامية مقاطعة تامة». وهذه من أخطر التعاليم، فهي تشير بوضوح إلى مقاطعة المؤسسة القضائية، باستثناء المحاكم الشرعية آنذاك، وبمعيار اليوم مقاطعة المحاكم كلها، وهذا يعني مقاطعة الدولة الحديثة، فالسلطة القضائية برمتها تكون عنوانًا للدولة ومؤسساتها، وهي سلطة ضابطة للمجتمع في بند الحقوق والواجبات القانونية، وعلاقات المواطنين ببعضهم، وكذلك علاقة المواطن بهيئات وأجهزة الدولة.

ترى هل يفسر لنا ذلك لماذا تختكم بعض الجماعات إلى أميرها دون اللجوء إلى القضاء؟ ولماذا قام بعض الأمراء، كما حدث في إمبابة قبل عقدين فيما عرف باسم «جمهورية إمبابة» وقتها بدور الشرطة والنيابة العامة والقضاء كله، فكانوا يجلدون ويقطعون الأيدي... وكان أعضاؤها يختكمون إلى الأمراء ويلجؤون إليهم في أي مشكلة وفي مقاطعة تامة وعدائية لمؤسسات الدولة، وهذا يعني تأسيس دولة موازية ومناهضة للدولة القائمة.. هو لا يطالب بذلك فقط، بل المقاطعة عنده تمتد إلى المدارس الحديثة وإلى الجمعيات والجماعات والأندية وكذلك الصحف والمجلات

الجماعة.

التعليلة المخيفة، التي تحمل رقم ٣٥، وجاء فيها: «أن تحارب أماكن اللّهُو، فضلاً عن أن تقرّ بها». وهو هنا لم يحدد ما المقصود بأماكن اللّهُو، هي أمور نسبية، ففى بعض الأسر المحافظة يعد «المقهى» من أماكن اللّهُو، وعند البعض تعتبر الحانات والبارات هي أماكن اللّهُو، فإذا كان يقصد الشيخ البنا، هل هي أماكن شرب الشاي والقهوة، ويردد مجبوه أنه لم يكن يقربها، أما ما بعد ذلك من المثيروبات؟.. وقد يكون مفهوماً أن يطلب المرشد إلى بعض أعضاء الجماعة عدم الاقتراب من أماكن اللّهُو، هكذا يفعل أولياء الأمور والأباء مع أبنائهم، لكن ماذا عن محاربتها التي يطالب بها؟ وما هو نوع المحاربة وأشكالها وأساليب ممارستها، هل يعنى ذلك تفجيرها - كما حدث بعد ذلك - وقتل من فيها.. هل تحطيم ما بها فقط، أم ماذا بالضبط؟ ترك المرشد الأمر مفتوحاً، لاختيار أعضاء الجماعة من «المجاهدين» الأمر هنا على طريقة قتل المستشار الخازندار.. فقد روى بعض أعضاء الجماعة أن المرشد قال لرئيس التنظيم «لو ربنا نخلصنا منه.. لو حد نخلصنا منه». فاعتبرها مسؤول التنظيم أمراً مباشراً بالاعتقال.. هكذا الأمر فى «دور اللّهُو».

هذه التعليمات لم تكن موجهة إلى كل أعضاء الجماعة، بل إلى «الإخوان المجاهدين»، وقد حدد هو ذلك فى بند الطاعة وبند الثقة.. فى الأول عرف ما يريده

بالطاعة بأنها «امتثال الأمر وإنفاذه تَوْأً في السر والسر والمنشط والمكره». وقسم دعوته إلى مراحل ثلاث، الأولى هي التعريف ونشر الفكرة العامة بين الناس وهذه وظيفة الجميع من وعاظ وإداريين في الجماعة، تليها مرحلة «التكوين»... ويعرفها بأنها «استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد». وفي هذه الحالة يكون النظام «صوفيًا بحثًا من الناحية الروحية وعسكريًا من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين ذاتًا أمر وطاعة».

وهنا تكون «الدعوة خاصة» لمن لديه استعداد حقيقي لتحمل أعباء الجهاد، وأول خطوة في هذه المرحلة «كمال الطاعة»، ثم تأتي مرحلة التنفيذ وهي «جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية». ومن وصلته رسالة التعاليم هو في الدور الثاني وبالقرب من الدور الثالث: يكمل هذا الجانب ما يتحدث عنه البنا في بند أو جانب يسميه الثقة وتعريفه لها «اطمئنان الجندى إلى القائد في كفائه وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة». والقائد والقيادة ليست فكرة هينة ولا بسيطة في الجماعة، يقول حسن البنا: «للقيادة في دعوة الإخوان حتى الوالد بالرابطة القبلية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعًا». ويضيف أيضًا: «الثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات». ولأن التعاليم التي وضعها ليست لعموم الجماعة، بل من بلغوا المرحلة الثانية وعلى أعتاب الثالثة، فالخطاب إليهم خالص ويختلف عن الخطاب العام؛ لذا نجد البنا يعطى تعليمات واجبة النفاذ، تختلف عما يبدر منه في السلوك العام، تحدث في التعليمات عن أن يكون التعامل مألوفًا مع المسلمين فقط وأن تذهب أموال المسلمين للمسلمين فقط، لكنه هو نفسه لم يجد غضاضة في أن يقبل الأموال من غير المسلمين، فقد قبل التبرع من شركة قناة السويس ومسؤولها الفرنسي، وقبل بعد ذلك تبرعًا من تاجر يهودي في الإسكندرية هو «حاييم دره» وتسلم المرشد التبرع في حفل عام وكان

مبلغاً مالياً كبيراً، أى ليس سراً.. ثم هو لا يتردد في أن يعلن لأعضاء الجماعة في خطاب عام أنهم لم يحصلوا على سليم واحد من أحد، يقول: «إلى الآن أيها الإخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيّا كانت، وهو يباهى وينفاخر ويتحدى الناس جميعاً أن يقول أحدهم: إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه».

هذا التناقض والتباين، قد يراه البعض مراوغة، وقد يحكم عليه بعضنا بالكذب، لكنه يكشف تعدد أوجه حسن البناء، فهناك وجه الواعظ والمرشد الدينى، وهناك كذلك وجهه السياسى الناور والمراوغ إلى أبعد حد، والبراجماتى إلى أقصى درجة.. وهناك وجه داعية العنف والظلام.. ولذا ليس غريباً أن يخرج معظم جماعات العنف من معطفه، وأمامنا عبد الرحمن السندى وقتلة الحازندار والنقراشى ثم صالح سرية وشكرى مصطفى ومن تبعهما على طريق القتل والعنف إلى يوم الناس هذا.

## القصاص بالبلع

### طريق الدم...

#### الباقوري وسابق وعساف يكشفون السر

بين كل أعمال العنف والاعتقالات التي نفذها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات، تستحق عملية اغتيال أحمد ماهر رئيس الوزراء التوقف أمامها، فهي عملية كاشفة للكثير من العمليات الإرهابية الأخرى ولطبيعة ذلك التنظيم الخاص، فضلاً عن فكرة العنف لدى حسن البنا وفي فكره.

تم اغتيال د. أحمد ماهر (باشا) رئيس الوزراء في بهو مبنى البرلمان (مجلس الشعب حالياً) يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٥م بعد أن انتهى من إلقاء كلمته في جلسة سرية لمجلس النواب، ليقتنع الأعضاء بما اتفقت عليه الحكومة من إعلان الحرب على اليابان، أي على دول المحور بزعماء ألمانيا المحترقة.. وكانت الحكومة المصرية تلقت من الإدارة الأمريكية أن دول الحلفاء الخمس وهي إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والصين، سوف تعقد في ٢٥ أبريل من نفس السنة اجتماعاً في «سان فرانسيسكو» لإنشاء منظمة دولية جديدة خلفاً لمنظمة «عصبة الأمم» التي كانت تأسست في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأن الخبراء القانونيين بالدول الخمس وضعوا أسس الاشتراك في هذه المنظمة، ومن بينها أن تكون الدول الراغبة في الاشتراك بها أعلنت الحرب على خصوم الحلفاء قبل أول مارس سنة ١٩٤٥م؛ فكانت تلك فترة العسل بين كل من ستالين وتشرشل وروزفلت..



كانت هناك ضغوط مورست على مصر، من جانب بريطانيا في بداية الحرب العالمية الثانية حتى تعلن مصر الحرب على ألمانيا ودول المحور، وكان هناك رأي داخل مصر يميل إلى ذلك، لكن الملك فاروق وأطراف أخرى نافذة رفضت أن تتورط مصر في هذه الحرب، وكذلك كان رأي الشارع في مصر، كان معنى أن تعلن مصر الحرب أن تكون في مرمى الطائرات والغارات الألمانية التي يمكن أن تدمر البلاد، فضلاً عن أن ألمانيا لو انتصرت فسوف تحتل مصر وتتقم من المصريين، وهكذا كان الرفض للتورط في الحرب، وقال الشيخ المراغي شيخ الأزهر عبارته التي صارت شعاراً لتلك المرحلة «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل»، لكن في نهاية الحرب وعلى ضوء القرائن الجديدة، صار هناك واقع آخر؛ لذا تشاور د. ماهر في الأمر مع عدد من السياسيين ومن القانونيين مثل د. محمد حسين هيكل ود. عبد الحميد بدوي... حل تعلن مصر الحرب أم تظل على مبدئها من أنها «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل» ومن ثم تبقى بعيدة عنها؟

كان إعلان الحرب من جانب مصر يعني أن يكون لمصر الحق في أن تناقش القضية المصرية بهذه المنظمة، وأن تطالب مصر المنظمة الجديدة بأن تتدخل لتتال استقلالها وتخرج بريطانيا من مصر، وهكذا فقد صار لنا في الحرب ناقة وجمل، حتى لو كانت ناقة صغيرة، لكنها بالنسبة إلى المصريين كانت كبيرة، واستقر الرأي على أن تعلن الحكومة المصرية الحرب على اليابان.

لكن لماذا اليابان وليست ألمانيا رأس المحور أو إيطاليا التي احتلت ليبيا؟

كشف النقاش الذي أجراه د. ماهر مع القانونيين والسياسيين عن مخوف حقيقي لو أن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا أو إيطاليا تحديداً، ذلك أن هناك في البلدين رعايا مصريين، يتمثلون في بعض الدارسين أو العاملين والقيمين هناك، ولو أعلنت مصر الحرب على أي منهما فمن المؤكد أن هؤلاء الرعايا سوف يكونون في خطر

الاعتقال أو الإبادَة. أما اليابان فليس بها رعايا مصريون يخشى عليهم، ثم ظهرت معضلة أخرى، وهي أن اليابان لم تهاجم مصر مهابيًا ولم تعلن في خطبتها عن نيتها مهاجمة مصر أو حتى اعتبار مصر بلدًا معاديًا، ومن ثم فإن مصر ليست في حالة دفاع عن نفسها أمام اليابان، وقرار الحرب يخفى للحكومة أن تتخذة مشفرة إذا كانت في حالة دفاع عن مصر، أي إذا تعرضت البلاد لهجوم مباشر، أما دون ذلك فإن الحكومة مطالبة بالرجوع إلى البرلمان وأن تنال موافقته. وهكذا اتجه د. ماهر إلى البرلمان في جلسة سرية يحاول إقناعهم بما تريده الحكومة ويتم التصويت، وإن نال الموافقة يصبح القرار بعدها نافذًا، أي أن خطة الاغتيال وضعت وشرع المجرمون في التنفيذ قبل أن يصدر القرار بالفعل ويصبح ساريًا.

بينما كان د. ماهر داخل الجلسة السرية، جلس أربعة شبان في البهو لساعات طويلة ينتظرون، وما أن تهبًا للخروج حتى تقدم أحدهم منه ليصافحه، لكنه بدلاً من ذلك أخرج مسدسًا وأطلق عليه رصاصة واحدة أصابته في قلبه، وهدد القاتل المحيطين برئيس الوزراء، حتى لا يتمكنوا من الإمساك به، لكن في النهاية تم القبض عليه وهرب الثلاثة الآخرون ولم يستدل عليهم ولم يعرف أحد عنهم شيئًا حتى هذه اللحظة، من هم ومن أي جهة وعن أي تيار يعبرون؟!

القاتل هو «عُمود العيسوي» وكان مخاميًا شابًا يتهرب في مكتب المحامي عبد المقصود متولى أحد الأعضاء البارزين بالحزب الوطني.. لم يعترف القاتل بأي شيء، ولم يذكر أسماء من كانوا معه، فقط قال إنه أقدم على العملية لأن أحد ماهر أعلن الحرب على اليابان، وهكذا نسبت العملية إلى الحزب الوطني، ولم تنتبه أحد في الحزب أو خارجة إلى أن الذين قاموا بعمليات اغتيال من قبل لأسباب وطنية، في بدايات القرن العشرين، كان يهتهم أن يعترفوا من باب الفخر والاعتزاز، وجدنا ذلك في حالة إبراهيم الورداني الذي قام باغتيال بطرس غالي ناظر النظار، وفي حالة عريان يوسف سعد الذي حاول اغتيال يوسف وهبة رئيس الوزراء إبان ثورة ١٩١٩م.. لكن العيسوي كان مختلفًا؛ إذ التزم الصمت العقائدي المطبق، إن صححت التسمية.

الطريف أن جماعة الإخوان استكثرت تمامًا هذه العملية، لأن أحد ماهر أهلن الحرب على اليابان، لكنه لم يشن حربًا بالقمل على اليابان، والعبرة لديهم ليست بالقرار بل بالقمل، ورغم هذا الاستكثار الواضح إلا أنه يكشف أن الجماعة ليست ضد مبدأ الاغتيال، ومعنى الاستكثار أن رئيس الوزراء لو شن الحرب بالقمل لاستحق الاغتيال، لكن أحدًا لم يتوقف وقتها عند ذلك المعنى، بل تحملها الحرب الوطني. أمام التاريخ.

وفي سيرة د. عبد الرحمن بدوي الذي كان عضوًا نشطًا بالحزب وقتها يمكن أن نبين الصدمة التي سيطرت على الحزب من داخله، فقد فوجئ الجميع بهذه العملية، وثبتت الوقائع أن الحزب الوطني في ذلك الوقت لم يكن لديه جهاز سرى للاغتيالات، ولا كان هذا الأسلوب مطروحًا على الحزب، ولا كان في فكر الحزب أو في عماراته، ولم يقدم أحد داخل الحزب تفسيرًا لهذه العملية، ولم يظهر داخل الحزب أن أحدًا شارك العيسوي أو حتى دافع عما قام به.

ظل الاعتقاد سائدًا بين الدارسين والمؤرخين أن اغتيال أحمد ماهر بعيد تمامًا عن جماعة الإخوان، واكتفى الجميع بنسبة ما قام به العيسوي إلى التهموس أو النظر الوطني، حتى جاءت الثابنيات وبعد مرور أكثر من أربعة عقود على اغتيال ماهر بكشفين مهمين أو اعترافين، الأول جاء على لسان الشيخ سيد سابق في جريدة «المسلمون» بأن اغتيال ماهر نفذته التنظيم الخاص للجماعة، وأن العيسوي كان منخرطًا في التنظيم الخاص بشكل سرى، حتى وإن تصور الجميع أنه على علاقة بالحزب الوطني، وكانت العملية نموذجًا لدقة التخطيط وإتقان التنفيذ، فضلًا عن الكتمان، وخطورة شهادة الشيخ سيد سابق أنه كان عضوًا فاعلًا في التنظيم الخاص، هو بعد ذلك الذي قابل «عبد المجيد حسن» وأقنعه بشرعية اغتيال محمود نهى النقراشي. أما تصرفات المرشد واستكثار الجماعة العلنية لعملية الاغتيال، فهل نجد تفسيرًا لها في قول أحدهم من أن المرشد قد يضطر «إلى تعليقات عن بعض الأحداث

يقصد بها مجرد الكتان لحقائق هذا الأمر، في هذه الظروف عملاً بالحدِيث: استعينوا على إنجاز الحوائج بالكتان»<sup>(١)</sup>.

الشهادة الثانية صدرت عن الشيخ حسن الباقوري، الذي كتبت ذكرياته في صحيفة «المسلمون» أيضًا ثم صدرت في كتاب عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، وفيها يقطع بأن جريمة اغتيال د. ماهر كانت من تخطيط وتنفيذ التنظيم الخاص للجماعة، وأهمية هذه الشهادة أن الشيخ الباقوري لم يكن رجلاً عادياً في الجماعة آنذاك، كان عضواً بمكتب الإرشاد وكان من أبرز المرشحين لخلافة حسن البنا بعد اغتياله، لكن الملك فاروق عبر ناظر الخاصة الملكية انجاز إلى المستشار حسن الحضيبي، وتلك قضية أخرى، يضاف إلى ذلك أن الباقوري كان أحد الذين شملهم الاعتقال بعد اغتيال د. ماهر، ومن ثم فقد كان متابعاً للقضية - على الأقل - بحكم ما تعرض له .. الباقوري أيضًا كان على صلة طيبة بالضابط محمد أنور السادات والجموعة التي اتهمت باغتيال أمين عثمان، أي أنه لم يكن بعيداً عن كواليس العمل السري وما يجري فيه، وأخيراً هو الوزير بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م، أي أنه تحبّر معنى العمل السياسي والعمل العام ويزن كل كلمة يقولها، وهو إن منعتة ظروف العمل العام أن يعلن ما لديه في حينه، فإنه أثر أن يقول كلمته، قبل أن يمضي ليقابل ربه، وبالتالي لو كشف ذلك الأمر وقتها لاتهم بالوشاية ولربما تعرضت حياته للخطر، يقول الباقوري في ذكرياته: «كان النظام الخاص يحكمه الإعجاب بالنفس والاحتكام إلى التضحية والفداء». ويضيف قائلاً: «لم يكن المنتسبون إليه معروفين إلا في دائرة ضيقة ولأحد معروفين، وتركت هؤلاء اجتماعاتهم الخاصة بهم، وربما كانوا يعملون في جهات مختلفة يجهل بعضهم بعضاً جهلاً شديداً» ثم يقول: «ومن سوء حظ الدعوة أن هذا النظام الخاص رأى أن ينتمى لإسقاط المرشد في الانتخابات بدائرة الإسماعيلية. وكان من أشد التحسين لفكرة الانتقام هذه محام شاب يتصرف

(١) راجع محمود الصياغ: التصوير الأمين لما نشره بعض القادة السابقين، مكتبة التراث الإسلامي، ط ١، سنة ١٩٩٨ م، صفحة ٣٢-٣٣.

على المحاماة في مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى.. وهو المحامى الشاب محمود العيسوى، فيما أعلنت حكومة الدكتور أحمد ماهر باشا الحرب على دول المحور لكي تتمكن مصر - بهذا الإعلان - من أن تمثل في مؤتمر الصلح إذا انتصرت للديمقراطية على النازية والفاشية» ويذهب الباقورى إلى القول: «رأى النظام الخاص أن هذه فرصة ستحت للانتقام من رئيس الحكومة ووجه محمود العيسوى إلى الاعتداء على المحرم أحمد ماهر باشا، فاعتدى عليه في البرلمان بطلقات سلبته حياته التى وهبها لمصر منذ عرف الوطنية، رحمه الله رحمة واسعة».

وكان د. أحمد ماهر قد أجرى الانتخابات البرلمانية في يناير سنة ١٩٤٥ م، ونتج عنها عدم فوز حزب الوفد بالأغلبية، وكان حسن البنا قد تقدم لخوض الانتخابات في مدينة الإسماعيلية ولم يفز، فاعتبر أنصاره أن عدم نجاحه متعمد من رئيس الوزراء، لم يجر تحقيق يثبت أن هناك تزويراً تم في هذه الدائرة ولم يتبين أن منافس حسن البنا كان نكرة أو مجهولاً في مدينة الإسماعيلية، كان مقبلاً بها، بينما البنا كان قد غادرها إلى القاهرة. منذ سنة ١٩٣٢ م ولا ننسى أنه ليس من أبناء الإسماعيلية أصلاً، وقد ترك الإسماعيلية وخلفه عدد من المشكلات وغضب بين فريق من الإخوان تحدث هو عنه في مذكراته، وكان بعض ذلك الغضب متعلقاً بإدارته لأمر الجماعة وبعضه كان متعلقاً بإلية الجماعة، وذلك أمر ليس هيناً.

وعموماً لم يكن عدم النجاح في الانتخابات كارثة، فقبل ذلك في انتخابات سنة ١٩٣٧ م لم يتجح النحاس نفسه ورسم معه عدد من قيادات الوفد، ومع ذلك لم يفكر الوفدونيون في اغتيال أحد بل قبلوا النتيجة وواصلوا العمل السياسى والوطنى.

يرفض «أحمد الصباغ»<sup>(١)</sup> تفسير الباقورى من أن الاغتيال تم بسبب فشل البنا في في الانتخابات وفي رأيه أن الانتخابات تزور باستمرار، والحق أن اغتيال أحمد ماهر

(١) أحمد الصباغ، المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٤.



لا يمحلتنا تنساع فقط حول دوافع العنف والإرهاب لدى التنظيم الخاص ومن ثم الجماعة، بل يدق أجراساً قوية حول ما نقوله بعض الوثائق والمصادر البريطانية عن أن الجماعة ابتعدت عنهم في أثناء الحرب العالمية الثانية وفتحت خطاً سرياً يضمن التعامل مع ألمانيا هتلرية وأن المخابرات الألمانية قدمت «معونات» للجماعة وقتها، بلغت النظر - هنا - أن الملك فاروق كانت له اتصالات مع الألمان وبعث برسائل إلى «هتلر»، وكان الملك يفعل ذلك لأسباب وطنية وأخرى شخصية، أما الوطنية فتتمثل في أنه أراد أن يحصل على ضمان من هتلر بعدم تدمير القاهرة إذا ما أمكنه هزيمة بريطانيا ودخوله مصر وأن يضمن منه استقلال مصر في تلك الحالة، والشخصية تتركز في أن يضمن عرشه في تلك الحالة، خاصة أن الحادي السابق عباس حلمي كان وثيق الصلة بوزارتي الدفاع والخارجية في ألمانيا، وكان عباس حلمي يسعى إلى استرجاع عرش مصر لنجله<sup>(١)</sup> وكان حسن البنا - آنذاك - يحذو الملك حذو النمل بالنمل كما يقال، وكان البنا على علاقة جيدة بآئين من المحسوبين على الألمان وهما على ماهر الذي كان يتمتع بميول نازية، ربما بسبب كراهيته للإنجليز، والضابط محمد أنور السادات الذي كان قد فصل من الجيش بسبب تكشف علاقته بعمل ألماني في القاهرة، ترى هل نفذ التنظيم العملية لصالح المخابرات الألمانية التي يتردد أنها كانت نجحت في اختراق التنظيم والجماعة وقتها؟ هل كان ذلك الاختراق سبباً من أسباب الإعجاب الذي كان سائداً بهتلر آنذاك، حتى أن بعضهم أطلق أنه قد اعتنق الإسلام وأصبح الحاج محمد هتلر؟!!

د. محمود عساف كان سكرتيراً للمعلومات لدى المارشال المؤسس، وبعتبره هو «أميئاً للمعلومات عنده» ويقدم في مذكراته واقعة، صحيح أنه يرى الإخوان من جريمة اغتيال أحمد ماهر، لكن الواقعة التي حكهاها في مذكراته لا تبرئهم، بل تبرئه هو شخصياً، يقول عساف «دعا عبد الرحمن السندى إلى اجتماع - وكنت

(١) لوكان هيرزويغ: ألمانيا هتلرية والشرق العربي، ترجمة د.أحمد عبد الرحمن مصطفى، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧١م، ص ٣٠٨.

حاضراً فيه - وقال «إنه ينبغي أن نفكر في خطة لقتل أحمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور، وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحد الإخوان بالمهمة، فيرود بمسدس، وينطلق إلى مرزاقان العباسية ( مكان نفق العباسية الحالي ) وينتظر هناك مرور سيارة أحمد ماهر، حيث أن السيارات تبطن كثيراً من سرعتها عند المرزاقان، ثم يطلق الرصاص عليه، ويكون هناك شخص آخر منتظر بموتوسيكل ، يحمله معه ويهربان»<sup>(١)</sup>. ويصف عساف الخطة بأنها بدائية وأنها أثارت استياء جميع الحاضرين «، ثم يقول «سأنته: هل هناك فتوى شرعية بقتل رجل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ فقال: إننا نمد مجرد خطة ولكن لن ننفذ إلا بعد الفتوى. قلت: ولنفرض أن هذا الشخص قبض عليه، فإذا سيكون مصير دعوة الإخوان كلها بعد ذلك؟ قال: لا لن يقبض عليه. أحسست أن المسألة لعب بالنار واستجابة للهوس الشخصي وليس مصلحة الإخوان ثم قال: لقد اخترت أحمد عبد الفتاح طه لهذه المهمة. وهو ينتظر خارج الغرفة ثم استدعاه وشرح له الخطة، وقال غداً إن شاء الله نكمل دراستها في وجودي»<sup>(٢)</sup>.

اتهم عساف بالفتوى، ولم يعبأ بكلام عبد الرحمن السندى، الذى يعرف دوره ومهمته، وهى التنفيذ فقط، ووضع الخطة، أما الفتوى فأمرها محسوم، ويتلقاها من طرف آخر، والؤكد أنه طالما فكر ووضع خطة بكل تفاصيلها واختار من يقوم بها، فلا بد أن لديه فتوى أو ضوء أخضر بها من قيادته، وكان قائده المباشر هو حسن البنا نفسه، فهو لن يضع خطة ويحدد تكليفات بكل التفاصيل ثم بعد ذلك يقال له لا .. وحتى حينما أبدى عساف تخوفاً من الانكشاف بعد التنفيذ، كان رد السندى والتأقاً وقاطعاً. لا.. لن يقبض عليه .. وتكتمل الصورة بما حدث فى اليوم التالى، حيث عقد الاجتماع، ولنلاحظ أن عبد الرحمن السندى هو الذى كان دعا إلى انعقاده،

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ١٥٣ .

(٢) نفسه، الصفحة السابقة.

وكانت مفاجأة اجتماع اليوم التالي غريبة، ربما لم يتوقعها أحد منهم، خاصة السندی، وهو يذكرنا بالنهايات الدرامية لبعض الأفلام العربية، فقد دُعِيَ إلى هذا الاجتماع أحمد عبد الفتاح طه، المكلف باغتيال أحمد ماهر، وكان الاجتماع مخصصاً لاستكمال خطة التنفيذ، أى أن مبدأ الاغتيال أقر وقُبِلَ به، واغتيال أحمد ماهر تحديداً لم يعد عليه خلاف ولا حوله إشكال، الإشكال فقط في تفاصيل التنفيذ، وهنا تكمن مفاجأة أحمد عبد الفتاح طه الذى دخل إلى الاجتماع متجهماً الوجه وابتداً هو الحديث: «قيل أن تنظروا في آية خطه، أريد أن أبلغكم أئى جنت ولن أستطيع القيام بهذه المهمة. فغضب عبد الرحمن واتهمه بالضعف والتخاذل، فقلت: إن أحمد عبد الفتاح في غاية الشجاعة لأنه واجهكم جميعاً وصارحكم بحقيقة إحساساته وكان يمكنه أن يكتفمها فقد يهرب دون فعل شيء أو إخطاركم بموقفه.. وانفض الاجتماع على لاشيء»<sup>(١)</sup>.

وفي اليوم التالى تم الاغتيال، هل كان لدى السندی أكثر من خطة فلما فشلت إحداهما حرك الثانية؟!

نفذ العملية محمود العيسوى العضو بالحزب الوطنى، وذكر الشيخ الباقورى أنه كان عضواً «سرياً» بالتنظيم الخاص للجماعة وبالجماعة نفسها، ويقدم لنا محمود عساف في مذكراته ما يمكن أن يساعدنا في حل هذا اللغز، إذ يشرح أنه كان يقوم بزرع عناصر من الجماعة داخل الأحزاب والجماعات الأخرى، حدث ذلك تحديداً مع اليساريين والشيوعيين ومع «مصر الفتاة»، يقول عساف «اشند موقف الشيوعيين ضدنا وهاجمونا في نشراتهم، الأمر الذى دفعنا في عام ١٩٤٦م إلى أن نزرع عندهم أحد المتعاطفين مع الإخوان (هو الآن أستاذ جامعى) وكان يتقاضى منى خمسة جنيهات شهرياً فنظر أن يمدنا بأخبار الشيوعيين»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمود عساف، صفحة ١٥٤.

(٢) محمود عساف، صفحة ٢٢.

الشيء نفسه حدث مع مصر الفتاة، فقد نشرت مجلة مصر الفتاة مقالاً فيه هجوم على الجماعة، جاء فيه «حانت خاتمة الدجل والشعوذة.. الإخوان يتعاونون مع كل الأحزاب بلا مبدأ و يتالقون مع الكل حتى الإنجليز الذين يسخرونهم لمحاربة الشيوعية والوطنية ويفتحون لهم الشعب في السودان وفلسطين» ، وأثار المقال غضب الإخوان، وكان المتوقع أن يتم الرد على المقال بمقال آخر يفند الانتقاد والهجوم أو مقال يهاجم فيه جماعة مصر الفتاة (لم تكن تحولت إلى حزب)، لكنهم قرروا الرد بطريقة أخرى، يقول الصباغ «وجدنا أنه بعد النظر أن نعلم ماذا يدور في أدمغة قادة مصر الفتاة. فكلفنا أحد الإخوان بالانخراط في الجمعية هو المرحوم أسعد السيد أحمد. الذي انضم إليها وبرز فيها سريعاً لما كان له من نشاط»<sup>(١)</sup>.

والمعنى هنا أن اختراق الجماعات الأخرى كان قاعدة معمولاً بها داخل الجماعة، وهذه قاعدة شاذة، خاصة أن بعضهم كان يتلقى أجراً مقابل ما يقوم به، ويقدم تقارير يبراه وما يلاحظ إلى جماعته، هؤلاء كانوا يغذون ما يؤمرون به، ويعتبرون المهام التي يكلفون بها واجباً عقائدياً، لا يجوز التهاون في تنفيذها. ترى هل كان محمود العيسوي واحداً من هؤلاء .. هل طلب إليه تنفيذ مهمة اغتيال أحمد ماهر، ويذهب هو إلى حبل المشنقة ومعه سره إلى الأبد، بينما في العلن يحمل وزر الجريمة منافس آخر للجماعة، هو الحزب الوطني، خاصة أن الحزب في تاريخه وماضيه الحساس الوطني واغتيال الخصوم، خصوم الوطن أو من تصور وهماً هكذا. ربما كان الأمر كذلك.

الموضوع والشهادات التي نحن بإزائها وكلها من داخل الجماعة تثير العديد من القضايا والتساؤلات، لكن المؤكد أن التنظيم نفذ العملية في صمت وتركيز بالغ، والمعنى الأهم أن التنظيم كان مستعداً لتنفيذ أى عملية تتطلب منه، بغض النظر عن ادعاءات القيم الإسلامية.

(١) محمود عساف: صفحة ٢٧.

ويجب القول أن التنظيم الخاص في تلك المرحلة كان تحت السيطرة الكاملة للمرشد حسن البنا، ويبدو أن الأمر كان موضع شد وجذب داخل الجماعة؛ لذا نجد الشيخ الباقورى يقول في شهادته «على أن الأمر لو كان وقتاً كان عند استباحة الدماء المعصومة في شريعة الله، لكان ذلك أمراً ميسوراً احتمالاً، مقدوراً على الناس وجه له يسوغ المصير إليه، ولكنه تعدى ذلك إلى ما يجافي الحق ويقود إلى أسوأ سينات التأويل. ذلك أن يقول قائل: إن رسول الله أمر بالاعتقال، ثم يستشهد لقوله هذا بمقتل كعب بن الأشرف. فإذا هو - على ذلك - يتغاضى عن حقائق لا ندحه للمسلم عند النظر إليها، والإيمان بها في هذا المقام. وأولى هذه الحقائق أن ثمة فرقاً بين رسول الله ﷺ المعصوم من الهوى وغيره من الذين تصرفهم الأهواء، ولا تحوطهم عناية الله كما تحوط رسوله العظيم ﷺ».

ويبدو أن قيام أعضاء التنظيم الخاص باغتيال أحمد ماهر كان معروفاً بين كبار المسؤولين في مصر، آنذاك، إذ نجد مرتضى المرافى آخر وزير داخلية في عهد الملك فاروق، وكان يعمل معظم سنوات خدمته بالأمن العام، يشير إلى هذه الواقعة في مذكراته، وإلى مسؤولية حسن البنا المباشرة، إذ يقول إنه كانت هناك «رؤوس كبيرة تختبئ من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح - حسب اعتقادها - بالخازندار والنقراشى وأحمد ماهر»<sup>(١)</sup>.

أهمية شهادة سيد سابق والباقرى وكذلك محمود عساف أنها تبتدئ كل ما قاله الإخوان عن النظام الخاص وأسلحته، فقد قال معظمهم في كتاباتهم أن التنظيم وأسلحته كان هدف محدد، هو محاربة الإنجليز ومحاربة الصهانية لاستيلائهم على فلسطين، راجع في ذلك كتب محمود الصباغ وأحمد عادل كامل وغيرهما. وبالتأكيد فإن أحمد ماهر لم يكن من الإنجليز ولا من الصهانية ولا من المتعاونين معهم، بل كان

(١) راجع في ذلك: مذكرات مرتضى المرافى، ص ١٩٨-١٩٩، دار المعارف، مصر، سنة ٢٠٠٧م.



أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، جاهد فيها ضد الإنجليز، ولعلها ليست مصادفة أن اثنين من أبطال ثورة ١٩ الذين حكم عليها الإنجليز بالإعدام، ولم يتمكنوا من تنفيذ الحكم، قام بإعدامها فعلياً الإخوان، وهما أحد ماهر ومحمود فهوى النقراشى، أى أن التنظيم الخاص الذى أسسه حسن البنا نفذ ما عجز الإنجليز عن تنفيذه.

ولدينا شهادة مهمة تأتى من الولايات المتحدة، صاحبها هو هيرمان أيلنس الذى كان في حينه دبلوماسياً شاباً في المملكة العربية السعودية، يقول «أعرف أن أحد زملائي في السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقى بانتظام مع البنا» ثم يقول إن زميله هذا وجد البنا «متعاطفاً» معهم، ويقول كذلك «لا أعفد أن كان يساورنا القلق بشأنهم رغم أنه كان هناك قلق عندما اغتال الجهاز السرى لهم رئيس وزراء مصر»<sup>(١)</sup>، ولم يكن أيلنس وحده غير قلق، بل السفير الأمريكى في القاهرة كافرى، فقد كان هؤلاء الدبلوماسيون الأمريكيون في القاهرة وفي المملكة العربية السعودية مقتنعون بأن التنظيم الخاص أسس لاجتياال الشيوعيين في مصر ومحاربة الشيوعية، وأن تلك كانت قناة الملك فاروق أيضاً<sup>(٢)</sup>.

لا تعرف ماذا جرى في اللقاءات المنتظمة بين أحد ضباط السفارة الأمريكية بالقاهرة والمرشد المؤسس، وأما أن هذه اللقاءات كانت منتظمة ومتواصلة، فهذا يعنى أن هناك جيل أفكار متصل وأن يقول أيلنس إن زميله وجد البنا متعاطفاً، وأن يرى الدبلوماسيون الأمريكيون في الجماعة أداة قوية لمحاربة الشيوعية، فذلك مؤشر واضح عن أهداف التنظيم حين تأسيسه، لقد أسسه البنا لأهداف خاصة بالجماعة، في ذهنه وتصوره هو، بعيداً عن حكاية المقاومة الوطنية ضد الإنجليز والصهيونية في فلسطين، لأسباب عدة، أنه شرع في تأسيس هذا التنظيم بعد مؤتمر الجماعة ١٩٣٨م، ويذهب بعض الباحثين إلى أن التنظيم تأسس سنة ١٩٤٠م، وبعضهم يقول سنة

(١) روبرت دريفوس: لعبة الشيطان، مركز دراسات الإسلام والغرب، ٢٠١٠م، ص ٨٠.  
(٢) السابق، ص ٩٢.

١٩٤٢م، وقد وجدنا الصباغ يقول في كتابه عن التنظيم أنه التحق به سنة ١٩٣٩م وسبق إليه مصطفى مشهور، الذي أصبح فيما بعد مرشدًا عامًا للجماعة.

كان التنظيم فكرة ومشروع حسن البنا، وجاء تأسيسه تعبيرًا عن جانب أساسي في تفكير وشخصية حسن البنا، فهو من البداية لم يكن يؤسس جماعة دعوية بالمعنى التقليدي، من البداية كانت عينه على السلطة، وجدناه سنة ١٩٢٨م يوجه رسالة إلى الملك فؤاد، ويسعى إلى شركة قناة السويس في الإسمايلية ليأخذ من مديرها معونة مالية، ساهمها تبرعًا، وكان الاقتراب من هذه الشركة يدخل في باب المحرمات بالنسبة إلى عموم المصريين، وهو بعد ذلك عن دولة الخلافة وضرورة استعادتها.

في سنة ١٩٣٨م عقد المؤتمر الخاص للجماعة بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها، عقد المؤتمر بسرأي آل لطف الله في القاهرة، وألقى الرشد على جماهير الجماعة، الذين حضروا المؤتمر، خطبة مطولة تحدث فيها عن الجماعة وأهدافها، ولم يكن هو يعمل من تكرار مثل ذلك الحديث في كل مناسبة، مذكرًا الإخوان بجماعتهم. وفي هذه الخطبة وبعد أن تحدث عن الجماعة وجدناه يقفز إلى موضوع جديد، لم يكن قد طرحه أو تحدث فيه على هذا النحو وبهذه الصراحة. قال «يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المسائلين في حيرة. بل أنتهز هذه الفرصة فأكشف الكلام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء».

ولم تكن التساؤلات مطروحة من كثير من الناس، بل كانت مطروحة من بعض السياسيين والكتاب حول الأهداف الحقيقية أو الخفية للجماعة، كانت تحركات البنا وتصرّفاته تحركات سياسية في المقام الأول، لم يكن داعية ديني، هو ليس أزهريًا وليس متخصصًا في العلوم الدينية، بل كانت ثقافته الدينية متواضعة قياسًا

على علماء عصره، ومنذ الدور الذى لعبه فى استقبال الملك فاروق كان يتصرف كسياسى ويعامل هكذا؛ ولذا كان التساؤل مشروعاً وحقيقياً، وحين يقول فى الجملة الأخيرة (فليسمع من يشاء) فالحق سود بها ليس جمهوره ولا أعضاء الجماعة، بل من يتساءلون، يقولها بثقة، بل وبغطرسة واستهانة أيضاً.

وببدأ الإجابة بالقول «أما القوة فشعار الإسلام فى كل نظمته وتشريعاته» ثم يقول «إن الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة . قوة العقيدة والإيمان، وبلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن نصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعانى جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خادمة الإيمان فسيكون مصيرها القضاء والهلاك». أى أن قوة الساعد والسلاح تحتاج مرادفاً لها، وهو عقيدة قوية وإيمان نشط ونظام متماسك.. وهذا الذى يقول به البنا يستوى مع ما كان يقول به ستالين وهتلر وموسيلينى، باختصار الأنظمة الشمولية والفاشية، كان ستالين يتحدث عن قوة الأيديولوجية أو العقيدة الاشتراكية مع قوة السلاح السوفيتى وقوة التنظيم الشيوعى، وكذلك كان النظام النازى وأيضاً الفاشى. ثم يقول حسن البنا «أقول هؤلاء المتسائلين إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسيندرون أولاً. ويتنظرون بعد ذلك ثم يقومون فى كرامة وعزة، ويمثلون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح». وهذا أخطر تصريح، نحن بإزاء رجل يعترف أنه سوف يبني ويكون قوة الساعد والسلاح، أى قوة عسكرية ثم أنه على استعداد لاستعمالها وسوف يستعملها، هذا يعنى أننا بإزاء دولة داخل الدولة - أو دولة موازية.. طبعاً هو لم يقل لنا، متى - على وجه التحديد - سيتم استعمال القوة، وما هى حدود تلك القوة، ومن له تحديد متى يتم استعمالها ولا فى مواجهة من وضد من.. والفهم ضمناً أنه هو، أى المرشد

العام، من سيحدد ذلك، وأنها ستكون ملك يديه وستحرك بإرادته هو وتحديده.. والخطورة أن المرشد لم يكن يقتصر على الكلام فقط. لم يكن يقول كلام من باب الخطابة والحفاصة، بل كان يقوله في مجال الفعل والعمل المباشر على الأرض وفي الشارع، وسباق كلامه لم يكن يحتمل أنه سيستعمل القوة في المجال الخارجي، بل هي على الوجه الأغلب سوف تكون في الشارع والمجال الحيوى الذى يتفاعل ويعيش فيه وهو المجتمع المصرى بكل مكوناته.

وما يقوله حسن البنا بعد ذلك يزيد ما سبق إيضاحًا وتأكيدًا، إذ يطرح تساؤلًا جديدًا أو مكملًا صاغه على النحو التالى «يتساءل فريق آخر من الناس: هل في منهاج الإخوان أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء والمتسائلين أيضًا في حيرة ولا نبخل عليهم بالجواب.

ونأتى إجابته صريحة ومباشرة «الإسلام الذين يؤمن به الإخوان يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقدئذ قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وقد جعل النبى (ﷺ) الحكم عمود من عرى الإسلام. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم. كما هو قانون وقضاء، لا يتفك واحد منها عن الآخر.

إذن الحكومة عند الإخوان ركن من أركان الإسلام، والحكم من العقائد والأصول وليس من الفروع ولا من الفقهيات، صحيح أننا تعلمنا من قول رسول الله أن الإسلام خمسة أركان، وهى الشهادات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، لكن حسن البنا يضيف ركنًا سادسًا وهو الحكومة، ويجعله من العقائد، أى أن من يتجنب هذا المبدأ ويتعد عنه يكون قد خرج عن الإسلام وهو ركن من أركانه؛ لذا نراه يقول في نفس الخطبة منبدأ بالعلماء المسلمين الذين لا يطالبون بالحكم ولا يسمعون إليه. يقول «إن قعود المصلحين

الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف».

والمنى أن نصليحاً في قامة الشيخ محمد عبده يعد مرتكباً جريمة إسلامية حين قال: لعن الله فعل ساس ويسوس.. ومصطلحاً في وزن عبد الرحمن الكواكبي الذي راح يتناد بالاستبداد يعد مرتكباً جرمًا لأنه اكتفى بالكتابة ولم يقيم بالسعي نحو الحكم.. على أن اللافت في كل ذلك كلمة حسن البنا «الإسلام الذي يؤمن به الإخوان» أي أن هناك إسلام خاص بالإخوان! إسلام يختلف عن ذلك الذي نعرفه جميعاً، أي إسلامنا وإسلامهم... وإذا كان الإسلام كعمقته ودين ثابت وواحد، فلماذا يختص إسلام للإخوان يؤمنون به؟!!

لن نلمس في كلمات البنا إشارة من قريب ولا من بعيد إلى الاستعمار الإنجليزي، ولم نجد كلمة واحدة تصرحاً ولا تلميحاً حول الصهيونية وما تقوم به في فلسطين، نحن في حديث عن قضية محددة هي تكوين القوة.. وأن هدف هذه القوة هو الوصول إلى الحكم، باعتباره ركنًا من أركان الإسلام الذي يؤمن به الإخوان.

ويجب القول إنه في ذلك العام ١٩٣٨م لم يكن هناك حديث ولا تصورات في مصر عن مقاومة مسلحة أو نضال ضد الإنجليز، كانت مصر وقعت قبل عامين معاهدة سنة ١٩٣٦م، وكانت هناك حالة تفاؤل عامة بأن تلك المعاهدة حققت خطوة كبيرة في طريق الاستقلال وأنها تفتح الطريق نحو الاستقلال التام، ويجب القول كذلك إن الملك فاروق وقتها كان في بداياته، وكان هناك تفاؤل كبير به، فقد خلف والده العنيد الطاغية وهو شاب مفعم بالأمال، مقدم على الحياة، ليس لديه طغيان والده ولا شرسته.. كانت فترة من التفاؤل الجاد، ولنتذكر أنه في السنة نفسها كان طه حسين انتهى من كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» الذي تحدث فيه عن مستقبل جديد، مفعم بالأمل والطموح.. وكان لدى حسن البنا طموح آخر هو الوصول إلى الحكم.



في فلسطين كانت هناك درجة من التفاؤل، كان الفلسطينيون قاموا بثورتهم العظيمة سنة ١٩٣٦م مما أدى إلى تراجع الشروع الصهيوني قليلاً، وأدخلت في الأدرج فكرة تقسيم فلسطين، وبدأ الإنجليز على استمداد لتفهم مطالب الفلسطينيين ومناقشتها، وهكذا كانت اللحظة - فلسطينياً - فيها قدر من التفاؤل وحالة من الإيجابية، كان الشعب الفلسطيني في موقف القوة وأثبت أن لديه قدرة على الضغط ويديه الكثير من الأوراق تساعد على الضغط.

باختصار .. حين أسس البنا تنظيمه المسلح فإنه كان جزءاً أصيلاً من مشروعه وتفكيره، وقدم في خطبته، الأساس العقائدي والأيدولوجي له، ومشروع التنظيم كان يبدأ من مصر ويتركز فيها بالأساس ، أى أن التنظيم كان يتعلق بأمور تخص تعامل الجماعة مع المجتمع المصرى ومع القوى والتيارات السياسية والفكرية وأيضاً الدينية الأخرى، أما حكاية أن التنظيم تأسس ليعمل ضد الاحتلال الإنجليزي والصهيونية، فهذا تبرير قيل حين تكشف الوجه القبيح والإرهابي للتنفيذ بعد اغتيال المستشار أحمد الخازندار، فالاعتداء على هذا النحو الفج على رجل قضاء، يعنى أن التنظيم لم يكن مستعداً أن يترك أحد دون أن يقترب منه برصاصه، وإذا وقف في طريق الجماعة ومشروعها، أى طريق حسن البنا.

★★★

جرى اغتيال المستشار أحمد الخازندار لأنه أصدر أحكاماً على عدد من أعضاء الجماعة اعتبرها التنظيم الخاص قاسية، فنقرر إطلاق الرصاص عليه.. بعدها جرى اغتيال اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة .. فضلاً عن أعمال إرهابية أخرى مما اضطر النقراشى باشا إلى إصدار القرار بحل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨م فردت عليه الجماعة بالاعتقال في نفس الشهر.. فأصدر حسن البنا بيانه الشهير «ليسوا إخواننا وليسوا مسلمين».. وبسبب هذا البيان ظهر القول لدى بعض كتاب الجماعة إن

التنظيم انفلت عقاله وإن قاتله عبد الرحمن السندى كان يتخذ هذه القرارات وينفذ عمليات الاغتيال من وراء ظهر حسن البنا، ومن ثم فلا مسؤولية تقع على حسن البنا، وتقع المسؤولية على التنظيم وقيادته.. وهذا ما رفضه السندى تماماً ومعارضين، وراحوا يؤكدون على أن البنا هو من أصدر إليهم الأوامر.. وثار خلاف داخلى الجماعة، حول هذا الأمر - الشيخ محمد الغزالي يبرئ البنا، فنراه يقول : « كان الأستاذ حسن البنا نفسه، وهو يؤلف جماعته فى المعهد الأول يعلم أن الأعيان والوجهاء وطلاب التسليية الاجتماعية الذين يكثرون فى هذه الشكليات لا يصلحون لأوقات الجدل. فألف ما يسمى بالنظام الخاص، وهو نظام يضم شبيهاً مدربين على القتال، كان أن الغرض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من الإنجليز واليهود. وقد كان هؤلاء الشبان الأخفيا شراً وبيلاً على الجماعة فيما بعد، فقد قتل بعضهم بعضاً وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب فى يد من لا فقه لهم فى الإسلام ولا تمويل على إدارتهم للصالح العام»<sup>(١)</sup>.

الشيخ الغزالي يشير هنا إلى واقعة قيام التنظيم الخاص باغتيال سيد فايز، بأن أرسلوا إلى بيته هدية عبارة عن علبة من الحلوى مفخخة، وكان السبب أن المرشد العام حسن المصطفى قرر تعيينه مسؤولاً للتنظيم الخاص.. لكن ما يقوله الغزالي عن أن البنا أسس التنظيم لأنه كان يدرك أن الوجهاء والأعيان والراغبين فى التسليية الاجتماعية لن يصلحوا لأوقات الجدل، مناف للوقائع، فالذين دخلوا الجماعة فى عهدها الأول لم يكونوا كذلك، لم يكن بينهم وجهاً ولا عيناً من الأعيان، بل كانوا مواطنين بسطاء.. بسطاء فى تعليمهم وثقافتهم، وفى وضعهم الاجتماعى والاقتصادى.. كان بينهم النجار والسباك والحداد، وهكذا.. ولأول مرة نعرف أن الجماعة دخلها فى عهدها الأول راغب التسليية الاجتماعية، أى أناس يبحثون عن

(١) محمد الغزالي: من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة، ص ٢٦٤.

جماعة لتمضية وقت الفراغ، بدلاً عن جلسات التسمية والمقاهى والنوادي بمعيار ذلك الزمان. ويقول الغزالي إنه كان مفروضاً أن يقوم أعضاء التنظيم الخاص بمكافحة الإنجليز واليهود، ولا تعرف من فرض ذلك؟ ذلك أن هذا التنظيم بدأ فعلياً بخارب المصريين وليس الإنجليز، حدث ذلك في عهد البنا نفسه.

وفي مذكراته يحكى د. عبد العزيز كامل أنه حضر في مارس ١٩٤٨م اجتماعاً في المركز العام للإخوان حضره المرشد العام حسن البنا وقادة التنظيم الخاص، كان الاجتماع حول مقتل المستشار أحمد الحازندار.. يكتب عبد العزيز كامل «قال الأستاذ: إن كل ما صدر منه من قول تعليقاً على أحكام الحازندار في قضايا الإخوان «لو ربنا نخلصنا منه». أو لو نخلص منه، أو لو أحد نخلصنا منه، معنى لا يخرج عن الأمنية ولا يصل إلى الأمر، فالأمر محدد وإلى شخص محدد، ومن لم يصدر أمراً، ولم يكلف أحداً بتنفيذ ذلك»<sup>(١)</sup>.

ثم يحكى د. عبد العزيز أنه وجه السؤال إلى المرشد العام:

- هل أصدرت فضيلتكم أمراً صريحاً لعبد الرحمن بهذا الحادثة؟

- قال: لا.

- هل تحمل دم الحازندار على رأسك وتلقى به الله يوم القيامة؟

- قال: لا.

وتوجه بالسؤال نفسه إلى عبد الرحمن السندى مسؤول التنظيم الخاص:

- ممن تلقيت الأمر بهذا؟

- فقال: من الأستاذ.

- قلت: هل تحمل دم الحازندار على رأسك يوم القيامة.

- فقال: لا.

(١) عبد العزيز كامل: في نهر الحياة ص ٤٦، المكتب المصري الحديث، ط ٢٠٠٦م.

وذكر د. عبد العزيز أنه قال «الأستاذ ينكر وأنت تنكر، والأستاذ يتبرأ وأنت تبتبرأ»، فرد عليه عبد الرحمن: عندما يقول الأستاذ أنه يتمنى الخلاص من الخازندار، فرغبته في الخلاص أمر منه». وبسبب الحال على هذا النحو.. المرشد «طوال الجلسة: أنا لم أقل ذلك، ولا أحمل المسؤولية».

وعبد الرحمن يرد: لا أنت قلت لي وتحمل المسؤولية<sup>(١)</sup>.

من يتحمل المسؤولية، السندى نفذ العملية واغتال المستشار، أى قتل مواطنًا مسلمًا، وفي الواقع قتل معه آخر وهو الذى نفذ عملية القتل ويتنظره حكم الإعدام، لكنه بصر على أن تلقى أمر من المرشد والمرشد يقول إنه لم يأمر، بل «تمنى» الخلاص من المستشار، وحتى لو لم يأمر بشكل مباشر فهو يتحمل المسؤولية. فلو أن رئيس دولة جلس مع رئيس المخابرات وقال أمامه أنه يتمنى الخلاص من شخص، فهذا من الناحية العملية أمر مباشر، فلو أن الرئيس الأمريكى استدعى مدير المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) وقال له إنه يتمنى الخلاص من أسامة بن لادن، فهذا أمر مباشر بالعمل على التخلص منه ولا شيء غير ذلك. وحكاية الأمر المباشر من عدمه، فهى سفسطة إجرائية فقط، المرشد يتمنى إذا جلس بين ناس عاديين، لكن بين مقاتلين، يأثمرون بأمره، وهو قائدهم الأعلى، فالأمر يختلف.

ذلك الاجتماع الذى يتحدث عنه عبد العزيز كامل شارك فيه محمود الصباغ، وهو أحد معاونى السندى، يكتب الصباغ بالحرف بأن هناك تعليقات من المرشد العام عن بعض الأحداث «يقصد بها مجرد الكتمان لحقائق هذا الأمر، فى هذا الظرف». ثم يتحدث عن طبيعة العمل فى ذلك التنظيم بأنها، لا تسمح لقائد ولا لأحد من المسؤولين فيه أن يقوم بأى عمل دون إذن المرشد العام وأمره، وأن كل اختصاصات قيادات النظام الخاص محصورة فى الأعمال التنظيمية والتربوية لرجالها،

(١) يمكن مراجعة المشهد كله فى مذكرات عبد العزيز، كامل ص ٤٧-٤٨.

ووضع الخطط التنفيذية للعمليات التي يتلقون الأمر بالقيام بها من المرشد العام شخصياً<sup>(١)</sup>. ثم يضيف «ولو كان الأمر على غير ذلك لكان النظام الخاص عصابة مستقلة، تهدد كيان الجماعة، بالقيام بأعمال لم يأذن بها مرشدوها لكون أعضائه جميعاً أعضاء في الجماعة»<sup>(٢)</sup>. ثم يقول مدافعاً عن رجال ذلك التنظيم بأنهم «رجال النظام الخاص، رجال لا يتميزون إلا بصديق العقيدة والاستعداد للاستشهاد في سبيلها، بالذنب كل ما يملكون من دم ومال ومديرين تدريجياً كائناً على ما يقومون به من عمليات، وليس لهم من أمر الفتيا بجواز عمل من الأعمال، أو تقدير الأثر السياسي لأي من هذه الأعمال، شيء على الإطلاق... فالفتيا في هذه الأمور، وتقدير آثارها، متروكة تماماً لحكمة المرشد العام وفقهه»<sup>(٣)</sup>.

يحسم هذا الأمر ما حدث في نهاية الاجتماع الذي حدثنا عنه د. عبد العزيز كامل إذ يذكر «قلت له - والمقصود حسن البنا - هل تترك المسائل على ما هي عليه، أم تحتاج منك إلى صورة جديدة من صور القيادة، وتحديد المسؤوليات؟» فرد البنا «لا بد من صورة جديدة وتحديد مسؤوليات.. واستقرار على تكوين لجنة تضم كبار المسؤولين عن النظام، بحيث لا ينشرد عبد الرحمن برأى ولا تصرف، وتأخذ اللجنة توجيهاتها الواضحة المحددة من الأستاذ وأن يوزن هذا بميزان ديني يقتضى أن يكون من بين أعضائها - بالإضافة إلى أنها تتلقى أوامرها من الأستاذ - رجل دين على علم وإيمان، ومن هنا جاء دور الشيخ سيد ميثاقاً لحركة الآلة العنيفة»<sup>(٤)</sup>.

سوف نلاحظ أن المجتمعين بمن فيهم حسن البنا تعاملوا مع جريمة قتل المستشار على أنه خطأ في الفهم وقع ولا أكثر من ذلك، رغم أن عقوبة القتل في

(١) محمود الصباغ: التصويب الأمين، ص ٣٣.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) مذكرات عبد العزيز كامل، مرجع سابق، ص ٤٨.



الإسلام معروفة، وما حدث لم يجعلهم يعيدون النظر في المشروع أو في وجود التنظيم الخاص وطبيعة عمله، ولكنهم فقط قرروا أن لا يتفرد عبد الرحمن السندى بالرأي، وأن يرجح إلى المرشد العام.. ولا جديد في ذلك لأن السندى قال إنه لم يتصرف من تلقاء نفسه، لكنه سمع من المرشد العام، الجديد هو ضم الشيخ سيد سابق، وبعد مقتل النقراشي، اعترف قاتله بأن سيد سابق من قدم له الأدلة الشرعية على استحقاق النقراشي للقتل.

هذه النهاية للاجتماع نجعلنا نتأكد من أن البنا لم يكن ضد الاغتيال ولا ضد تصفية الخصوم، هو فقط أكد على ضرورة الرجوع إليه عند تنفيذ العملية، وفي ضوء هذه التعديلات - الوهمية في الواقع - على التنظيم الخاص تمت تصفية النقراشي. هنا تقع المسؤولية بالكامل على حسن البنا.

في جريمة اغتيال أحمد ماهر أنفذ صمت العيسوي التنظيم والجماعة، وساعد ضعف قدرات رجال الأمن على عدم المتابعة والبحث للوصول إلى شركاء العيسوي الثلاثة الذين اختفوا بعد تنفيذ الجريمة، وبعد اغتيال الخازندار كانت هناك فرصة ذهبية للبنا لإنقاذ الجماعة ولإنقاذ مصر، لكنه كان ينطوى على رغبة في تخويف الآخرين وإرهابهم، هل نذكر هنا ما رواه فتحي رضوان في مقال له بمجلة الدوحة بأنه يوم اغتيال الخازندار التقى مساءً بحسن البنا عابراً، فقال له البنا بثقة «هه.. هل أدرك الناس الآن ما يمكن أن نفعله؟». كانت أمامه خطوات يمكن أن يتخذها وقرارات حاسمة كان عليه اتخاذها، منها:

أولاً: إما وأنه ذهب إلى أن السندى أساء فهم التوجيه وأساء فهم كلمة المرشد، وبناء على هذا قام بارتكاب جريمة اغتيال أحد رجال القضاء، فكان الواجب عزل السندى وإحالاته إلى محاكمة أو تحقيق تأديبي داخل الجماعة.. لكن لم يتخذ أى إجراء نحوه وأبقى عليه في موقعه هو والجموعة المعاونة له، بل حظى التنظيم بتأكيد دوره وعمله.

ثانيًا: كان أمام المرشد العام خطوة أكثر جذرية، وهى أن يقوم بتصفية التنظيم الخاص وحله. وتوزيع أعضائه على جوانب عمل الجماعة، وتسليم سلاحه إلى الداخلية، وكان ذلك ممكنًا وبلا عقاب، أو حتى تقديمه هدية للفلسطينيين، ويكتفى بالكارتة التى وقعت.. لكنه لم يفعل.

ثالثًا: كان ممكنًا أن يقوم بعملية مراجعة لتوجه الجماعة التى قادها هو إليه، وهو الغرق فى مستنقع السياسة بأحط أشكال ممارستها، وأن يجعل من الجماعة جماعة للدعوة إلى الفضائل وحسن الخلق، لكن حسن البناء كان مأخوذًا بجاذبية اللعب فى كواليس السلطة والديوان الملكى واستقبال مندوبى السفارات الأجنبية وأجهزة مخابراتها.

رابعًا: كان يمكن أن يصدر قرارًا صارمًا - شفوياً أو كتابياً - بأنه ممنوع على التنظيم الاعتداء على حياة أى مصرى أينما كان السبب، أو عدم تهديد أى مواطن مصرى، مهما كان من اختلاف له مع الجماعة أو حتى عداؤه ورفض لها. لكننا وجدناه فى أزمة مصرع الخازندار يحصر القضية فى هل قال مباشرة للسندى اقتله أو أن السندى فهم ذلك، بينما لم يبد استنكاراً لمبدأ الاغتتيال ذاته وتهديد حياة الأمنيين والاعتداء على المدنيين.

خامسًا: كان من الممكن أن يضم إلى عضوية التنظيم عضوًا بالجماعة من القانونيين أو متخصصاً فى الشريعة الإسلامية، يكون ضابط إيقاع لذلك التنظيم ويحد من اندفاع أعضائه، بل حتى يكون مستشار للمرشد نفسه، باعتباره القائد الأعلى للتنظيم، يستشير به ويأخذ رأيه فى بعض العمليات، خاصة ما يتعلق منها بالمواطنين المصريين وممتلكاتهم.. لكنه لم يفعل.

سادسًا: هناك خطوة إنسانية، تعبر عن اللياقة والمسؤولية الإنسانية، وتمثل الحد الأدنى من الفعل أو أضعف الإيمان، وهو أن يصدر بيانًا باسمه يعتذر فيه عن الجريمة

التي ارتكبت، اعتذاراً إلى السادة القضاة، لما حدث في حق واحد منهم، أو أن يصدر بيان اعتذار إلى أسرة المستشار أحمد الخازندار، أو يعرض دفع تعويض مناسب لهم.. أو حتى دية، شيء بسيط يعبر به عن الاعتذار ويؤكد به أن ما وقع بحق الخازندار لا يعبر عن اتجاه أساسي للجماعة أو رغبة خاصة لديه، وأن مرتكب الجريمة والفعل كله عملاً استثنائياً وقع، يتحمل مسؤوليته من قام به.. وكان يمكن إصدار بيان عام للمصريين بأن جريمة الاغتال التي تمت لن تتكرر ثانية بحق أي مصري، أيما كان موقعه أو موقفه منهم.

ذكر د. محمود عساف أن هناك من اقترح على المرشد دفع دية لأسرة الخازندار، لكنهم اكتشفوا أن الحكومة دفعت تعويضاً للأسرة، فاعتبروا ذلك إسقاطاً للدية الواجبة عليهم.

الواقع يؤكد أن البنا لم يفعل أي شيء، بل أبقى كل شيء كما هو، ومن ثم كان طبعاً أن يستفحل التنظيم ويتوحش ثم يقدم على ما هو أسوأ وأخطر.. وكانت النتيجة النهائية أن شرب البنا الكأس نفسها، وجرى له ما جرى على الآخرين..

## القصاص بالثأمين

### حرب فلسطين

#### أحمد حسين وليس حسن البنا

من شباب محمد إلى حسن أفندي البنا

«إنك لم تكن أميناً على الحوادث ولعلك ما زلت تذكر الحديث النبوي الشريف أن المؤمن قد يفسق وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط».

السائد في أدبيات جماعة الإخوان المسلمين أن النقراشي باشا أصدر قرار حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨م، استجابة لضغوط وأوامر أجنبية، إنجليزية وفرنسية وأمريكية، وهذه الأوامر صدرت عن دوافع صهيونية، وذلك انتقاماً من الجماعة للدور البطولي الذي قامت به في حرب فلسطين، وأنه لو لا قرار الحل فإن الجماعة كانت على وشك إنقاذ فلسطين وإيادة إسرائيل نهائياً، يقول كتاب الجماعة ذلك تبريراً لما قاموا به من اغتيال النقراشي، نجد ذلك واضحاً في كتاب محمود الصباغ «حقيقة التنظيم الخاص»، ولدى آخرين من كتابهم، لكن ما رده هؤلاء الكتاب لإثبات تهمة الخيانة والكفر على رئيس الوزراء، وأنه كان يستحق الاغتيال، انتقل إلى مجال آخر قائماً، وهو أن الجماعة ومرشدها المؤسس تعرضوا للحل سنة ١٩٤٨م استجابة للضغط الصهيوني، وأن الجماعة كانت مهبةً بمتطوعاتها وأسلمتها لإنقاذ فلسطين من الضياع، لكن حكام مصر، آنذاك، أئى النظام الملكي عملاً في الملك فاروق ورئيس الوزراء محمود النقراشي تدخلوا في اللحظة الأخيرة لإنقاذ إسرائيل من دمار محقق، ومن ثم فقد أضاعوا فلسطين..

يذهب إلى ذلك من يوصفون بالمعتدلين داخل الجماعة، ومن يوصفون بالتشدد، أي أنه موضع إشقاق بين مختلف أطراف الجماعة، وكذلك بين أجيالها المتباينة، فلم زال هذا الكلام يتردد إلى اليوم، وفي ديسمبر سنة ٢٠٠٨م، في ذكرى مرور ستين عامًا على اغتيال النفراسي، أعادت الجماعة إنتاج نفس الأفكار، بالكلمات ذاتها، لكن بلهجة أشد حدة وأشد ثقة.

د.حسان حنتوت، أحد الذين عاصروا البنا وعاشوه، يقول «في اعتقادي أن السبب الأول لحل الإخوان، كان الطريقة التي حاربوا بها في فلسطين. الداخل والخارج خافا من هذه العقيدة التي تحمل في المصرى العادى المسالم بطبعه فتحيله إلى الفدائية والبسالة اللتين لم تكونا معروفتين في ذلك العهد»<sup>(١)</sup>. ثم يقول «الملك والأحزاب في الداخل والصهيونية والاستعمار في الخارج كانوا في خندق واحد تجاه الإخوان»<sup>(٢)</sup>. ثم يقول «وعلمنا من بعد أن سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا قابلوا الملك وطلبوا منه حل الإخوان»<sup>(٣)</sup>.. وإذا كان د.حسان يقطع بأن السفراء الثلاثة التقوا الملك فاروق وطلبوا إليه أن يحل الإخوان، فإن غيره من كتاب الجماعة لا يصلون إلى هذا اليقين، حيث يذكرّون أن السفراء الثلاثة اجتمعوا في فايد وأوعزوا إلى الحكومة المصرية أن تتخذ هذا القرار، أى أنهم لم يلتقوا الملك ولم يتصلوا به، ولكنهم «أوعزوا» إلى رئيس الحكومة، أى لم يطلبوا منه ذلك مباشرة، والمفاجأة أن الذى قال بذلك المرشد الأول حسن البنا نفسه في معرض رده على مذكرة الحل التى رفعها وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار.. وبعد مرور كل هذه السنوات وتكشف الكثير من الوثائق، فإن السفراء الثلاثة لم يجتمعوا وقتها في فايد، ولم يستقبلهم الملك فاروق في تلك الفترة، ولم يستقبلهم أبداً مجتمعين، وإن قرار الحل اتخذته النفراسي بعد حوادث الإرهاب التى قاموا بها، خاصة مقتل الخازندار، وأن هناك فريقاً في الداخلية

(١) حسان حنتوت: عشر سنوات مع الإمام حسن البنا، دار الشروق، ط ٢٠٠٠م، ص ٧١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٢.



المصرية كان يعارض قرار الحل، لأن الداخلية لم تضع يدًا على كل عناصر التنظيم الخاص ولا تعرف حجم ما لديه من أسلحة وذخائر.

يقدم حسين محمد أحمد حمودة في كتابه «حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون» نفس التفسير لكن بحجيات أخرى كأحد ضباط الصف الثاني في تنظيم الضباط الأحرار.

يقول «كان الملك فاروق ينظر بعين الريبة إلى الإخوان المسلمين ويخشى أن يؤلفوا جيشًا في فلسطين يكون خطرًا على عرشه. حقًا لقد كان الإخوان المسلمون خطرًا على إسرائيل، وقد فهم اليهود ذلك حق الفهم في ميدان القتال، فأوحى اليهود إلى الإنجليز الذين أوحوا إلى الملك فاروق وأدخلوا في روعه أن استمرار الإخوان في جهادهم بفلسطين والنشاط الذي يجريه حسن البنا في مصر لتجهيز قوات الإخوان في كيفة ليدخل بها فلسطين وإيقاظه لروح الجهاد الديني في الشعب المصري سيصبح خطرًا داهيًا على عرش فاروق، فأمر الملك فاروق رئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي باتخاذ الإجراءات اللازمة للبش بجماعة الإخوان المسلمين واستئصال شأفتهم»<sup>(١)</sup>.

هنا يبدو أن الضغط كان إنجليزيًا فقط، وأن صاحب قرار الحل هو الملك فقط، وأن النقراشي باشا كان مجرد منفذ لأمر الملك فقط. أي أنه لم يكن ضالعًا في مؤامرة دولية لصالح الصهيونية، لكن رئيس وزراء ينفذ تعليمات الملك، الذي كان خائفًا على عرشه من البنا!!

ما يعنينا الآن هو ما يتعلق بفلسطين، إذ يقول «ولو ترك حسن البنا على حريته لدفع إلى فلسطين بعشرات من الكتائب الإخوانية ولتغيرت نتيجة حرب فلسطين لا محالة. وخشى الملك فاروق أن يطمع حسن البنا في حكم مصر وبخاصة بعد أن

(١) حسين محمد أحمد حمودة: أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، الزهرام للإعلام العربي، ط٤، سنة ١٩٩٤م، ص ٥٩.

ظهرت بسالة وفداية متطوعى الإخوان فى الحرب، فقرر التخلص من الشيخ حسن البنا بقتله واغتياله<sup>(١)</sup>.. هنا يجنبى الملك من قرار الحل ويظهر فى قرار الاغتيال.

هذا المنهج فى تفسير قرار الحل، بدأه حسن البنا، فقد أعد «البنا» مذكرة للرد على مذكرة عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية بحل الجماعة، وأطلق البنا على مذكرته عنوان «قضيتنا»، ولم يقتنع فيها بأسباب حل الجماعة، ثم قال «مستحيل أن يكون الدافع الحقيقى لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه فى مقاصد الإخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للأمن والسلام، وهو ما لم يعتمد عليه دليل ولا برهان، ويكمن الدافع الحقيقى فيما نظن فى انتهاك الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطراب السياسة الدولية وقلق الموقف فى فلسطين، وتردد سياسة مصر بين الإقدام والإحجام فتشددوا للضغط على الحكومة، وقد صرح بذلك سعادة عمار بك نفسه، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا فى فايد وكتبوا لدولة الترانسلى صراحة بأن لا بد من حل الإخوان المسلمين. وكان فى وسع دولته أن يجرهم من مثل هذا التدخل فى شأن داخلى بحت». وعلى هذا النحو يواصل البنا الكلام إلى أن يقول عن الترانسلى بدلاً من ذلك استجاب لهذه الرغبة الأجنبية وإصدار قرار الحل فأشمت الأعداء وأحزن المؤمنين الأتقياء».

ويكشف هذا النص عن غرور وثقة مطلقة، حين يقطع بأنه «مستحيل» أن تكون الدوافع الحقيقية للحل هى ما وردت بمذكرة عمار، ثم هو يقع فى تناقض حين يقول إن هناك «بعض الحوادث» وقعت، دون أن يحددها ولا أن يجدد من قام بها، لكن بين هذه الحوادث «اغتيال رئيس محكمة فى الشارع العام... وينسب حكاية اجتماع السفراء الثلاثة فى فايد إلى عبد الرحمن عمار، وقد قام عمار بتكذيب البنا ونفى أن يكون قد قال ذلك، نفاه فى تحقيقات النيابة العمومية بعد اغتيال الترانسلى باشا،

(١) المرجع السابق، ص ٦٩.

ولو أن هذه الواقعة حدثت فالذي يصرح بها ليس وكيل وزارة الداخلية، بل يصدر التصريح عن مكتب رئيس الوزراء أو عن وزارة الخارجية باعتباره يدخل في اختصاصها أو عن أحد من السفراء الثلاثة .. كان حسن البنا يكذب في هذه الجريئة وصدقه مريدوه، لقد تكشف الكثير من الوثائق بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ولو أن شيئاً من ذلك حدث لما أخفاه الضباط الأحرار، فضلاً عن أن الوثائق الأجنبية حول تلك المرحلة كشفت، والأهم من ذلك أن العلاقة بين الدول الثلاثة «بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة» لم تكن على هذه الدرجة من التقارب، فقد كانت أمريكا تسمى إلى إزاحتها من المنطقة، ولا أفهم لماذا وقع اختيار البنا على مدينة فايد... رغم أنها لم تكن مدينة رئيسية في مصر، لماذا لا تكون الإسماعيلية، حيث مقر شركة القناة ولماذا لا تكون القاهرة أو الإسكندرية؟!

ويشعر المرء في كتابات الإخوان وكأنهم وحدهم انشغلوا بالقضية الفلسطينية، وكانوا مهمومين بها، وضعوا من أجلها وعوقبوا بسببها واضطهدهم العالم كله لهذا السبب، والواقع أن ذلك أبعد عن الحقيقة، وفيه إصرار على إنكار جهود آخرين، قبل الإخوان، ولو راجعنا الواقع فلم يكن هم وحدهم الذين انشغلوا بها ولا كانوا أول من اهتم بها ولا أكثر من بذل جهداً أو تضحية، بل الصحيح أنه كما استغلت أطراف عديدة القضية الفلسطينية لإضفاء هالة من الوطنية والإخلاص على أنفسهم وتبرير أشياء كثيرة، فإن الإخوان أجادوا استغلال هذه القضية للتنغيط على أعمال إرهابية قاموا بها وانتهازية سياسية مارسوها.

ومنذ وقت مبكر، شغلت الصحافة المصرية وعدد من الكتاب بما يجري على أرض فلسطين، كان ذلك منذ تسعينيات القرن التاسع عشر، وتواصل الاهتمام بها، وحين صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م فرح له كثير من المصريين ونددت به شخصيات عديدة، ولما وقع حادث البراق سنة ١٩٢٩م ألقى عدد من الشخصيات المصرية بأنفسهم في القضية وفي مقدمتهم محمد علي علوبة، وشغلت الثورة

الفلسطينية سنة ١٩٣٦م المصيرين جميعاً، ونقرأ في مذكرات لورد كيلرن أنه التقى مصطفى النحاس رئيس الوزراء على العشاء مساء ٤ يوليو سنة ١٩٣٧م وتحدثا عن المسألة الفلسطينية، يقول السفير «وأبلغني بأنه لا يجبذ إطلاقاً الاقتراح الخاص بالتقسيم، وأنه على ثقة من أن العرب لن يوافقوا على ذلك أيضاً، وأكثر من ذلك فإنه كرئيس لوزراء مصر لا يمكن أن يتعاطف مع الاتجاه الداعي إلى إقامة دولة على حدود فلسطين»<sup>(١)</sup>. فالححاس باشا يبلغ السفير البريطاني في مصر أنه يرفض فكرة تقسيم فلسطين وأنه لا يوافق على إقامة دولة لليهود في فلسطين. ويواصل السفير حديثه عما سمعه من النحاس باشا «ويرى أن الحل الجذري والمقبول هو إقامة حكومة عربية في فلسطين تربط بإنجلترا وتحالف وثيق مع ضمان حرية الأديان لكل مواطنيها من اليهود والمسلمين والمسيحيين وغيرهم، فقلت له إنني أوافق على ذلك، إلا أن ذلك الاتجاه يتجاهل سلطات الانتداب والتي اعترفت بفلسطين وطن قومي لليهود»<sup>(٢)</sup>. ويقول السفير إن النحاس لم يهتم بقوله واستطرد قائلاً «إن فكرة الانتداب لم تكن بالفكرة الصائبة أصلاً وتعين التخلص منها»<sup>(٣)</sup>. .. أي أن طبقاً لرأي النحاس يجب أن تنتهي بريطانيا الانتداب على فلسطين وتسلمها لأهلها كي تقوم فيها حكومة عربية.

ونقرأ أيضاً في مذكرات السفير أنه التقى الملك ظهر يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٧م حيث دار بينهما حديث وصفه السفير بأنه «ودي» وكان الحديث حول فلسطين، يذكر السفير بالحرف «وقال جلالتة إن بلقور كان سخيلاً عندما منح البعض وعوداً بأشياء لا يملكها إذ أنها من حق أناس آخرين .. فقلت له إنني أوافق»

(١) راجع مذكرات اللورد كيلر في مصر، ترجمة وتحقيق د. سامي أبو النور، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ، ص ١١١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.

الرأى فى ذلك»<sup>(١)</sup>. ذلك هو رأى جلالة الملك بعد عام من توليه الحكم، وكان الملك نفسه، هو من أخذ على عاتقه السّاح لفتى القدس بالمجيء إلى مصر رغم أنّه كان مطارداً من الإنجليز . وحين تأسست الجامعة العربية ويسعد بها الجميع بمن فيهم مرشد الإخوان يكتب د. طه حسين (عميد الأدب العربي) منبهاً إلى أن معيار بقاء ونجاح الجامعة الأكيدة هو فيما تقدمه إلى فلسطين وعرب فلسطين في محنتهم التى تهدد وجودهم.

كان التعاطف مع قضية فلسطين رسميًا وشعبيًا، لم ينفرد به تيار أو حزب أو جماعة.. ثم تطور التعاطف إلى المناذاة بجمع التبرعات وإرسالها إلى الفلسطينيين لمعاونتهم على مواجهة الصهيونية، ولم تكن هناك جهة بمعناها تتولى الجمع، تبرع بعض الأعيان ونشطت مصر الفتاة والإخوان المسلمين فى جمع التبرعات من أعضاء كل منها، ثم وقع خلاف ضخم داخل جماعة الإخوان، كان الخلاف بين مجموعة من الأعضاء مع المرشد العام حسن البناء، وكان ذلك مطلع عام ١٩٤٠م، ونشر هؤلاء الغاضبون بيانًا لهم فى مجلة النذير (أول فبراير ١٩٤٠م) بعنوان «قضية فى سبيل الله .. موقفنا النهائي من جمعية الإخوان المسلمين». أخذ فيه الغاضبون أربعة أمور على المرشد العام، حمل الأمر الثالث منها عنوان «التلاعب المالى» وفيه قالوا إنهم طلبوا إلى فضيلة المرشد تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه وتكون الهيئة مسؤولة أمام الإخوان، لكن أعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذى نعدده طلبًا عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة». وكان من نتيجة ذلك حدوث خلل وتجاوزات مالية فى عدة أمور، نتوقف نحن - هنا - عند ما ورد فيها متعلقًا بالقضية الفلسطينية وننتقله بالحرف الواحد: « قد جمع فى خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة فى محتنها التى تجتازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنيهاً مصرياً، وما لا شك فيه أن

(١) المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.



هذا المبلغ يعتبر أمانة في ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها إلى أصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم، ومع ذلك فلم يصل إلى الفلسطينيين من هذا المبلغ سوى ٦٥؛ جنبها على ثلاث دفعات، أما باقي المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءاً كبيراً منه أنفق في شؤون الجمعية الخاصة ولا يرى فضيلته في ذلك مانعاً شرعياً، ثم عاد وقال بعد أن سمع حكم الشرع في هذا إنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله. ولهم كذلك أنه لا وجد بخزانة الجمعية ملئم واحد من هذا المبلغ أيضاً.

هذا البيان الغاضب وقع عليه ١٨ عضواً من الإخوان من بينهم عضو مكتب إرشاد سابق ومدوب شعب الأقاليم ومناذير عدة كليات بجامعة القاهرة وجامعة الأزهر وآخرون .. وهم المجموعة التي كونت جماعة «شباب محمد ﷺ».

كانت الاتهامات قاسية وجارحة في حق حسن البنا، خاصة منها ما يتعلق بالمسائل المالية، فضلاً عن بند آخر تعلق بالمسائل الأخلاقية؛ ولذا كان لا بد من الرد ونشرت مجلة الجماعة رداً على هذا البيان، حل توقيع الجماعة، لكن فيها يبدو أن المرشد هو الذي كتب، وجاء فيه بخصوص الجواب المالية لفلسطين إن المبلغ المتبقى أنفق على أمور الدعاية للقضية، ولم يكن هذا مقنناً لأصحاب البيان الأول فضلاً عن أن المرشد بذلك لم ينكر ما قالوه؛ ولذا فتح الرد المجال أمامهم ليعقبوا عليه ويضيفوا وقائع جديدة، وهكذا نشروا في عدد ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠ م / ١٦ محرم سنة ١٣٥٩ هـ متهمين الأستاذ حسن البنا «بأنه» شوه فيه الحقائق الثابتة تارة وتغافل عن بعضها تارة، محاولاً بعد ذلك كله أن يحصر ما اختلفنا عليه في نواحي شخصية ضيقة مبنياً من وراء ذلك التبرير بالبسطاء والسذج...»، وتوقفوا عند ما يتعلق بفلسطين والتبرعات لها، جاء في البيان «أما أموال فلسطين فإنك تقول إن أعمال الدعاية لها وصلت إلى أكثر من ١٢٤ جنبها بينما أنك قد أعلنت أمام جمع كبير من الإخوان واعترفت صراحة بأنك صرفت على شؤون الجمعية مبلغ أربعين جنبها وقلت إن هذا جائز شرعاً، فرد عليك أحد الإخوان وهو محمد أفندي عبد الوهاب وأظهر

ذلك أن هذه أمانة وأن الشرع لا يبيح التصرف فيها ولا بطريق الاستدانة وحينذاك تراجعت عن رأيك الأول وقلت إذن فلنجعلها من جديد ولنرسلها. فقام أحد الإخوان وهو الدكتور إبراهيم أبو النجا وقدم جنيهاً مكتتباً به من هذا المبلغ وتذكر ما حدث من مسألة تمريق هذا الجنيه بالذات... ولم يتوقف السادة الغاضبون عند هذا الحد بل قالوا أو أضافوا «ثم إنك اقترضت من أموال فلسطين الخاصة بجمعية الشبان المسلمين مبلغ عشرين جنيهاً قرصاً خاصاً في شهر أغسطس ١٩٣٩م لم يسدد منهم إلى الآن سوى ٩ جنيهات وباقى المبلغ ما زال حتى الآن في ذمتك وقد اعترفت به أمام كثير من الإخوان».

ويواصل الغاضبون توجيه الاتهامات إلى حسن البنا «أما ما ذكرته عن مبلغ ١٢٤ جنيهاً التي صرفت في مطبوعات ورسائل وبريد وبرقيات وسفر مندوبين وطبع قسائم وعمل شارات وتذاكر شخصية وما إلى ذلك فإن جميع هذه الأبواب قد أنفق عليها من أموال فلسطين الخاصة والشهود على ذلك هم محمد أفندي السعيد فتح الله الذي كان يتولى جمع أموال فلسطين والصرف منها بأمرك، والشيخ محمد حسنين عمر والشيخ محمد الحسيني عبد الغفار والشيخ عبد الباري عمر خطاب والأفندية حسام عامر وأحمد فهمي فتح الله وشاكر الغرابوي ومحمد عزت حسن وعلى الحنفي الذين تسلموا نفقات سفرهم للدعاية لفلسطين ولتسليم الدفاتر للشعب من سعيد أفندي فتح الله، وبلغت هذه النفقات ما يزيد عن العشرين جنيهاً». ويواصل البيان القول «وكان أمين صندوق الجمعية في هذه الأثناء الحاج أحمد عطية وليسأل الحاج أحمد إن كان قد سلم إلى سعيد أفندي فتح الله أى مبلغ ليسلمه إلى هؤلاء الإخوان؟» وعلى هذا النحو يستمر البيان في سرد وقائع حدثت وأطرافها جميعاً أحياء، وتؤكد الوقائع ضرورة الرقابة المالية المؤسسية وليس التصرفات الشخصية للمرشد.. ويواصل القول «أما مصروفات طبع الطوابع والشارات والبطاقات الشخصية والبريد فقد دفعها سكرتير لجنة فلسطين محمد

أفندى على الملاوى وتحدى أن تبرز لنا إيصلاً واحداً من أمين صندوق الجمعية  
 يثبت أنه دفع ملياً واحداً إلى سكرتير اللجنة بمبلغ من هذه المبالغ، أما الشرارات التي  
 كانت توزع ومنها كتاب «هذا بيان للناس» فكانت ترد كما تعلم من طرف فلسطين  
 رأساً... كانت الوقائع والحقائق صادمة ولا يملك المرشد ردّاً، ويبدو أنهم يشعرون  
 منه غمّاً وقلدوا الثقة به، وصار بلا مصداقية عندهم؛ لذا وجدناهم يخاطبون البناء  
 بالقول... «لكنك تنكر الآن ما اعترفت به علناً وأمام جمع من مرديك وأتباعك  
 وتنكر الحقائق التابعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ويقولون له أيضاً  
 «إنك لم تكن أميناً على الحوادث فشوهتها أشد تشويه وعللك ما زلت تذكر الحديث  
 النبوي الشريف الذي يذكر أن المؤمن قد يغش وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط»  
 ويحمل التوقيع «الهيئة العامة لشباب محمد».

المرشد العام متهم بما نسميه اليوم «الفساد المالي» أو جمع تبرعات ثم توجيهها إلى  
 غير ما جمعت له، وإلى وجهة غير التي أرادها أصحابها، وما يستوجب التوقف هنا أن  
 المرشد ومريديه لم يتمكنوا من الرد على هذه الوقائع واكتفوا بالقول إنها خلافات  
 خاصة وشخصية، وبلغت الانتباه أيضاً سهولة استعمال الشرع في الأهواء الخاصة  
 وسهولة التعايل على الشرع كذلك، حسن البناء أخذ جزءاً من التبرعات التي جاءت  
 لفلسطين ووضعها في حسابات الجماعة، وحين ووجه بذلك أفادهم بأن الشرع  
 يسمح له بذلك، ولما اعترض أحدهم بأن الشرع لا يسمح وأن هذه الأموال أمانة  
 يجب أن تؤدى إلى أهلها، قال الرجل ببساطة نعيد جمعها، لكن ماذا عن خيانه  
 الأمانة؟ وماذا عن الافتئات على الشرع؟ وماذا عن أكل أموال وحقوق الآخرين...؟  
 كل هذا لم يتوقف عنده المرشد العام ولم يهز شعرة داخله ولم يحرك ضميره، ترى  
 ألا يمكننا القول إن حسن البناء وظف المسألة الفلسطينية لصالحه هو وصالح جماعته،  
 بدلاً من أن يحدث العكس؟!

على العموم كانت هناك هيئات وجمعيات عديدة تجمع التبرعات لأهل  
 فلسطين، وسارت الأمور فيها على ما يرام، وحدها الجماعة ووحدته حسن البناء هو من

طعن في أمانته المالية على المأل ولم يستطع أن يرد، فما ووجه به وقائع ثابتة حدثت أمام آخرين، شهود عليه، فضلاً عن أن إيصالات الجمعية وحساباتها لم تكن في صالحه.

★★★

استمر جمع التبرعات وتحريك المظاهرات لمناصرة عرب فلسطين والتعاطف معهم، ثم حدث تحول نوعي في طرق وآليات المساندة، وجاء هذا التحول من أحد حسين رئيس مصر الفتاة، كان النضال قد تطور من جمع الأموال والتبرعات إلى شراء الأسلحة وإرسالها إلى المقاتلين داخل فلسطين، ولا يجب أن نتوقع الكثير عن هذه الأسلحة، فقد كانت بنادق ومسدسات من مخلفات الحرب العالمية الثانية، أي لم تكن أسلحة ثقيلة، لكن أحمد حسين رأى أن ذلك ليس كافياً ولا بد من تكوين كتائب من المتطوعين نذهب إلى فلسطين وتقاتل داخلها، وزار أحمد حسين فلسطين في فبراير ١٩٤٨م وعاد من هناك ليصرح لمجلة المصور بأن «القضية لا تحتاج إلى مال وسلاح فقط، بل إلى جيوش منظمة وقيادة عسكرية حازمة، لأن الفلسطينيين لم يستطيعوا سوى الدفاع عن أنفسهم فقط...». وبالفعل شكلت مصر الفتاة أول كتيبة من المتطوعين حملت اسم «مصطفى الوكيل» لנסافر إلى فلسطين، لكن الحكومة المصرية مانعت في سفرها عبر الحدود المصرية، فما كان من أحمد حسين إلا أن بعث بالكتيبة إلى سوريا حيث معسكر «قطنا» «لندخل من هناك ودخلت بالفعل، والواقع أن حماس أحمد حسين كان عالياً، فقد واصل إرسال الكتائب وسافر هو مع إحداهما بنفسه إلى سوريا قبل دخولها إلى فلسطين.. وقد سبق أحمد حسين الجميع في ذلك، وهذا ما دعا جماعة شباب سيدنا محمد أن توجه التحية إلى مصر الفتاة وزعيمها على صفحات «النذير».. تحت عنوان «كلمة حتى يجب أن نقال.. مصر الفتاة تتقدم الصفوف»، وكلمة التحية حملت التقدير إلى «شباب مصر الفتاة ورؤسهم الأستاد أحمد حسين. الذين هاجروا في سبيل الله وتركوا أبناءهم وعشيرتهم جهاداً في سبيل الدفاع عن حق الإسلام والمسلمين». وجاء في المقال ملاسة على الآخرين ومنهم

الإخوان، تقول النذير: «لقد ظلت الهيئات الوطنية والإسلامية في مصر، غملاً الأمان بدعوى الجهاد، والرغبة في الاستشهاد، فلما حان وقت الامتحان لم نسع من أكر هذه الهيئات إلا الدعاوى المريضة، ولم نشاهد منها إلا المظاهر الزائفة، إلا مصر الفتاة فقد نجحت في هذا الامتحان وأثبتت أنها في مقدمة العاملين، وسارت في صفوفها القليلة، في عددها الكثيرة، برجلتها وبسالتها بأقدام ثابتة إلى ميادين القتال، بل إلى ميدان الجهاد الإسلامي الأكبر».

في ذلك الوقت كان موقف الإخوان وحسن البنا أقرب إلى الموقف الرسمي المصري، أي الاهتمام بالقضية ومناصرة الفلسطينيين وجمع التبرعات لهم، ويبدو أن موقف مصر الفتاة وتنديد شباب محمد، قد أوقع حسن البنا في ضغوط من أعضاء الجماعة، ولم يكن قادراً على اتخاذ موقف حاسم؛ لذا وجدنا عبد المجيد أحمد حسن الذي قتل محمود فهمى النقراشي سنة ١٩٤٨م وكان عضواً بالتنظيم الخاص منذ سنة ١٩٤٦م يقول في اعترافاته أثناء التحقيق معه «اعتقدت كما اعتقد جميع أفراد النظام الخاص أن وقت الجهاد الذي من أجله نعد وتدريب قد جاء وأتينا سنترسل جميعاً إلى فلسطين للقتال هناك، وكانت القيادة تبلغنا بأن الوقت سيأتى قريباً للجهاد». ويقول عبد المجيد حسن أيضاً «لما شعرت القيادة بشدة الضغط عليها، قالت لنا: إن الجهاد ليس مقصوداً على فلسطين وأن الصهيونيين ليسوا فقط في فلسطين، وإنما هم موجودون أيضاً داخل البلاد المصرية، وأن على النظام الخاص أن يوجه إليهم نشاطه وجهاده». وهكذا قرر النظام الخاص أن القتال يبدأ من مصر، وبذلك نقل المعركة من فلسطين إلى داخل مصر وبين أبنائها، ولعل ذلك يفسر الأعمال الإرهابية التي مارستها الجماعة والتفجيرات لحارة اليهود بالقاهرة، وبعض المحلات والمنشآت اليهودية.. وكان اختيار بعض هذه المنشآت مثيراً للشبهات، مثلاً قام النظام الخاص بتفجير شركة الإعلانات الشريفة وكانت مملوكة لبعض اليهود، لكن آثار تفجيرها عدداً من التعليقات في الصحافة المصرية من بينها أن هذه الشركة جرى نسفها لأنها



تنافس شركة المطبوعات الإسلامية، المملوكة للإخوان، أُنِي أن الاعياريات الخاصة والمناقسة المهنية لم تكن بعيدة عن هذه الأعمال.

★★★

ولما اشتدت الأزمة في فلسطين مع تصاعد العنف الذي غمارسه الجماعات الصهيونية تجاه الفلسطينيين وإعلان بريطانيا نيتها إنهاء الانتداب على فلسطين والانسحاب منها يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، فتحت الحكومة المصرية باب التطوع، وسمح لعدد من ضباط الجيش بالاستقالة كي يسافر المتطوعون إلى فلسطين، وكان أبرز هؤلاء الكجاشي أحمد عبد العزيز.

ونذهب إلى ما كتبه حسن البنا في «قضيتنا». هو نفسه يحدد أعداد المشاركين من الإخوان يقول: «أقرت الجامعة العربية فكرة التطوع، فتقدم إليها الآلاف من شباب الإخوان يريدون الموت في سبيل الله .. وظلت الحكومة والجامعة تترددان بين الإقدام والإحجام والحامسة تشدد والنفوس تغلّ مما دعا المرشد العام إلى أن يبعث بهائة إلى معسكر قطنا بسوريا، وهي كل ما استطاع أن يقنع المسؤولين هناك بقبوله».

إذن هناك مائة متطوع أرسلهم المرشد العام عبر سوريا، وتردد أنهم دخلوا فلسطين مع القوات السورية، ولا نعرف بالضبط ماذا كان مصيرهم هناك ولا العمليات التي قاموا بها، لكن نتائج المعركة تقول إن القوات التي شاركت من سوريا لم تكن موفقة في مهامها بسبب ضعف التسليح وقلة التدريب، وتقول المصادر السورية إن متطوعي الإخوان ذابوا في المجتمع السوري وقد تورط اثنان منهم في انقلاب أديب الشيشكلي وحكم على أحدهما بالإعدام، لكن الحكم لم ينفذ.

ونعود إلى المرشد العام الذي يواصل الحديث بالقول «ولكن ذلك لم يشف غلة الإخوان، فاستأذنوا في إقامة معسكر خاص لهم بالقرب من العريش يمارسون فيه التدريب استعدادًا لدخول فلسطين، وأذن لهم بذلك وأقاموا معسكرًا كبيرًا لعدد منهم يزيد عن المائتين، يمددهم فيه المركز العام بكل ما يحتاجون من أدوات وتدريب

وسلاح وعناد ياذن الحكومة وعلمها حتى تم تدريبهم ودخلوا فلسطين في مارس ١٩٤٨م (...) واحتلوا هناك معسكر النصيرات جنوبي غزة..».

وما لم يقله المرشد إن ضباط الجيش المصري هم الذين كانوا يقومون بتدريب التطوعين وإن الجامعة العربية هي التي كانت تتولى تكلفة التسليح والملابس والإعاشة بالكامل وليس المركز العام للجماعة.. ونعرف من مذكرات عبد اللطيف بغدادى «أنه هو وجمال عبد الناصر كانا من الضباط الذين تولوا تدريب التطوعين من الإخوان وغيرهم، وأنهم فعلوا ذلك بتكليف من قيادة الجيش.. والذي نعرفه من سير المارك أن غزة لم تكن منطقة قتال حاسمة، وكان القتال شديداً في وسط فلسطين وقلبيها، ولا ينفى ذلك العمليات القتالية التي تمت في غزة.

ولم يكن هؤلاء كل التطوعين من الإخوان، يقول حسن البنا «وتحركت الحكومة وهيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين وأعدت معسكرها بالهايكتسب لتدريب التطوعين، تقدم إليه أكثر من ألف أخ وانتخب منهم أكثر من ستمائة على دفعات جهزتهم الحكومة ودخلوا مع القوات النظامية ووزعوا على مختلف الجهات». أى أن الحكومة المصرية، حكومة النقراشى باشا، حين فتحت باب التطوع على مصراعيه وأقامت معسكراً للتدريب في الهايكستب تقدم له من الإخوان «ألف» متطوع، والرقم يذكره المرشد، لأن عدد من كتاب الإخوان وصلوا إلى القول إن هناك عشرات الآلاف أرادوا التطوع، لكن لم يسمح لهم، ومن بين الألف اختير ستمائة فقط، وكانت الاختبارات تتم وفق اعتبارات اللياقة الطبية التي تتم عند التجنيد، بمعنى أنه لن يقبل متطوع مكفوف البصر - مثلاً - أو لديه شلل أطفال، أو مريض بالسل أو ضعيف البنية. وهذا العدد الذي قبل، تولت الحكومة تجهيزه.. أى الخضوع للتدريب ثم التسليح والملابس اللازمة، وهؤلاء دخلوا مع قوات الجيش المصرى.. وهذا الرقم ٦٠٠ متطوع، هو محدود قياساً على عدد الإخوان آنذاك، والذي وصل به البعض إلى مليون أخ.. لكن دعونا نتابع مصير هؤلاء المتطوعين على

الجهة .. ونعرف من سير العمليات أنه عهد إليهم بمهمات القتال الخفيفة، فليسوا جيئاً نظامياً وتسليحهم خفيف، وكانوا يقومون بأعمال فدائية، أقرب إلى حرب العصابات، وقدموا باطولات حقيقية واستشهد منهم عدد غير قليل.

وتوجد وثيقة من الشهيد البطل أحمد عبد العزيز عبارة عن تقرير رفعه إلى أمين عام جامعة الدول العربية، يتحدث فيه عن الوضع في المنطقة الجنوبية بفلسطين، وتحديدًا معسكر النصيرات، وخاصةً منظوعى الإخوان وكان يقودهم الشيخ محمد فرغلى واليوزباشى محمود عبده. ويقول أحمد عبد العزيز إن «أسلحتهم والذخيرة محدودة» وكان هناك ١١٩ مقاتلاً من منظوعى جماعة أنصار الحق بقيادة الشيخ أبو العزائم وكانوا بمطار غزة «هؤلاء حالتهم سيئة جدًا من ناحية اللبس والتسلح، وحتى الأسلحة لا يوجد لديهم أدوات لنظافتها»<sup>(١)</sup>. ويقول أحمد عبد العزيز «إن الإخوان المسلمين لا يتلقون أوامرهم إلا من الشيخ فرغلى حسب ما يترأى له، ولا سلطة لقائد المنطقة عليهم، وقد قاموا بعملية حربية ضد مستعمرة «كفار أروم» أظهرها فيها بسالة واستشهد ١٢ وجرح ٦، وللأسف كان تنفيذ الخطة من القيادة رديئًا كما كان التسليح غير مناسب للعملية؛ ولذا خسروا المعركة، ورغم ذلك اتضح لى أن الإخوان المسلمين لديهم أفكار حربية وجهية نوعًا ما، يكفي تعسكرهم خارج غزة ويقتلهم في الحراسة وتكتهم في إخفاء قوتهم الحقيقية»<sup>(٢)</sup>.

المطوعون الذين ذهبوا عبر سوريا يخفئى الحديث عنهم، حتى لدى الإخوان، ولكن الحديث يجرى حوالى ٨٠٠ متطوع كانوا بين غزة والقوات النظامية فهل كان هؤلاء المتطوعون - فعلاً - قادرين على حسم المعركة وكان بإمكانهم إنقاذ فلسطين من الضياع؟!.

(١) د. هيام عبد الشافي: مصر وحرب فلسطين ١٩٤٨، دار العالم العربى، ط ٢٠١٠م، ص ٣٥٣.  
(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

ترك الإجابة للدكتور ثروت عكاشة، ذلك أنه كان ضابطاً بالمخابرات الحربية الملكية، وكان وقت حرب ١٩٤٨ م مسؤولاً عن القطاع الجنوبي لفلسطين، أى غزى، ولم يمنعه ذلك من أن يتابع سير المعارك في كل فلسطين، ويقارن بين أوضاع المقاتلين العرب عموماً، من متطوعين وجيوش نظامية، والمقاتلين في الجانب الصهيوني. يقول د. عكاشة «سرعان ما تكونت طوائف من المتطوعين أخذت أماكنها المختلفة بفلسطين بقودها ضباط عراقيون وسوريون ومصريون، غير أنها لم تكن للأسف مسلحة التسليح الكافي، هذا غير أن أسلحتها كانت تختلف أنواعها مما يصعب معه إمدادها بالذخيرة اللازمة»<sup>(١)</sup>. ويضيف د. عكاشة قائلاً: «وفي جنوبي فلسطين كانت قوة المتطوعين الخفيفة وعلى رأسها البكباشى أحمد عبد العزيز أكثر قوات المتطوعين تنظيمًا وتسليحًا على الرغم مما كان ينقصها هى الأخرى من التدريب والأسلحة الحديثة»<sup>(٢)</sup>. ويتحدث د. عكاشة عن افتقاد التخطيط العسكري الدائم لدى الجانب العربى وغياب «المعلومات الواقعية» لدى العدو. وينتقل إلى الجانب الآخر ليقول «كان الجيش الصهيونى يربو على أربعين ألف مقاتل على درجة عالية من التدريب فضلاً عن عشرين ألفاً دون ذلك المستوى الأول، ثم قوات أخرى مدربة للحراسة والمطالب الأولية مما يطلق الحرية للقوات النظامية للقتال»<sup>(٣)</sup>. ثم يضيف «وكان بين أيدى القوات النظامية وفرة من الأسلحة الثقيلة والآلية والمدرمات والعتاد الحربي، منها المستورد ومنها المصنوع محلياً، الأمر الذى وفر لجيوشهم قوة النيران وخفة الحركة، هذا إلى ما كان لديهم أيضاً من قوات المظلات ومعدات تدمير تفوقوا في تنفيذها، وكانت تحت أيديهم كثرة من المطارات التى أنشؤوها واستولوا عليها بعد جلاء الإنجليز عنها»<sup>(٤)</sup>.

(١) ثروت عكاشة: مذكراتى في الثقافة والسياسة، دار الشروق، ط ٣، سنة ٢٠٠٠ م، صفحة ٤٣.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٥.

هل كان متطوعو الإخوان الستائة بتدريبهم المحدود وتسليحهم الخفيف لديهم القدرة على هزيمة الجيش المعادي، بما لديه من أسلحة وإمكانات، فضلاً عن سابق اشتراك معظم المقاتلين الصهاينة في عمليات الحرب العالمية الثانية. بل هل كان كل المتطوعين العرب والجيش النظامية العربية، وعددهم جيئاً كان أقل من ١٢ ألف مقاتل قادرين على القيام بهذه المهمة؟!!

لا ينفي ذلك وجود بطولات فردية قام بها بعض المتطوعين، أو بعض رجال الجيوش النظامية، والواقع أن المقاتلين العرب مع ضعف التسليح وازدياد الحساس الوطني والديني لم يكن لديهم سوى البطولات الخارقة التي قام بها بعضهم، سواء كانوا من الإخوان أو من غيرهم، وجدنا بطولة فذة من اللواء محمد نجيب وقد أصيب في إحدى العمليات، وبطولة خارقة من الضابط عبد الحكيم عامر الذي نال بسبب ذلك ترقية استثنائية بالجيش المصري، فضلاً عما قام به جمال عبد الناصر.. ولا يجب أن ننسى «الضبع الأسود» وطلوته في العمليات الحربية، وأن تكون هناك بطولات خارقة لبعض متطوعي الإخوان المسلمين، شيء لا يمكن إنكاره، أما أن يقول عدد من كتاب الإخوان إنهم كانوا على وشك إبادة إسرائيل ولكن لقرار الحل حال دون ذلك، فهو الكذب والتدليس أو السذاجة والتسطيح في تناول الأمر، والغريب أن يستمر هذا الكذب ويتواصل التدليس بعد مرور أكثر من ستين عاماً على ضياع فلسطين وتكشف الكثير من الحقائق والوثائق.



## القضاء السنيّون

### القمص ودولة عم حسن

كان الشيخ حسن البنا حريصاً على أن يبدو هو وجماعته على وفاق مع الأقليات الدينية في مصر، وأنه وجماعته لا يحملون تجاه أفراد الأقلية إلا الود والتقدير.. وتستهجد الجماعة على ذلك بالصلة الطيبة التي جمعت حسن البنا بالزعيم مكرم عبيد، صحيح أننا لا نجد مظاهر لتلك الصلة، لكن الثابت أن مكرم عبيد سار في جنازة حسن البنا سنة ١٩٤٩م، ويستغل محبو البنا وأنصاره حضور مكرم عبيد للتدليل على ما ربطه بشيخهم من مودة وصداقة، وقد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون، فالمشاركة عندنا في الجنازات لا تخضع لمعايير الصداقة والود أو انعدام الود، ذلك أن الموت عند المصريين له معنى خاص، وحضور جنازة الميت أو المشاركة في العزاء واجب أخلاقي، يصبح المرء أكثر حرصاً عليه، حتى إذا لم تربطه صلة حميمة أو خاصة بالمت، بل إذا لم تكن النفوس صافية والقلوب عامرة بالحب في الحياة، يصبح واجباً المشاركة في العزاء اعتباراً للقيمة «الموت» وعبرته عند المصريين جميعاً.. وبغض النظر عن هذا كله فصالات مكرم عبيد وحسن البنا لا تنسحب على جميع الأقباط ولا على معظمهم.

موقف مكرم عبيد بحسب عليه وحده، وهو موقف مرتبط بظروف صاحبه، ذلك أنه منذ انشقاقه على الوفد وموقفه العدائي من النحاس (باشا) بعد سنة ١٩٤٢م، كان حريصاً على ألا يبدو زعيماً قبطياً ولا معبراً عن الطائفة القبطية، بل زعيم مصري؛ لذا

حرص على الإبتعاد عن الأزمات والخلافات القبطية، خاصة تلك التي كانت بين الكنيسة والمجلس المحلي، ولم يقترب من الجمعيات أو الهيئات القبطية، وفي الوقت نفسه حرص على أن يبدي تقديرًا واحترامًا بالغا للمومنين الإسلاميين، ففي سنة ١٩٤٣م وفي مناسبة الذكرى الألفية لتأسيس الأزهر يبعث بترقية إلى شيخ الأزهر جاء فيها «وإذا كان لي - كمصري له عقيدته الوطنية - أن أفخر بالأزهر الشريف معهدا مصرنا، فإن لي كرجل له عقيدته الروحية أن أسبده بمعهدا دينيا..». ويقول أيضًا في البرقية نفسها «لقد أدى الأزهر رسالته للدين والدنيا ممّا»<sup>(١)</sup>. وفي إطار حرصه هذا كان يقوم ببعض الفئات الودودة تجاه جماعة الإخوان، وربما لا يخلو الأمر من رغبته في مكابدة الوفد والنحاس (باشا)، الذي لم يكن يحب جماعة الإخوان؛ لذا نراه في الكتاب الأسود يندد بموقف حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م من الجماعة في أثناء فرض الأحكام العرفية، يقول «أغلقت الحكومة فرع جمعية الإخوان المسلمين في قنا بأمر عسكري، فقلت لعل النحاس باشا قصر أمره على قنا لأنها قنا»<sup>(٢)</sup>، ولكن علمت أن الحاكم العسكري قد أصدر أمره - والأمر لله - بإغلاق عدد كبير من فروع الجمعية وهي تربو على الخمسين في شتى بلاد المملكة المصرية»<sup>(٣)</sup>.

من هنا فإن موقف وعلاقة مكرم عبيد بالجماعة، يظل أمرًا شديد الخصوصية يرتبط بحال وتكوين مكرم عبيد، لكنه لا يعبر عن موقف عام للأقباط، كما أنه لا يعكس ولا يكشف موقف الجماعة كذلك من الأقباط، خاصة في زمن حسن البنا، فتحت أيدينا من الأوراق والشهادات ما يؤكد وقوع القلق والفرع بين أعداد كبيرة من أقباط مصر من جراء بعض دروس وكلمات حسن البنا، على النحو الذي سنكشفه الصفحات القادمة، وقد ازداد هذا الفرع بعد وقوع أعمال إرهابية تجاه

(١) راجع في ذلك: د. مصطفى الفقي: الأقباط في السياسة المصرية ... مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، طبعة دار الشروق، سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٤٩.

(٢) كانت قنا بلد مكرم عبيد وموطنه الأصلي.

(٣) مكرم عبيد: الكتاب الأسود، ص ٢٦٣.

بعض منشآت اليهود ونجاة اليهود أنفسهم في مصر، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى الجماعة، كما جرى إحراق كنيسة في الرقازيق وأخرى في السويس وكانت أصابع الاتهام تنجيه نحو الجماعة، واتهم بعض رموز الأقباط حسن البنا نفسه.

في الكتابات النظرية وخطب البنا لا نجدده يقف بالتفصيل عند هذه القضية، وإنما يشير إليها إشارات عابرة «سريعة» وهناك رسالته «نحو النور» تعرض في فقرة منها إلى أوضاع الأقليات، بعنوان «الإسلام يحمي الأقليات ويصون حقوق الأجانب» ونعترف من «مقدمة الرسالة» أنه كتبها في رجب سنة ١٣٦٦ هجرية وبمثل بها إلى كل من الملك فاروق وإلى رئيس الحكومة وقتها مصطفى النحاس باشا، وإلى عدد من ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي، فضلاً عن عدد من كبار الشخصيات في هذه البلدان<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ حسن «يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة يتنافى وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، ويتنافى الوحدة بين عناصر الأمة<sup>(٢)</sup> وهي دعامة قوية من دعائم التماسك في هذا العصر.. ولكن الحق غير ذلك تماماً، فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد اختار لتلك العقبة وذلكها من قبل، فلم يصدر دستوره القلدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات، وحل يريد الناس أصرح من هذا النص:

﴿ لَا يَتَنَحَكَّرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَبِّلُوكُمْ فِي الَّذِينَ وَلَمْ تَحْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَكُونُوا تَقْطَعُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْطَعِينَ ﴾ [المنحة: ٨] فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ص ١٩٢.

(٢) نلاحظ الحديث هنا عن عناصر الأمة وليس عنصري الأمة كما نقول نحن، وقتها كان اليهود لا يزالون عنصراً من عناصر الأمة، لكنهم فيما بعد هاجروا إلى إسرائيل أو إلى أوروبا.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

وعلى هذا النحو يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] وهذه الآية تكشف عنده أن «الإسلام سعى إلى تحقيق الوحدة الإنسانية العامة، بل قدسها» ويقول أيضاً «ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فنقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعاً في قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ آهَتُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ صيغة الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِغَةً...» [البقرة: ١٣٦-١٣٨] ويستشهد حسن البناء بسورة الحجرات مرة ثانية «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ تَزَكَّيْكُمْ» [الحجرات: ١٠] والآية عنده تعكس أن الإسلام «قدس الوحدة الدينية الخاصة من غير حلف ولا عدوان»<sup>(١)</sup> وينتهي من ذلك كله إلى القول «هذا الإسلام الذي بنى على هذا الزواج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سبيلاً في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط»<sup>(٢)</sup>.

ويستقل حسن البناء في رسالته إلى الجانب الآخر أو من قال عنهم إن الإسلام قد حدد «تحديداً وقتياً من يحق لنا أن تناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم»<sup>(٣)</sup>. ويستشهد

(١) راجع مجموعة الرسائل للإمام حسن البناء، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ص ٢٠٥.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

بِالْآيَةِ ﴿ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجْتُمْ مِّنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المحذرة: ٩] ويعقب بالقول «وليس في الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضاً لنظام شؤونها»<sup>(١)</sup>، ثم يقول «ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سليم ووفق ما استقاموا أو أخلصوا، فإن فسدت ضمايرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله ﴿ يَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا يَطَّائِفَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ كَثِيرٌ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ خِيَرَتِهِمْ وَلَا تَحِبُّوهُمْ وَلَا تَحِبُّوهُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩]<sup>(٢)</sup>.

وسوف نلاحظ أن حسن البناء هنا لم يحاول أن يتوقف عند تفسير الآيات القرآنية، التي استشهد بها، ولا ذهب إلى الأحاديث النبوية، فضلاً عن تجاهله للتاريخ الإسلامي وما جرى فيه من مواقف إيجابية أو سلبية بخصوص الأقليات، فضلاً عن أنه لم يشأ أن يتوقف عند تاريخ مصر تحديداً، في هذا الجانب، هو اكتفى بالمرور عابراً عند بعض الآيات القرآنية. والواقع أنه يصير على تجنب أو إهدار التجربة الإسلامية كلها، فالبدائية والنهاية عنده بالنصوص القرآنية. وبالتالي لا اعتراض على النصوص القرآنية، وهذه النصوص فيها ما يكفي لضمان حقوق غير المسلم، بل حتى حقوق من يقرر الكفر، ولكن كيف تفاعلت هذه النصوص وتفاعل معها الفقهاء والمفسرون والخلفاء والحكام؟ وكيف انعكس ذلك كله على المجتمعات الإسلامية عموماً والمجتمعات العربية تحديداً؟ أما المجتمع المصري خاصة فتجربته تستحق التوقف عندها، لكنه لم يفعل.

(١) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.



حين كتب حسن البنا رسالته «نحو النور» كانت مصر تحكم بدستور سنة ١٩٢٣م، الذي ساوى بين المواطنين بغض النظر عن الديانة التي يعتنقها كل منهم، صحيح أن الدستور أقر بأن دين الدولة هو الإسلام، ولكنه أقر كذلك حرية الاعتقاد وعدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين؛ ولذا وجدنا وزراء كانوا من المسيحيين واليهود المصريين، بل في أثناء ثورة ١٩١٩م وقبل صدور دستور ١٩٢٣م كان هناك رئيس وزراء قبطي وهو يوسف وهبة باشا، ويجب القول إن أوضاع الأقليات الدينية في مصر كانت تشهد تطوراً منذ القرن التاسع عشر، فقد ألغى الوالى محمد سعيد باشا «الجزية» عن «أهل الذمة»<sup>(١)</sup>، وذلك حين قرر أن يتم تجنيد أبناء المصريين جميعاً وكانت مصر أول بلد من البلاد العثمانية يتم فيه إلغاء الجزية، إذ سبقت «الخط الهايونى» الذى أصدره السلطان العثمانى بعام. وكان تجنيد المصريين وإلغاء الجزية قد فتح الباب على مصراعيه ليعامل أبناء مصر جميعاً كمواطنين بلا تمييز، وضح ذلك أكثر في عهد الخديو إسماعيل، حيث تسابق الجميع من مسلمين ومسيحيين ويهود ليلعبوا دوراً في النهضة التي أراد إسماعيل أن يقوم بها في مصر. ومن ثم فإن ما جرى في ثورة ١٩١٩م من مظاهر الوحدة الوطنية، لم ينشأ من فراغ، وشعار «الدين لله والوطن للجميع» لم تخترعه الثورة اختراعاً، بل كان تعبيراً عن حالة قائمة بالفعل، ومتحققة داخل المجتمع.

طرح الشيخ حسن البنا بعد ذلك، أفكاراً تناقض هذا الذى تحقق في مصر منذ القرن التاسع عشر، ففي رسالة المؤتمر الخامس الذى عقد سنة ١٩٣٧م، يقول عن الخلافة وعن الوطن «فالإسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الحدودية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناهدت حدوده... وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون

(١) راجع في ذلك: أمين محمود: الجزية في مصر ١٧١٣م/ ١٨٥٦م، رسالة دكتوراه قدمت سنة ٢٠٠٨م إلى قسم التاريخ بآداب القاهرة، ونشرت بالمجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.

هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>(١)</sup>. وينتقل إلى الحديث عن الخلافة بالقول «إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية. ومظهر الارتباط بين أumm الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها، والخلافة مناط كثير من الأحكام في دين الله؛ ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ودفنه<sup>(٢)</sup>». ثم يقول «والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورث عن مناهجها ثم ألغيت بنائاً إلى الآن<sup>(٣)</sup>». ونصل إلى بيت القصد حيث يقول «والإخوان المسلمون لهذا يعملون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها<sup>(٤)</sup>». ويجدد هو تلك الخطوات من تعاون تام بين الشعوب الإسلامية ثم تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المؤتمرات بين هذه البلاد، وعندها يتم تكوين ما يسميه «عصبة الأمم الإسلامية<sup>(٥)</sup>». وأخيراً «إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على الإمام الذي هو واسطة العقد، وجميع الشمل ومهوى الأئمة وظل الله على الأرض<sup>(٦)</sup>»، نلاحظ هنا أن البنا يذكر إن الخليفة هو ظل الله على الأرض، وهذا يعني قيام الدولة الدينية، التي لا مجال فيها لحريات عامة أو خاصة، من أي نوع، ليس هناك سوى ظل الله على الأرض.

(١) الرسائل، ص ١٢٨.

(٢) الرسائل، ص ١٣٠.

(٣) الرسائل، ص ١٣٠.

(٤) الرسائل، ص ١٣٠.

(٥) الرسائل، ص ١٣٠.

(٦) الرسائل، ص ١٣٠.

وفي دولة الخلافة لا مكان للحزبية ولا للأحزاب «الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعها قد وجدت في ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي»<sup>(١)</sup>. ويضيف: «يعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر»<sup>(٢)</sup>. ثم يقول «الحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب، حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد، وذلك في الإمكان»<sup>(٣)</sup>. ويحتاجنا بأن الإخوان اتخذوا خطوات عملية في هذا الاتجاه.. «طلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعًا في هيئة شبيهة واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام»<sup>(٤)</sup>. ثم يقول «سيواصل الإخوان جهودهم في هذا السبيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة، ويتوالى فشل رجال الأحزاب في ميادينها وستحقق قطعًا ناموس الله»<sup>(٥)</sup>.

هذا كله سنة ١٩٣٧م، حين كان الملك فاروق ما زال في بداية حكمه، وكانت تداعب خياله - كما داعب خيال والده من قبل - فكرة أن يكون خليفة وإمام المسلمين، وكان بعض المحيطين والمقربين منه يثيرون فيه ذلك، ومن ثم فقد كانت أفكار البناء في هذا الجانب تسير وفق هوى الملك الشاب، ولم يكن ذلك الملك مستريحًا للأحزاب، تحديدًا حزب الوفد.. حزب الأغلبية، وكان الهجوم على الأحزاب والمطالبين بالغائها أو حلها يجد هوى لدى الملك، فسيرجه ذلك من عناء

(١) الرسائل، ص ١٣١.

(٢) الرسائل، ص ١٣١.

(٣) الرسائل، ص ١٣١.

(٤) الرسالة، ص ١٣٢.

(٥) الرسالة، ص ١٣٢.

الوفد وزعيمه العنيد مصطفى النحاس، لكن هذا كان يثير القلق لدى بعض المراقبين والمتابعين من الأقليات.. خاصة أن حسن البنا لم يتوقف عند هذا الحد، فنراه في الرسالة نفسها يقول «إن الوطن الإسلامي جزء لا يتجزأ وإن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله، وهذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم، سادة في أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل أن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التي اهتموا بها من قبل»<sup>(١)</sup>.

«يحملوا غيرهم» المقصود بها غير المسلمين، ويحملوهم بمعنى يدفعونهم دفعاً أو يضغظون عليهم ضغظاً وغير ذلك.. وهذا لا بد أن يثير قلق غير المسلم، ويجعله يشعر بأنه غير آمن على دينه وعقيدته.. ثم يجعله يتساءل عن مكانه داخل «الوطن الإسلامي»، خاصة أن حسن البنا كرر هذه المعاني مرات أخرى، وراح يجذر من «الوطنية» بالمعنى الذي طرحه به في عصره، فقد راح يتحدث في رسالته «نحو النور» عن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية.. ثم يقول «تلك إذن مزايع لا يجب أن تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة»<sup>(٢)</sup>. أي أن الحديث عن الوطنية المجردة، هو ذريعة وهدف لتحويل الأمة عن الدين، باختصار الوطنية عند حسن البنا تساوى اللا دين، أو التحول عن الدين الإسلامي.. والمعنى أنه لا يمكن الجمع بين الوطنية والدين، وإذا كانت الوطنية تعنى اللا دين، فهل نستنتج أن الدين والتدين يعنى اللا وطنية أو خيانة الوطن؟!.

(١) الرسالة، ص ١٣٤.

(٢) رسالة نحو النور، ص ٢٠٧.

ويستعمل حسن البنا مصطلحات ومفاهيم لم يعد لها مدلول ولا ذات معنى في الدولة المدنية والوطنية الحديثة، يتحدث إلى الشباب مرة عن مفاسد الإسلام فيقول «... كما أوصى بإنصاف الذميين»<sup>(١)</sup> وحسن معاملتهم - لهم ما لنا وعليهم ما علينا - نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية ولا عصبية طائفية، ولكننا إلى جانب هذا لا ننشرى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وهنا أيضًا يثور التساؤل هل الوحدة بين عناصر الأمة وانتهاء العصبية الطائفية يؤدي أو يعنى المساومة على العقيدة الإسلامية والإيمان؟ وهل أدت تلك الوحدة - من قبل - إلى إهدار مصالح المسلمين؟ وماذا يعنى ذلك؟ ألا يحمل في ثناياه تعريضًا بتجربة ونموذج ثورة ١٩١٩م؟ ففيها كانت الوحدة بين عنصرى الأمة، وتحقق تجربة رائعة في الوثام والوحدة الوطنية، فهل تم ذلك بالمساومة على إيمان الأمة أو حدث بالتحول عن الدين الإسلامى؟! بالتأكيد لا...

وفي نوفمبر ١٩٤٧م يتحدث حسن البنا إلى أنصاره ومريديه عن «الجزية»، مدافعًا عنها ومحيدًا إياها، فيصفها بأنها «أبلغ معانى الإنصاف والرحمة التى جاء بها الإسلام»<sup>(٣)</sup>. ويشرح باستفاضة معنى الكلمة وتاريخ ظهورها، ثم يقول «وإنما سلك الإسلام هذه السبيل وجأ إليها مع غير المسلمين من باب التخفيف عليهم والرحمة بهم وعدم الإحراج لهم حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا في صفوف المسلمين، فيتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهى في

(١) أصدر الشيخ يوسف القرضاوى كتابًا عن المواطنة سنة ٢٠١٠م طالب فيه بحذف عبارة أهل الذمة والذميين لأنها تسيء إلى غير المسلمين في الوطن.

(٢) رسالة إلى الشباب، ص ٣٢٥.

(٣) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٧.



الحقيقة (امتياز في صورة ضريبة) وفي الوقت نفسه احتياط لتفقيف صفوف المجاهدين من غير ذى العقيدة الصحيحة والحامسة المؤمنة البصرية<sup>(١)</sup>.

ورغم غرابة التفسير الذى يطرحه، أو التشكيك في عقيدة غير المسلم، فإن هذا يمكن أن نلتبس له بعض العذر أو يمكن تفهمه لو أننا بإزاء باحث يحاول أن يعد دراسة فقهية أو يعد دراسة تاريخية حول «الجزيرة» والمراحل المختلفة لتطبيقها، ومع ذلك سوف نلاحظ أن حسن البناء يتجاهل، وربما يجهل، أن صلاح الدين الأيوبي أسقط الجزية عن أقباط مصر في أثناء الحروب الصليبية، نظرًا إلى أن الأقباط تقدموا للدفاع عن مصر وحمايتها من الحملات الأوروبية، ولم يشكك صلاح الدين في عقيدة غير المسلمين (المسيحيين)، كما لم يشك في وطنيتهم، وسوف نلاحظ أن أحدًا لم يتهم صلاح الدين بأنه يريد أن تتم إباداة الأقباط في الحرب، هو لم يدفع بهم، بل هم الذين تقدموا، وانتهت هذه الحملات على النحو المعروف بهزيمة الصليبيين ورجوعهم إلى بلادهم، ولم يهتز الإسلام في مصر سواء بسبب مشاركة الأقباط في القتال والجهاد ولم ينهار اقتصاد الدولة الأيوبية بسبب إسقاط الجزية عن الأقباط.. وبغض النظر عن هذا كله، فإن الذى يقول هذا الكلام ليس باحثًا أكاديميًا ولا يلقبه في مدرج جامعي، بل هو زعيم أو مرشد له أنصار وأتباع في الشارع، وهؤلاء الأتباع بينهم من يمارس العنف تجاه الآخرين، كان أنصاره قد اغتالوا من قبل أحمد ماهر، وفي نوفمبر ١٩٤٧م حين تحدث عن الجزية كان قرار التقسيم قد صدر، مما هيج المشاعر الدينية وأربك العلاقة بين المسلمين واليهود في مصر وفي معظم بلاد المنطقة، لكن قبل قرار التقسيم، كانت قد جرت واقعة خطيرة في مارس ١٩٤٧م، حيث تم إحراق كنيسة في الرقازيق، إثر شائعة انتشرت في المدينة عن قيام شاب مسلم بالتحول عن دينه إلى

(١) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٨.

المسيحية وأن الكنيسة كانت خلف هذا التحول، وكان ذلك العمل يأتي على التغير من الروح التي أحدثتها ثورة ١٩١٩م في العلاقة بين المسلمين والأقباط، وكان إحراق الكنيسة عملاً مفاجئاً للكثيرين، ومحيقاً بالتأكيد للأقباط، خاصة أن رجال الأمن في مدينة الزقازيق لم يعثروا على متهم في حادث الإحراق، ولم يكن هناك عزم بعينه، لكن التابعين لهذا الشأن اتهموا مباشرة حسن البنا، واعتبر خطابه وحديثه عن الجرية وعن الذميين وأهل الكتاب خطاباً تحريضياً بشكل مباشر ضد غير المسلمين، وخاصة المسيحيين واليهود، وجاءت أحداث العنف سنة ١٩٤٨م ضد المنسّات اليهودية لتؤكد هذا الشك، فقد كان رجال البنا وراء هذه الأعمال، وكانوا يتفانون بها، ولكن تداخلت هذه الأعمال مع حالة الاحتقان العامة لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م، مع وجود ثقافة لم تميز كثيراً بين اليهود واليهودية من جانب والصهيونية وإسرائيل من جانب آخر، لكن بالنسبة إلى الأقباط كان الأمر مختلفاً، وكان القلق بادياً مما يقوم به حسن البنا من إثارة الاحتقان الطائفي، وضح ذلك في مقالات سلامة موسى والقمص سرجيوس.



كان لدى سلامة موسى موقفاً مضاداً من حسن البنا وجماعته، فهو من دعاة فصل الدين عن الدولة، وكان البنا يريد العكس تماماً؛ لذا تعددت انتقادات سلامة موسى للبننا، ولكن كان جانب من هذه الانتقادات يتعلق بما يمكن أن نسببه «الموقف الطائفي» الذي رآه سلامة موسى في دعوة وأفكار حسن البنا، ونشر سلامة موسى هذه المقالات في جريدة مصر، وفي جريدة الشعلة، لسان الوفد الأسبوعي.

جرى حادث إحراق كنيسة الزقازيق في عهد وزارة محمود فهمي النقراشي سنة ١٩٤٧م، وكان النقراشي متهماً من بعض القوى السياسية والحزبية أنه «يدل» حسن البنا والإخوان، وقد وجدها سلامة موسى فرصة ليصب غضبه على النقراشي جراء

ما حدث، فيكتب بالشعلة، في باب «من أسبوع لأسبوع» عدد ١١ أبريل سنة ١٩٤٧م تحت عنوان «حادث الزقازيق».

قال سلامة موسى في مقاله «يومان في تاريخ النفراتشي باشا هما أشأم الأيام في تاريخ مصر، ويومان في تاريخ الوزارة النفراتشية هما يوما النحس ونذيرا الحوان لمستقبل هذا الوطن المتعوس بأبنائه، اليوم الأول هو يوم ٤ أكتوبر حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم على الماخر اليهودية ونهبوا ودخلوا الكنيس وحطموا كراسيه وداسوا الكتب المقدسة فيه وكان هذا الحادث في ١٩٤٥م في وزارة النفراتشي».

واقعة سنة ١٩٤٥م التي يتحدث عنها سلامة موسى بخصوص الاعتداء على الماخر اليهودية، سقطت من الذاكرة التاريخية، لا يشير إليها أحد، وكأنها لم تحدث، ويفسر التوقف - فقط - عند الاعتداءات التي قام بها الإخوان تجاه اليهود المصريين سنة ١٩٤٨م، أي في أعقاب قيام إسرائيل، لكن واقعة ١٩٤٥م تكشف أن هناك موقفاً طائفاً وعدائياً من الجماعة تجاه اليهود المصريين، حتى قبل اشتعال أزمة فلسطين.

ويتنقل سلامة موسى إلى الواقعة الطارئة، التي جرت وقت كتابة المقال أو بسببها كتب مقاله يقول «اليوم الثاني هو يوم ٢٧ مارس الماضي حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم أيضاً على كنيسة الأقباط في الزقازيق، فضرّبوا سيدات الأقباط وطاردوهم ثم حطموا الكراسي وكسروا النوافذ. وحملوا الكتب المقدسة وداسوها ومزقوها وهدموا سور الكنيسة وفرت النساء، وكلنا يعرف ماذا يحدث حين نفر النساء وخلفهن غوغاء من الإخوان المسلمين» ثم يقول سلامة موسى «وحدات الزقازيق يجب أن تنشر تفاصيله وتعين أسبابه لجمهور المسلمين المتدينين قبل جمهور

الأنقياط المتدينين حتى يعملوا جميعاً على نحو التوحش والخسة والنفذالة»<sup>(١)</sup>

(١) كانت جريمة الشملة أرسلت أحد محرريها إلى الزقازيق ليحقق الواقعة، ونشر التحقيق في نفس العدد الذي نشر به مقال سلامة موسى، وبدأ المحرر تحقيقه بأن التقى كاهن الكنيسة، ودار بينهما حوار يتضح منه الكثير، فقد بادر الكاهن المحرر قائلاً «إنها فرصة طيبة لتبجيها لي الشملة لكي يظهر الحق ويتضح أننا لم ننس مواطنينا وإخواننا في دينهم.. كما توهم البعض وأشاع كذباً» فسأله المحرر «اليس صحيحاً أن أحد الإخوان المسلمين قد تحول إلى الديانة المسيحية؟» ورد القس غاضباً: أبداً لم يحدثن شيء من هذا وكل ما هناك أنه حدث في أثناء اجتماعي في إحدى الليالي مع أعضاء الجمعية أن دنا علينا شاب يبدو أنه من العمال فجئنا وجلس بيننا ثم عبر لنا عن رغبته في تغيير دينه، ولقد عرفنا في الحال أن الشاب مدسوس علينا فزجرناه بلطف وقلنا له: إن كل إنسان يجب أن يحافظ على دينه ودين آباءه، وأن كل من يغير دينه وعقيدته إنما يغيرهما لصلحته». ويقول القس كذلك «انصرف الشاب بعد أن أدرك أن سره قد انفضح والحقد يملأ صدره».

وعاد المحرر لسأل الكاهن: ولكني سمعت أن هذا الشاب قد أبرز صليباً دق حديثاً على يده وقال إنكم وضعت له هذا الصليب دلالة على أنه صار مسيحياً.

يكتب المحرر «وضحك الكاهن طويلاً وقال: إن هذه القصة المخترعة بالذات هي التي كشفت اقتراف الشاب، وذلك لسببين، أولهما: أن اعتناق الديانة المسيحية لا يتطلب دق صليب على اليد أو غير اليد ونلدر من المسيحيين من يحمل صليباً على يده. وإن اعتناق هذا الدين يتطلب إجراءات طويلة وصلوات تجرى في داخل الكنيسة وهذا ما لم يحدث مطلقاً للشباب المذكور. كما أن العادة جرت أن الذي يدق صليباً على يده فإنما يدقه على يده اليمنى. وقد بلغ من بلاهة الشاب، أو قل إن الله هو الذي أراد أن يظهر الحق فجعله يدق الصليب على يده اليسرى».

ولم تتوقف تساؤلات المحرر عن نتيجة التحقيقات وهل أثبتت أن الشاب هو الذي دق الصليب بنفسه ليتهم الكنيسة بذلك.. ويجب الكاهن قائلاً وليس من حق أن أتعرض للتحقيق، ولكن كل ما في وسعي أن أقوله لك هو أن التحقيق أثبت بصفة قاطعة أن الشاب المذكور لم يغير دينه، وأن أحدًا لم يقاتحه في ذلك أو يجرض عليه أو يلوح له بالمال.. أو بالفتنة التي يهواها كم قيل كذباً».

وكان السؤال الأخير للمحرر: هل أفهم من هذا أن الشاب كان من محرري الفتنة؟ وأجاب الكاهن «أنه على الأقل كان الآلة التي استعملها اللاعنون بالنار.

وهنا تتوقف تحقيق محرر الشملة، ولم يمتد بالأسئلة والبحث من بالضبط الذي هاجم الكنيسة.. من فعل ذلك ومن حرض ومن خطط...؟ واكتفت الشملة بالقول «إنه حادث فردى كالذي وقع في الزقازيق لا يمكن أن يؤثر في وحدة أمة اختلطت دماء المجاهدين فيها ببعض على اختلاف أديانهم».



ويتنادى سلامة موسى بحكومة النقراشى قائلاً «الإخوان المسلمون دعاء الماضى الذين يهدمون الكنائس يجدون التشجيع. ولم يقبض على أحد منهم بعد هدم كنيسة الرقازيق». ثم يقول «الوزارة النقراشية ارتضت سلوكهم وأذنت لهم بإخراج جريدة يومية، فأصبح لهم نشاط يتزايد، بل يتفاقم كل يوم ونحن نقرأ عن «الجزيرة التى يجب أن يؤذيها الأقباط»، فى إشارة إلى حديث حسن البنا السابق عن الجزيرة، ويتذكر سلامة موسى ويتألم «إنه لأسف يحزن الصدر، هذا الأسف الذى تحسه حين نذكر شبان المسلمين يخطبون فى سنة ١٩١٩م من فوق المنابر فى الكنائس وشبان الأقباط يخطبون من فوق المنابر فى المساجد، ثم نذكر ما انتهت إليه الحركة الوطنية التى يتسلط عليها الآن الدراويش الذين يهدمون الكنائس وينهبون المتاجر ويطالبون بالجزية من اليهود والأقباط».

ورغم ما حدث هناك لمحة نقاؤل لدى سلامة موسى «إننا ما زلنا نرى بصيصاً من النور فى أولئك الطلبة الجامعيين من المسلمين الذين شاركوا إخوانهم الأقباط فى سخطهم على حادث الرقازيق واشتمزازهم من الإخوان المسلمين الذين قاموا به وحرصوا عليه».

لم تكن مقالات سلامة موسى حول حسن البنا كثيرة، هناك مقال له نشر فى «مصر»، عدد ٢ أبريل ١٩٤٨م، حمل عنوان «حزب حسن البنا وفضيحتة» يقول فيه «ولم تكف هذه الجماعة بإيجاد حزب سياسى ينهض على التفريق الدينى، بل عمدت إلى إيجاد هيئات اقتصادية أيضاً تقوم على هذا التفريق. كما رأينا مثلاً فى شركة تسمى المعاملات الإسلامية».

وينقل سلامة موسى فقرات كاملة من مقال كتبه أحمد حسين زعيم مصر الفتاة، ضد حسن البنا وجماعته، الفقرات باللغة القسوة والحدة نقرأ منها «فشموعة الشيخ تائبى إلا أن تصور لآتباعه أنهم هم المسلمون حقاً وأن بقية الناس كفار. وشموعة الشيخ تائبى إلا أن تصور لعلماؤه أنهم رهبان الليل وفرسان النهار وأنهم السابقون



حسن البنا .. الذي لا يعرفه أحد

المقربون لدى الله. وشعوذة الشيخ ودجله يأبيان إلا أن تحدث الغلمان عن الحور العين...».

وينتقل أحمد حسين فيما نقل سلامة موسى إلى الحديث عن جرائم الإخوان، فيقول «الإخوان المسلمون قد أصبحوا خطراً على أمن مصر وسلامها الداخلي والخارجي، وقد حان الوقت لوضع حد لهذه المهزلة وهذه السخرية، فقد طالبت حتى باخت وتحوّلت إلى خطر داهم». ثم يعدد أحمد حسين مظاهر هذا الخطر، فيقول «لقد سمع الناس بمقتل الحازندار بك لأنه رجل عظيم شهير ولأنه أول رئيس حكمتي في كل تاريخ مصر يقتل بهذا الأسلوب الوحشي، ولكن هناك جريمة لا تقتل هؤلاء عن هذه الجريمة إلا من حيث شخصية المجنى عليه، ولم يسمع بها الناس أو سمعوا ولم يعيروها كل ما تستحق من الأهمية». ويحكى رئيس مصر الفتاة، الواقعة بتفاصيلها «منذ ثلاثة أسابيع في مدينة كوم النور، ذهب نفر من مصر الفتاة ليؤثفوا شعبة في كوم النور<sup>(١)</sup> فما كان من الإخوان المسلمين إلا أن يجتمعوا جميعهم ويقتل فيهم الخطيب عدداً إياهم عن غزوة بدر وحرب المشرّكين وضرورة إباداة الكفار من وادي النيل، فينتقل هؤلاء المجرمون الحمقى وهم مسلحون فيقتلون أول من يصادفهم في القرية وقد كان شاباً في ريعان الشباب لم يمض على زواجه عشرة أيام إلا وهو شهيد...».

ويواصل أحمد حسين فيما ينقل عنه سلامة موسى بالقول «لو أن الجرائم التي يرتكبها الإخوان المسلمون كانت موجّهة ضد أعداء البلاد من أى نوع كان، لالتمسنا لهم العذر ولكنها كلها موجّهة إلى أبناء البلاد، أولم يأتك هذا النبأ عندما ألقى طلبة أغرار قنبلة في مدرسة الزقازيق الثانوية فأصاب من أصابت من الطلاب». ثم يقول أحمد حسين «أولم يأتك نبأ حرقهم لكنيسة من الكنائس». موقف

(١) كوم النور: قرية كبيرة تقع في مركز بيت غمر بمحافظة الدقهلية، وهي على الطريق بين مدينتي بيت غمر والسنبلاوين، وتتميز بارتفاع نسبة التعليم فيها.

سلامة موسى من حسن البناء وجماعته يتضح أكثر في مقال له بعنوان «تشجيع التحزب الديني لمنع التطور السياسي» نشره في كل من «الشعلة» ، وفي «مصر» ٤ يونيو ١٩٤٧م. وفكرته الأساسية في ذلك المقال أن «المستعمرون الأجانب والمستبدون الوطنيون» يشجعون الحركات الدينية، التي تهتم بالتمييز الديني وليس بمكافحة الفقر وبناء المدارس والجامعات وإقامة الديمقراطية والحياة الحزبية، وقد برع الإنجليز في ذلك .. فعلوه في الهند وفي مصر وفي فلسطين وفي السودان، يقول «يفرح الإنجليز هذه الدعوة إلى التحزب الديني حتى أنهم أجازوا للإخوان أن ينشئوا فرعاً في السودان وفلسطين وشرق الأردن. ويفرح أيضاً المستبدون هذه الدعوة لأن كل ما يحفظ للمستعمرين امتيازاتهم واحتكاراتهم يحفظ أيضاً للمستبدين امتيازاتهم واحتكاراتهم».

★★★

شخصية القمص سر جيجوس تختلف كثيراً عن شخصية سلامة موسى.. القمص رجل دين في المقام الأول، وهو أحد رموز ثورة ١٩١٩م، شارك فيها، وحضر العديد من المؤتمرات في الأزهر وغيره من المساجد الكبرى، وصعد منبر الأزهر يخاطب مثيلاً الحماس للثورة والمطالبة بالاستقلال، حتى أن هناك من أطلق عليه «خطيب الثورة»<sup>(١)</sup>. نحن إذن بإزاء رجل دين لديه اهتمام بالشأن الوطني والشأن العام، هو كذلك كان متحمساً لما يؤمن به، وهذا ما جعله يدخل في صراعات عديدة، وكان من الذين اصطلم بهم القمص سر جيجوس، مرشد الإخوان حسن البناء، وكان البناء هو الذي بدأ الصدام، من المؤكد أنه كان لسر جيجوس موقفاً من الإخوان، هو - بمعنى ما - ابن لثورة ١٩١٩م وأحد رموزها، وجاءت الإخوان من البداية تملن العداء لحزب الوفد، وترفض مبدأ الوطنية المصرية داعية إلى دولة الخلافة الإسلامية، وكان ذلك مصدر قلق لدى كثيرين، خاصة أبناء ثورة ١٩١٩م،

(١) حول شخصية القمص سر جيجوس راجع د. محمد عفيفي: الدين والسياسة في مصر المعاصرة. القمص سر جيجوس، دار الشروق، ط١، سنة ٢٠٠١م.

وكان القمص سرجيوس واحدًا من هؤلاء، والذي حدث أنه في مطلع مايو ١٩٤٧م دُعي سرجيوس من الجمعية القبطية الأرثوذكسية بمعسكر التل الكبير لإلقاء بعض العظات الدينية في الكنيسة بالمعسكر، ولبي هو الدعوة يوم ٧ مايو، وزار الكنيسة وألقى عظاته، فإذا بجريدة الإخوان المسلمين تشن هجوعًا قاسيًا على سرجيوس. وقد وجهت إليه العديد من الكلمات والالتمامات القاسية، كتبها حسن البنا على النحو التالي «علمنا أن القمص سرجيوس يجتمع بمواطنينا الأقباط في التل الكبير (...) وأن هذا الاجتماع يتم في كنيسة داخل إحدى المعسكرات البريطانية (...) فما وراء هذه الاجتماعات؟ وهل هناك تدبير مبيت للاعتداء على كنيسة أخرى مثل كنيسة الزقازيق؟» وتقول المجلة أيضًا «إن إصبع المستعمر في إثارة الفتنة بارز ملموس وإن كان للإنجليز أن يطبقوا سياستهم التي استعمروا بها العالم، وهي التفريق بين أبناء الوطن الواحد (...) فكيف يسمح رجل من رجال الدين لنفسه أن يكون مطية لأعداء الوطن والدين».

وانهم كهذا بالغ القسوة في حق الرجل الذي عرف بعدائه للإنجليز، فقد كان في بعثة كنسية للسودان وأعادته الإنجليز من هناك إلى مصر سنة ١٩١٥م إذ وجدوا أنه يخرض المواطنين عليهم، وفي أثناء ثورة ١٩١٩م نفوه إلى رفح في فلسطين وفي خطبه في أثناء الثورة كان شديد النقد والسخرية من الإنجليز، وإذا هو بعد ذلك يتهم من مرشد الجماعة أنه صار مطية للإنجليز، ولم يتوقف أمر الاتهامات عند هذا الحد، بل امتد الأمر إلى تخريض الجهات الرسمية عليه بضرورة «الفت نظر الحكومة لهذه المؤامرة الجديدة حتى تقضي على الفتنة في مهدها، فما في كل مرة تسلم الجرة». ويخرض المرشد كذلك الأقباط عليه .. «الاتجاه إلى مواطنينا الأقباط ليتبرؤوا من هذا القمص وليشتروا إخلاصهم للوطن الذي يجمعنا والذي يجب أن نفتديه بدمائنا وأموالنا».

أعاد القمص نشر ما نشرته عنه جريدة الإخوان، وبدأ في الرد بجملته قاسية وموجعة تجاه حسن البنا نفسه وجماعته، وصلت ردوده إلى أكثر من عشرين مقالاً، كان

الأول منها بعنوان «الموت ولا حكم دولة عمر حسن البنا» نشره في مجلته التي كان يصدرها «النارة المصرية»، القال مطول، جاء فيه «ها نحن قد عشنا وشفتنا ووقفتنا مع الذين سبقونا ورددوا هذا القول لأننا ما كنا نحلم أو نتصور أنه في القرن العشرين وفي عهد الدستور والديمقراطية والقبيلة الذرية يقوم في مصر (...) هنا في عروس الشرق وقودته، يقوم عمر حسن البنا يجمع حوله رهطاً هم أعلم الناس بحقيقة أنفسهم يتطلبون إلى الحكم في مصر وإخضاع البلاد وإذلال العباد، ولم يبقوا عند حد التطلع، بل أخذوا يعملون على الوصول إلى أغراضهم، فجيشوا جيوشاً عرمرم وحشدوها في كل بلد وفي كل مكان كما جمعوا من الأسلحة ما جمعوه، وها هم ينشرون إرهابهم في البلاد وإن كانوا بدؤوا بالمسيحيين واليهود فحرقوا الكنائس وهجموا على الجمعيات وأقاموا المظاهرات...» ثم يقول «ولما استمرؤوا المرمى ولم يجدوا من يردعهم هجموا على رجال الحكومة في مركز ههيا وضربوهم لأنهم تصدوا لهم وأرادوا أن يمنعوهم عن المظاهرة لزرقة مسيحي أكرهوه على الإسلام...»، ويتخيل سر جيوس النحاس باشا وهو يدعو المسلمين والمسيحيين واليهود ليتوجهوا بالدعاء إلى الله «خدها يا رب ما تخضر هاش حكم هذه الدولة قبل أن يحكم فيها زعيط ومعيط ونطاط الحيط. فالمرت ولا حكم دولة عمر حسن البنا». ويقدم القمص تبريراً لموقفه أو رأيه الأخير بالقول «نحن إذا قلنا هذا لا نفتري على عمر حسن ورهطه، فهو ذا عمر حسن ورهطه كانوا في بادئ أمرهم من القوم الذين يحشدهم المرشحون لعضوية النواب والشيخ ليعطوهم أصواتهم أو ليقوموا لهم بعمل الدعاية في أوساطهم فلما تكرر حشدهم واستخدامهم لأغراض مماثلة داخلهم الغرور فقالوا في أنفسهم: إذا كان الزعماء والشيخ والنواب لا يصلون إلى كراسيهم إلا بواستطنتنا فلماذا لا نأخذ نحن هذه المراكز لأنفسنا (...). ولماذا لا نكون نحن الإخوان نواباً وشيوخاً ووزراء وكبيرنا رئيساً للوزراء؟» وتوالت مقالات القمص، كان عنوان إحداها - ٢٨ يونية ١٩٤٧ م - «اليوم تدل وغداً تذلل يا حسن البنا!». وفي ١٢ يوليو كان عنوان مقاله «حسن البنا يخنق نفسه بيده». وردت جريدة الإخوان تدافع عن المرشد، وحاول البنا أن يدافع عن نفسه، ويبدو أنه لم يكن



يوقع حدة القمص، الذي بدا أنه متابع جيد لمسيرة البناء وجماعته ويدرك الكثير من الخبايا عن التوظيف السياسي الذي قامت به الحكومات المختلفة للجماعة، وفضلاً عن ذلك كان القمص يتتبع بعمق كتابات ومقالات البناء، وأثبت القمص أن لديه إلمام واسع بالثقافة الإسلامية وعلى دراية كاملة بالآيات القرآنية وأقوال كبار المفسرين حولها، فقد اتهمه أنه يقدم «تفسيراً ملتوياً للقرآن الكريم»، وكان البناء يقدم «نظرات في القرآن الكريم». وحاول أن يفسر الآيات القرآنية التي تتعلق بالمسيحيين وبأهل الكتاب، والحقيقة أنه لم يكن مفسراً ولا كان ملتماً بخبايا وأسرار علم التفسير، وكذلك كانت ثقافته المعاصرة محدودة؛ لذا راح يطلق أحكاماً بالكفر على أهل الكتاب، مما أثار عليه ليس القمص سر جيوس فقط، بل آخرين غيره وكشف سر جيوس في ردوده عن ثقافة واسعة وإحاطة بالثقافتين الإسلامية والمسيحية، فضلاً عن إلمامه بالأنكار الحديثة، وهذا ما افتقده البناء، الذي أخاف غير المسلمين، وترصده سر جيوس بالبحث والرد، منفذاً كل ما يقول به في سلسلة أخرى من المقالات حملت عنوان «حسن البناء يحرص على قتال الأقليات».

وكان البناء قد توقف أمام الآية القرآنية الكريمة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وجاء في تفسير البناء لها «وقد وصفت الآية أهل الكتاب وهم في عرف الإسلام اليهود والنصارى بثلاث صفات بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وبأنهم لا يدينون دين الحق وذلك معلوم من سيرتهم وكتبهم...». وقال أيضاً «أهل الكتاب ثقافتون كما يُقاتل المشركون تماماً إذا اعتدوا على أرض الإسلام أو حالوا دون انتشار دعوتهم». وقال في سياق آخر «وأما أهل الكتاب فقد ترخص الإسلام في أمرهم وأجاز الاكتفاء بأخذ الجزية منهم، فمتى شهدوا بأدائها ورضوا بها فقد وجب أن يرفع عنهم السيف، ومثلهم في ذلك



المجوس والصابئون والمشركون من غير العرب والوثنيون كذلك في أرجح الأقوال. وراح القمص يرد على هذه الآراء بعبارات غاية في الانفعال والقسوة، فأطلق على حسن البنا «شيخ السوء» وبدلاً من لقبه المرشد العام قال عنه «الفسد العام» والواقع أن الآية القرآنية الكريمة لم تدن «أهل الكتاب» عموماً، لكن فئة منهم هم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... ولذا راح سرجيوس يستشهد بأقوال مفسرين آخرين وبآيات أخرى من القرآن الكريم تشيد بأهل الكتاب وتنفي ما ذهب إليه البنا، وكان عدد من علماء الأزهر ومن هيئة كبار العلماء، قد ردوا على البنا، واستشهد بهم سرجيوس «ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التي نشرت ضدك في الصحف ما يجعل المسلمين في بلاد الشرق أن يضربوا بأقوالك عرض الحائط (...) لا شك أصبحت غير ذي ثقة في أمور الدين بعد أن اتخذت الدعوة إلى الخير وسيلة لارتكاب المحرمات وهو من أشد ما يمجته الدين، الأمر الذي فيه تسخير المظهر الديني للحصول على الشهوات، وهو باب في الوقت نفسه من أبواب إنسداد الأخلاق، كما جاء عنك في رأي فضيلة الأستاذ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء».

هل كان القمص سرجيوس مبالغاً في مخاوفه ومتحاملأ على حسن البنا؟

الواقع أن بعض كلمات القمص في مقالاته يمكن أن تدخل اليوم في باب «السب»، لكن هكذا كانت الممارك والحملات الصحافية في ذلك الزمان - ديسمبر ١٩٤٧م - لكن تفسيرات البنا كانت مثقلة وخفيفة، وإذا كان عدد من علماء الأزهر، أصابهم القلق من آراء البنا وراحوا يرددون عليه، وقلق أيضاً من هذه الأفكار الليبراليون واليساريون المصريون.. فما بالنابغير المسلم؟

من الناحية العلمية والفقهية فإن أفكاره ليست ذات وزن، ولو أنها صدرت عن أستاذ متخصص يعد كتاباً مع نفسه لفات الأمر، لكننا بإزاء رجل هو قائد جماعة ويدير مياليشياته المسلحة «التنظيم الخاص» وكانت بعض أعمال العنف من هذا

صلى الله عليه وآله ... الذي لا يعاينه أحد

التنظيم قد بدأت، وأحرقت كنيسة الزقازيق، واتجه المراجع العام إلى تحميل حسن البنا مسؤولية التعريض على هذا العمل، ثم بدأت أعمال العنف تجاه اليهود وبعض منشاتهم في مصر، ويمكن للإخوان اليوم أن يبرروا تلك الأعمال بأنها كانت دفاعاً عن فلسطين، لكن وقتها لم يكن الفهم هكذا، على الأقل، لدى كثير من أفراد النخبة، وعلى سبيل المثال قام التنظيم الخاص للإخوان بنسف شركة الإعلانات الشرقية وهي شركة مملوكة لليهود مصريين، وكان تفسير هذا الفعل لدى عدد من الكتاب وقتها أنه تم نسفها لأنها تنافس شركة المطبوعات الإسلامية، التابعة للجماعة، أي أن العنف لم يكن بسبب وطن ولا دفاعاً عن فلسطين ولكن كان من أجل المنافسة المالية والتجارية (البيزنس). وحين يدخل حسن البنا في الحديث عن القتل والسيف والجزية ومن خلفه تلك الميشتات فلا بد أن يطلق المسلمين وغير المسلمين، وإذا كانت أعمال العنف بدأت بالمسلمين - القاضي أحمد الخازندار وغيره - فما بالنا بغير المسلمين وماذا نتوقع منهم؟! لذا لم يكن غريباً أن تأتي كتابات بعض الأقباط مساندة لما يقول به القمص سرجيوس... ولم يكن غريباً أن تتلاقى بعض كتابات سلامة موسى وسرجيوس، رغم ما بينهما من خلاف فكري وثقافي.

لم تهدأ الحركة الصحافية بين القمص والمرشد، وذكر القس إبراهيم عبد السيد وكان قريباً من القمص سرجيوس أن النقراشي باشا رئيس الوزراء تدخل لإيقاف هذه الحركة وتهدئة الأمور بين الجانبين<sup>(١)</sup>، ثم جاء اغتيال الجماعة للنقراشي فيما بعد ليؤكد هواجس القمص سرجيوس وأيضاً مخاوفه.

ذهب سرجيوس في مقالاته إلى حد أن اعتبر حسن البنا المسؤول الأول والآخر عن الاحتدام الطائفي الذي شهدته مصر نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، وهو الاحتقان الذي انتهى بهجرة أعداد كبيرة من اليهود المصريين وبروز مخاوف قبطية، فبعد إحراق كنيسة الزقازيق احترقت كنيسة في السويس سنة ١٩٥١م،

(١) راجع محمد عفيفي، المرجع السابق، ص ٥٠.

وسواء كان حسن البنا يقصد أم لا... فإن أحاديثه عن الحرية وأهل الكتاب أثارت الفزع، وقيام المليشيات الخاصة به (التنظيم الخاص) بأعمال إرهابية، أكدت ذلك الفزع والقلق، لكن يجب أن نراعى عدة أمور، منها أن فكرة حسن البنا ومشروعه كان يعلن من البداية مناهضته للمشروع الوطني الذي قامت عليه ثورة ١٩١٩م، كان هو من أنصار ودعاة دولة الخلافة، وليس الدولة الوطنية، بكل مفرداتها وأدواتها، ولم يكن هذا المشروع يثير المخاوف حين كانت الجماعة ناشئة وكان المشروع الوطني قوياً وناهضاً، ولكن بتراجع هذا المشروع والكشفافه، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ مشروع البنا يتمدد، وقد تراجع المشروع الوطني بسبب عنجهية المستعمر البريطاني وإصراره على عدم الجلاء عن مصر، وكانت آخر محاولة في هذا الصدد، تلك التي قام بها النقراشي باشا سنة ١٩٤٧م بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن في سنة ١٩٤٧م؛ لذا لم يكن هناك بد أمام النحاس باشا أن يعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م، وبدأت أعمال الفدائيين.

وفي العادة تظهر المشكلات الطائفية حين يتراجع المشروع الوطني، وإذا كانت الحرب العالمية الأولى انتهت بقيام ثورة ١٩١٩م وانتصار الحركة الوطنية والدولة المدنية الحديثة، مما أشاع حالة من التفاؤل العام، نجد الحرب العالمية الثانية تنتهى بنتيجة عكسية، حيث ظلت بريطانيا تصر على رفض الخروج من مصر وتفاقت المشكلات الاجتماعية، التي عرفت باسم الفقر والجهل والمرض، ولم يكن هناك أى أفق واعد بانقراج في هذه القضايا، وتفاقم الأمر مع احتدام الصراع على فلسطين واندفاع المشروع الصهيوني فيها بمساندة إنجليزية كاملة، هذا كله أضعف الأحزاب المدنية، وجعلها تتراجع، بينما تتقدم القوى والتيارات المضادة، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، ما فعله حسن البنا أن استغل هذا الفراغ وراح يوظفه لصالح فكرته ومشروعه، وأخذ الغرور بقوته وأغراه ضعف الآخرين من أحزاب وقوى سياسية، فكان أن دفع حياته ثمناً لحملات مليشياته وغروره الشخصي.

## الْقَصْدُ السَّابِعُ

### الجميل السعودي

في نهاية عام ٢٠٠٢م شن وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز هجوماً ضارياً على جماعة الإخوان المسلمين اتهمهم فيه «بخيانة العهد وإنكار الجميل» ونجاوزت الاتهامات الحدود السلوكية والأخلاقية للجماعة عامة أو بعض أفرادها، إلى حد اعتبارهم مسؤولين عن «إفساد الأمة واستخدام الدين لتحقيق مآرب سياسية صغيرة»، كان البيان والتصریحات التي أدلى بها الوزير السعودي غريبة، ليس في قوتها فقط، ولكن في أن المسؤولين الكبار بالملكة لم يعتادوا التعبير بهذه الطريقة الصريحة، إذ غالباً ما يكتفى هؤلاء بالتلميح فقط، فالخطاب السعودي الرسمي محافظ ويجرّص أصحابه على التزام التقاليد العربية التي لا تميل إلى الانتقاد الجارح، وفضلاً عن ذلك كان غريباً أن يصدر ذلك في حق جماعة الإخوان، وعلاقة الجماعة بالملكة قديمة وودودة.. في ذلك الوقت ظهرت تحليلات عديدة لهذا الموقف من وزير الداخلية السعودي، الذي كان يعبر عن موقف المملكة، من بينها أن الجماعة خرقت اتفاقاً قديماً مع المملكة بعدم تجنيد أي من مواطني المملكة، لكن تبين للمملكة أن الجماعة اخترقت في بعض المدن إلى بعض النساء السعوديات وجندنهن<sup>(١)</sup>.

حين اتهم وزير الداخلية الأمير نايف الإخوان بخيانة العهد وإنكار الجميل، فقد كان مدرّكاً عمق وقدم الصلة بين الجماعة والملكة، والتي تعود إلى أيام مؤسس

---

(١) راجع: مجلة الصور، عدد ٢ يناير ٢٠٠٣م، مقال مكرم محمد أحمد «الوقائع الخفية بين السعودية والإخوان المسلمين».

المملكة عبد العزيز بن سعود ومؤسس الجماعة حسن البنا، وهي علاقة وصلة تسبق اعتراف المملكة المصرية، وعلى رأسها جلالة الملك فؤاد، بالمملكة العربية السعودية حين أسسها جلالة الملك عبد العزيز.. وحين أشار الكاتب وحيد حامد في مسلسل «الجماعة» إلى الصلة بين حسن البنا وبعض مسؤولي المملكة غضب بشدة بعض الإخوان وفهموا الأمر أن الكاتب يريد أن يصور البنا أنه تجاوز الدولة والمملكة المصرية، حيث أقام علاقات مع دولة لم تكن مصر قد اعترفت بها، لكن هون البعض من ذلك الأمر باعتبار أن المملكة حينذاك كانت بلا نطق وكانت ظروفها المالية سيئة ولا تمكنها من دعم أحد.. ودار نقاش مكثوم في المجالس والمنتديات الخاصة للمثقفين والسياسيين حول هذه الجزئية.

ويجب القول إن المملكة حين تأسست وأعلن الملك عبد العزيز قيامها لم تجد ترحيباً من الأصوات التقليدية في المنطقة، خاصة أسرة الشريف حسين التي رأى أفرادها أنهم الأحق بحكم المناطق المقدسة، وقد وقفوا مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية على وعد أن تمكنهم بريطانيا من حكم هذه المناطق، ولم يرحب بالمملكة الكثير من علماء المسلمين، خاصة علماء الأزهر، فقد كانت الصلة قوية بين المملكة والوهابيين، وكان لدى هؤلاء العلماء موقفاً رافضاً للتشدد الوهابي، كان الوهابيون جلدوا جندياً مصرياً من المصاحيين لكسوة الكعبة سنة ١٩٠٢م لأنه كان يدخن سيجارة<sup>(١)</sup>.. لكن في المقابل هناك فريق من المهتمين بالشأن الإسلامي رحبوا بقيام المملكة باعتبار أنها دولة قامت على أسس إسلامية خالصة، وهي أقيمت بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، وكان قيامها مبعث آمال لدى هؤلاء، خاصة أنها تضم مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن هؤلاء كان رشيد رضا صاحب مجلة المنار، الذي كتب سلسلة مقالات في «المنار» مدافعاً عن الوهابية وعن الدولة الجديدة، وقد جمع هذه

(١) راجع في ذلك: مايكل كوك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ترجمة د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمى ود. عمار الخلاص، طبعة ٢٠٠٩م، الشركة العربية للأبحاث والنشر.



القبائل في كتاب حمل عنوان «الوهايون والحجاز»، ولم يكن رشيد رضا وحده، كان هناك غيره من أمثال عبد الرحمن عزام، لكن الملك فؤاد لم يعترف بالملكلة لأسباب تخصه، ومع ذلك لم يكن هناك عداً بين الدولتين، كانت التعاملات قائمة وطيبة بين الملكيتين، خاصة في مواسم الحج، لكنها كانت متجمدة عند القمة بسبب الملك فؤاد وليس بسبب الملك عبد العزيز؛ لذا كان تعامل مواطن مصري مع الملكة العربية السعودية أمراً لا غضاضة فيه ولا يسبب له أى مشكلات في مصر؛ لذا وجدنا عدداً من المصريين عملوا مبكراً في الملكة ومع الملك عبد العزيز نفسه، مثل الشيخ حافظ وهبة.

كان حسن البنا على صلة برشيد رضا وفريق المعجيين بالملكية، وعلاقة البنا بالسعودية قديمة، تعود إلى بداية عمله مدرساً للخط العربي بالإسماعيلية، فقد كان مطروحاً أن يسافر معاراً إلى الملكة بأحد معاهدها الدينية في مكة المكرمة، وسعى هو إلى ذلك، ولم يتحقق مسعاه لسبب لم يوضحه بالقدر الكافي في مذكراته، هو يذكر أنه اشترط شروطاً وطلب مطالب لم تتحقق، لكن يبدو أن الأمر لم يكن كذلك، ويمكننا أن نخمن أن مؤمله العلمي لم يكن يسمح له بالعمل في معهد ديني، وهو خريج «تجهيزية دار العلوم» وحمل دبلوم دار العلوم ولم يكن هذا الدبلوم يعامل معاملة الليسانس أو البكالوريوس، وهذا الخريج ليس مؤهلاً بالقدر الكافي للتدريس بمعهد ديني، لنلاحظ أنه لم يدرس بالأزهر أبداً، هو كذلك كان يعمل في مصر مدرساً للخط العربي، لم يكن قد ارتقى بعد ليكون مدرساً للغة العربية، فإنا بالمواد الدينية؟! وفي خطاب بعث به حسن والده من الإسماعيلية بدا حزناً ومناً أنه لم يتمكن من السفر<sup>(١)</sup>، فقد كان يعول على ذلك كثيراً، وهذا مفهوم الشباب في مستقبل العمر، خاصة من ينتمى إلى أسرة فقيرة.

(١) نشر جلال البنا خطابات حسن البنا إلى والده في كتاب مستقل.

عدم تمكنه من السفر لم يهر إعجابه بالملكة، فنراه يقول عنها في مذكراته «هى أمل من آمال الإسلام والمسلمين. شعارها العمل بكتاب الله وستة رسوله وتحرى سيرة السلف الصالح». وهو في مقابل هذا الإعجاب لا يتردد في أن ينتقد ويدين حكومة بلاده - الحكومة المصرية - في طريقة تعاملها مع المملكة وعدم اعترافها بها ويذهب إلى حد أن حكومة بلاده منصاعة في ذلك للإنجليز، إذ يقول «كانت الحكومة المصرية لم تعترف بعد بالحكومة السعودية تنفيذًا للسياسة الإنجليزية التي تفرق داتها بين الأخوين». وهذا القول يعتمد على استسهال الاستنتاج والاندفاع وراء المواطن متجاهلاً الواقع، فلم يكن للإنجليز دور في هذا الأمر، وهناك ما يشير إلى أنهم كانوا يتمنون الوثام بين الملكتين، باعتبار أنهم يحتلون مصر وهم أيضًا يساندون ابن عبد العزيز ويدعمونه، حتى أنهم دبوا موقع حكم لأبناء الشريف حسين الذين كانوا يحملون بحكم الجزيرة العربية، كانت المشكلة تتعلق بالملك فؤاد، كما سبق القول، كان فؤاد يطمح إلى أن يصبح خليفة المسلمين بعد إسقاط دولة الخلافة في تركيا، وكان قيام دولة إسلامية في المناطق المقدسة يضعف ذلك الطموح، بل يقضى عليه، إذ أن أهم واجبات خليفة المسلمين حماية مكة المكرمة والمدينة المنورة، أى يكون «خادم الحرمين الشريفين» وقد جاء الملك عبد العزيز ليقوم بتلك المهمة، وهناك سبب آخر شرح ملائساته الملك عبد العزيز بنفسه في لقاء مطول مع د. محمد حسين هيكل وقد ذكره هيكل في كتابه «في منزل الوحي»<sup>(١)</sup>، ففي بداية الأمر بعث الملك عبد العزيز برسالة تطمين إلى الملك فؤاد يؤكد له فيها أن هدفه ليس الحكم ولا الملك، بل إنه لا يبايع في أن يتولى الملك فؤاد ملك الحجاز، كانت رسالة شفوية، تطمينية، إن صحت التسمية من رجل حنك، يسمى إلى اكتساب ود حاكم مصر، ولعله يريد بذلك أن لا يساند الملك فؤاد أحدًا من خصومه، وربما أراد أن يقول له بذكائه الشديد أن ماضى الأجداد، أى محمد على وابنه إبراهيم باشا مع الدرعية

(١) راجع التفاصيل كاملة في كتاب د. محمد حسين هيكل «في منزل الوحي»، الفصل الذى يحمل عنوان «مع ابن السعود»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

والدولة السعودية الأولى، في طي النسيان بالنسبة إليها ولن يؤثر على العلاقات والأوضاع الجديدة بين البلدين، لكن فيها يبدو أن ذكاء الملك عبد العزيز لم يصل إلى الملك فؤاد الذي كان «مشتاقاً» بحق إلى الملك وإلى السلطة، ويبدو أن ما قاله الملك من باب المجاملة ترك أثراً أو أمة في نفسه، أيما كان الأمر فلم تكن هناك وقعة قام بها الإنجليز ولا كان الملك تابعاً للإنجليز في ذلك ولا منساقاً لهم، ينفذ سياساتهم.

ولأن حسن البنا مفتون بالمملكة، فإنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيضيف في مذكراته منذاً بالملك فؤاد دون أن يذكره بالاسم ومكتفياً بكلمة الحكومة ليقول «كان الشعب المصري بأسره يستكر هذا الوضع الشاذ وكانت الطبقة المثقفة ترى في نهضة الحجاز الجديدة أملاً من آمالها وأمية من أمانيتها»، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، ويقرب من الكذب الصريح، لم تكن العلاقة بين الملكين أمراً شاغلاً للشعب المصري، ولا كان عدم اعتراف مصر بالسعودية مثار استنكار الشعب المصري بأسره، كانت الأحزاب المصرية وقتها مشغولة بقضيتين أساسيتين.. الاستقلال وحكم الدستور، وكانت الأحزاب والقوى الرئيسية في مصر متوقفة عند حدود علاقتنا ببريطانيا، وما كان يشغل المصريين - في المقام الأول - علاقة مصر بالسودان أو وحدة وادي النيل، أما الاعتراف بالسعودية، فلم تكن قضية عند الأحزاب ولا في الشارع المصري، لسبب بسيط، هو أنه لم يكن هناك عداء بين الدوليين ولا كانت هناك حروب كلامية بينهما، كان هناك موقف خاص لدى الملك فؤاد، وأظن أن الجميع في مصر وفي المملكة العربية السعودية كانوا يتفهمون ذلك، مثلاً حين أقام الملك عبد العزيز احتفالاً بقيام المملكة ذهب وفد صحافي كبير من مصر لتنظية الاحتفال، وعاد الصحافيون وكتبوا - لم تحذف الرقابة لهم كلمة - وأما إن نهضة الحجاز كانت أملاً وأمية لدى الطبقة المثقفة فهو أيضاً كلام بلا معنى وغير صحيح، الصحيح أنها كانت كذلك لدى بضعة أفراد، من أبرزهم رشد رضا وحسن البنا وآخرون.

هذه المبالغات حتى لا نقول الأكاذيب التي قالها حسن البنا من قبيل الافتتان والإعجاب بالدولة الوليدة، وبالتأكيد فإن ما قام به الملك عبد العزيز من بناء دولة كبيرة وقوية في منطقة الجزيرة العربية تجمع أشتاتها من قبائل متناحرة، أمر يدعو إلى الإعجاب، لكن حسن البنا لم يكن ذلك في هذه الدولة رهاها فقط دولة تقوم على كتاب الله وسنة رسوله. والمؤكد أن إعجاب البنا لم يكن من طرف واحد، كان هناك من يتابعه داخل المملكة ويقدّر ما يقوم به في مصر، كان والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا يقوم بشرح كتاب «الفتح الرباني» في مسند الإمام أحمد بن حنبل وينشره بمعاونة محي الدين الخطيب، والإمام أحمد بن حنبل هو الفقيه الأكثر تشدداً بين فقهاء المذاهب الأربعة؛ لذا كان أتباعه في مصر عددهم محدوداً، لكن الفقه الحنبلي وابن حنبل نفسه هو الإمام الأكبر والفقيه الأعظم لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه؛ لذا كانت أجزاء الفتح الرباني تطبع هنا وترسل إلى الأراضي الحجازية، ومن ثم كانت للوالد صلات بعدد من مشايخ وعلماء السعودية، وكانت الرسائل تصله منهم، حول الكتاب، وبين هذه الرسائل نجد في إحداها تحيات مزجاة من إحدى الهبات السعودية إلى الشيخ حسن البنا وجماعته، وتكشف أن نشرات جماعة الإخوان كانت تصل إليهم في المملكة وكانت رسالته «نحو النور» محل تقدير وإعجاب عدد منهم.

في العام ١٩٣٥م توجه د. محمد حسين هيكل إلى المملكة العربية السعودية، وكان يقصد أداء فريضة الحج والقيام برحلة إلى الأماكن المقدسة وبعض الأماكن الأخرى المحيطة بها لإعداد كتابه «في منزل الوحي»، ركب هيكل الباكسة من السويس إلى جدة، وكان معه على الباكسة عدد من الشخصيات العامة وإحدى الأميرات من الأسرة العلوية، كانت الباكسة مملوكة لعبود باشا، الذي حرص على أن يوضح بنفسه الباكسة بمن عليها، وبعد أن تركت الباكسة فوجي د. هيكل أن حسن البنا على الباكسة نفسها، وذهب إليه البنا مقدماً نفسه، وأخذ يتحدث عن جماعته التي

أسسها وأن هدفها «تهذيب الناس تهذيباً إسلامياً صحيحاً»، ولم يكتفِ البنا بذلك، بل قدم عرضاً محدداً إلى محدثه وهو أنه يطمع في أن «يعضد مؤلف حياة محمد هذه الجماعة، بل يطمع في تولي رئاستها»<sup>(١)</sup> وبشكره د. هيكل معتزلاً عن عدم قبول رئاسة هذه الجمعية متعللاً بانشغاله بالكتابة والعمل السياسي. فيما بعد وحين يصبح د. هيكل وزيراً للمعارف ويصدر قراراً بنقل المدرس الابتدائي حسن البنا من القاهرة إلى قنا، سوف يقول الإخوان إنه فعل ذلك انتقاماً من الإخوان لانتقادهم كتاب «حياة محمد».. وفيما بعد أيضاً سوف يحاول التنظيم الخاص التابع لحسن البنا اغتيال د. هيكل، وبالفعل يتم إلقاء قبلة على سيارته فتنصيب سقفتها فقط، ولكن كان بداخلها زوجة د. هيكل بدلاً منه، فأصبحت بصدمة عصبية، قال لي أحمد هيكل نجل د. هيكل إن والدته ظلت شهوراً تعالج من آثار ذلك الحادث، وبعد حوالي ٣ أشهر من الواقعة اتصل أحد الإخوان بمنزل د. هيكل ليقول لهم إن الجماعة لا علاقة لها بالعملية.

المهم إن الباخرة وصلت إلى جدة وتوجه الحجاج إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج، ولفت انتباه د. هيكل ما يقوم به حسن البنا هناك، إذ وجده «يقف في كل جمع خطيباً واعظاً، يتلو آيات القرآن في مناسباتها». ويبدو أن ما لفت انتباه د. هيكل ليس فقط أن الشيخ حسن ليس من كبار العلماء، ولا يعد من العلماء أصلاً، بل إن رجال الوهابية ما كانوا يسمحون لأى من العلماء أن يقف هكذا خطيباً بين الحجاج، وأمام أى جمع متحدثاً فيهم، تلك كانت مسألة حساسة للغاية، وتخضع لتدقيق وانضباط شديدين من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يقف في الحجاج ينبغي أن يكون موضع ثقتهم حتى لا يطرح أفكاراً مغايرة لأفكارهم، أو يعلن آراء مخالفة لأرائهم... ويبدو أن د. هيكل لم يترك الأمر يمر عابراً، بل استفسر

(١) راجع تفاصيل هذا العرض في مذكرات د. محمد حسين هيكل، الجزء الثانى، هيئة الثقافة الجماهيرية، ٢٠١٠م.



وتساءل ، وجاءت الإجابة؛ لذا نراه يكتب في مذكراته بالحرف الواحد عن حسن البنا « قيل لي وأنا بالحجاز إن له صلة بالحكومة السعودية وأنه يلتقى منها عطفاً ومعونة». باختصار كانت هناك صلة وعلاقة مع الحكومة السعودية، ومن ثم فأراه وكتاباته عن السعودية وعن موقف الحكومة المصرية منها، لم يكن رأياً بريئاً ولا خالصاً، كان بناء على علاقات خاصة له ، وأنه يجد من المملكة عطفاً ومعونة، والذي قال ذلك كاتب، يزن الكلام بدقة، ويميز بين العطف والمعونة، أما العطف فقد يعبر عن المساندة المعنوية، أما المعونة فهي الأمور المادية، أى الأموال.

د. هيكल كان سياسياً ولذا لم يشأ أن يذكر تفصيلات ولا أن يخرج أحداً، فلم يعلن من قال له ذلك، وبالتأكيد قيل له ذلك بشكل خاص وشخصي، ولكن لا بد من معرفة الذين التفاهم د. هيكل في تلك الرحلة. هو كان ضيفاً على صديقه وزير المالية بالمملكة وحل ضيفاً في بيته، هو كذلك التقى عدداً من أمراء الأسرة السعودية وعدداً من المسؤولين عن السياسة الخارجية للملك عبد العزيز، قابل كذلك بعض أفراد حاشية الملك، وأخيراً فقد التقى الملك عبد العزيز ثلاث مرات في تلك الرحلة، المرة الأخيرة كانت لقاء خاصاً وجلسة مطولة بينهما وحدهما، فتتح له الملك عبد العزيز قلبه تجاه مصر وتجاه الملك فؤاد وتحدثا أيضاً في أمور أخرى. تلك مصادره في المعرفة والمعلومات، وبين هؤلاء سمع ما قيل له عن صلات وعلاقات حسن البنا والمعونة التي يلقاها من المملكة.

لا الدكتور هيكل ذكر تفصيلات أخرى ولا المملكة تعلن عن مثل هذه الأمور، فهناك الخلق الإسلامي... إنك إذا أعطيت حسنة بيدك اليمنى فلا يجب ليدك اليسرى أن تعلم بها، ورغم أن هذه التفضيلة خاصة بالأفراد فقط وما يقدمونه من مالهم الخاص حسنة وصدقة لغير القادرين أو للفقراء، لكنهما تنتقل أحياناً إلى المال العام وإلى الدول، تجاه الجماعات والشخصيات التي من هذا النوع.

ولدينا شهادة أخرى تكمل شهادة د. هيكل وتؤكدها، وتضيف إليها بعض التفاصيل، صاحب هذه الشهادة هو السفير هيرسمان آيلنس، أول سفير للولايات المتحدة في مصر بعد عودة العلاقات بين البلدين في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م، هو كذلك عمل فترة سفيراً لبلاده في المملكة العربية السعودية، وخدم فترة من عمله في السفارة الأمريكية بطهران زمن الشاه، يفاجئنا آيلنس بأنه عرف شخصيًا حسن البنا، في شبابه كان آيلنس يعمل بالسفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية، وهناك رأى البنا والتقاء، ويقول آيلنس عن نفسه إنه «عرف البنا حق المعرفة». وقال آيلنس أيضًا «اعتاد البنا في الواقع أن يأتي إلى السعودية للحصول على المال» ثم قال «التقيته في منزل نائب وزير المالية السعودي آنذاك وكان رجلاً ورعًا نقيًا ويتعامل مع البنا. كان اسمه الشيخ محمد سرور صبحان وكان عبدًا وأعتق. كان مسرور هو المسؤول عن الأمور المالية مع الإخوان المسلمين». ويقول آيلنس أيضًا «كان البنا زائرًا منتظمًا لرؤية السعودية التي كانت مصدر المال له»<sup>(١)</sup>.

قال آيلنس ما عفا د. هيكل عن أن يقوله، والكلام واضح، كان نائب وزير المالية السعودي هو من يتولى الدفع وكان الدفع يتم بانتظام، ولم يتوقف، ذلك أن آيلنس ذكر في شهادته أن آخر مرة التقى فيها حسن البنا كانت في أواخر العام ١٩٤٨م أي قبل اغتياله بشهور.

قد يرى البعض أن السعودية في الثلاثينيات والأربعينيات لم تكن قد أصبحت دولة نفطية ومن ثم لم يكن لديها المال الطائل، وهذا صحيح، لكن لنتذكر أن مبلغ خمسة جنيه حصل عليها حسن البنا في بدايته من شركة قناة السويس جعلت الجماعة تتوازن ماليًا وتبنى مسجدًا ومدرسة. لكن لعل شهادة آيلنس ومن قبلها شهادة د. هيكل تفسر لنا لماذا كانت صورة الملك عبد العزيز داتجًا ما تغطي غلاف

(١) نرد شهادة آيلنس ضمن كتاب روبرت دريفوس «العبث الشيطان بترجمة: أشرف توفيق، سنة ٢٠١٠م.

مجلة الإخوان، وكذلك أخباره وأخبار الأمراء وكبار المسؤولين بالملكة كانت صورهم تنشر أكثر من صور المسؤولين المصريين.

ولعل الافتتان بالملكة من جانب البنا والدفع من جانب نائب وزير المالية السعودى يفسر لنا اقتراب شعار الإخوان من شعار الملكة، حين تأسست الجماعة كان شعارها المصحف فقط، وصدرت اللائحة الأولى للجماعة وبها نص حول أن المصحف هو الشعار وكذلك فى اللائحة الثانية، ثم اخفى ذلك النص فيما بعد من اللائحة، وتغير الشعار ليصبح سيفين وبينهما المصحف.. وهو أقرب ما يكون إلى شعار الملكة .. حدث ذلك التعديل فى الشعار دون نص فى اللائحة وفى صمت تام، ودون أن يثير الكثير من التساؤلات.

الطريف فى كل هذا أن البنا كان يتحدث دائماً إلى الإخوان عن أن الجماعة لم يدخلها ملهم واحد من غير اشتراكات الأعضاء، ومن جيوب الأعضاء. كان يقول ذلك ويكرره باستمرار، وكانت زيارته أيضاً للملكة العربية السعودية تتم بانتظام وباستمرار من بداية الجماعة وإلى شهور قبل وفاته، وأظن أن وزير الداخلية السعودى الأمير نايف بن عبد العزيز حين اتهم الجماعة بكران الجميل فذلك لأنه يعلم ويعرف، عن «الجميل» الذى قدم من أيام والده الملك عبد العزيز، أما الجمائل الأخيرة التى قدمتها الملكة للإخوان بعد ذلك، فهى كثيرة.. كثيرة، لكن لا يحتمل هذا الكتاب تناول فترة ما بعد حسن البنا.

## الْقَصَّةُ الثَّامِنُ:

### إلى السفارة الأمريكية

علاقة وتعاملات حسن البنا مع بريطانيا مؤكدة، بدأت في نفس لحظة تأسيس الجماعة، وطبقاً لما رواه حسن البنا في مذكراته بدأت العلاقة من جانبه هو وبسمى منه، إلى شركة قناة السويس للحصول على معونة أو تبرع لبناء المسجد، هو الذي ذهب مختاراً ومبادراً إليهم، طالباً المبلغ، وأخذ يساومهم ويفاوضهم، دفعوا مبلغ خمسة جنيه، وهو كان يريد ويتنظر المزيد.. المبلغ كان ضئيلاً بمقيار وعملة ذلك الزمان، لتتذكر أن ثمن متر أراضى المباني في حى مصر الجديدة وقتها - على أطراف القاهرة - كان بمبلغ مليونين.. وحين استهول بعض أنصار الشيخ أن يأخذ أموالاً من الإنجليز الذين يحتلون البلاد كان رده حاضراً: إنها أموالنا نحن، هم ينهاون أموالنا وخيراتنا؛ لذا لا ضير أن نسترد بعض هذه الأموال، أى بعض من حقوقنا لديهم، كان هذا التبرير منه، يعنى أن لا مانع لديه من قبول أموال أخرى من الإنجليز والسعى إلى الحصول عليها.. فى الجهة الأخرى لم يكن الأمر بهذه السهولة، الإنجليز لم يكونوا كرماء إلى هذه الدرجة كى يقدموا تبرعاً إلى شاب مغمور، ولا هم من أهل الخير حتى يساهموا فى مساعدة جامعة ناشئة، لكن كل شيء لديهم بحساب وقدر، فى الوثائق البريطانية أحاديث كثيرة عن أن هذه الأموال، كانت أموال مخبرانية، فى المقام الأول، دفعت لهدف سياسى عظيم لديهم، فقد رأوا فى البنا خصماً لدوداً للوفد، يمكن الاستفادة منه فى إضعاف الحركة الوطنية المصرية وهز صورة الحزب المناوئ لهم والمطالب باستقلال مصر؛ ولذا دعموا حسن البنا وجماعته، ولم تتوقف المبالغ المالية المدفوعة، وهى كما قلت أموال مخبرانية بالأساس.

وبسبب ذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن المخابرات البريطانية هي التي كونت الجماعة وأستتھا لهذا الهدف، حتى إن أحدهم أطلق على الجماعة اسم «إخوان الإنجليز»<sup>(١)</sup> وإن الجماعة صناعة بريطانية تمامًا. وأظن أن الذين يرددون هذا الكلام مأخوذون بما قامت به المخابرات البريطانية في المنطقة، سواء في بلاد الشام والعراق أو الجزيرة العربية وحتى إيران.. لكن يصعب القول إن حسن البنا وجماعته صناعة إنجليزية تمامًا، لكن المتصور أن الجماعة نشأت ووجدت بريطانيا أنه يمكن توظيفها لتحقيق أهدافها من إضعاف الوفد والفكرة الوطنية والقومية في مصر - ويجب القول إنه كان هناك خصوم للفكرة الوطنية منذ بداية ظهورها، أنصار الدولة العثمانية.. دولة الخلافة كانوا معادين للفكرة الوطنية، والمتباكين على دولة الخلافة حين سقطت كانوا كذلك معادين للفكرة الوطنية والقومية، وإلى اليوم ما زال هذا التيار موجوداً أو قائماً، حسن البنا كان واحداً من المتباكين على دولة الخلافة، وكان من الساعين إلى استعادتها، وهذا يعني بالضرورة العداء للفكرة الوطنية والقومية التي حمل لواءها حزب الوفد - وكان الوفد وغيره من الأحزاب تدعو إلى دولة مدنية حديثة، لكن كان هناك من يريد الدولة الدينية، وكان حسن البنا واحداً من هؤلاء؛ لذا فإن ظهور حسن البنا كان نتيجة ظروف وأحوال موضوعية في المجتمع المصري، وقد وجد الإنجليز فيه طمعاً يجب تقويته وتغذيته ليأخذ الجهد الوطني والمصري في طريق آخر، وهذا ما فعله حسن البنا بامتياز واقتدار.

علاقات حسن البنا الإنجليزية ليست موضع شك، هي مؤكدة، هو اعترف بها واعترف بتلقى الأموال، لكنه اعتبرها تبرعات وجزء من حقنا الذي يغتصبونه، وهم قالوا إنها أموال مخبرانية دفعت لأغراض سياسية، وأدوار أرادوه القيام بها، وقد قام بها فعلياً.. وعموماً في عالم المخابرات تدفع الأموال - غالباً - تحت مسميات عديدة، ويندر أن تسمى الأشياء بمسمياتها، ولتذكر أن إسرائيل حين كانت تجند عملاء لها

(١) راجع في ذلك كتاب: روبرت دريفوس «العبة الشيطان»، ترجمة أشرف توفيق، سنة ٢٠١٠م.



في مصرنا، كانت تدفع لهم الأموال تحت مسمى السعى إلى السلام ومساندة منظمات دولية تدعو إلى السلام في المنطقة، وفي حالة حسن البنا والإنجليز، يبدو الأمر مختلفاً في بعض الشيء، فقد كان كل منهما يتصور نفسه أذكى من الآخر ويوظفه لصالحه، كل منهما تصور أنه (جند) الآخر لحسابه.

الدراسات والوثائق كثيرة وعديدة حول الدعم البريطاني للإخوان طوال سنوات حسن البنا وحتى حسن الهضبي - المرشد الثاني - وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م. لكن الجديد هو علاقة حسن البنا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت مبكراً. وهنا نقفينا شهادة هيرمان آيليس الذي عرف حسن البنا والتقاء مراراً في المملكة العربية السعودية، وقال إنه «وجدته ودوداً» وإنه «لا يتردد في الالتقاء بالشخصيات الغربية»، وذكر آيليس كذلك أنه تجنب أن يتحدث مع البنا في موضوع الإخوان، والواقع أنه لم يكن يريد أن يتدخل في غير اختصاصه، فضلاً عن أنه لم يثنأ أن يتدخل في عمل زملاء له بالقاهرة، إلى أن قال «أعرف أن أحد زملائي في السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقى مع البنا بانتظام». ورغم أن الجماعة جنحت إلى العنف في الأربعينيات وكان ذلك مصدر قلق لدى السفارة البريطانية ولدى الملك فاروق، كل لأسبابه الخاصة، لكن الدبلوماسيين الأمريكيين في المنطقة، وفي القاهرة تحديداً حافظوا على اتصالاتهم بحسن البنا وجماعته، فقد جذبهم إلى الجماعة ما تبديه من العداء للشيوعية.

وثائق السفارة الأمريكية بالقاهرة تكشف الكثير والكثير، ففي ٢٩ أغسطس ١٩٤٧ م يلتقى حسن البنا والسكرتير الأول بالسفارة الأمريكية، ودار الحديث بينهما في الوضع العام بمصر والمظاهرات التي جرت .. كان حسن البنا قادمًا لمظاهرات تأييد للقرائشي باشا رئيس الوزراء الذي سافر إلى مجلس الأمن لعرض مطالب مصر .. وكان هناك قلق من أن تمتد المظاهرات وتنشط لتنتقل إلى فوضى، ويجاول البنا تهدئة مخاوف المسؤولين الأمريكي بالقول «لن يكون هناك مزيد من الاضطرابات وبوسعي

بدؤها وإنهاؤها». فبرد عليه المسؤول الأمريكي مستغفراً له أو مشككاً فيها يقول «من المشكوك فيه أن تتمكن من إنهاء الفتنة بعد اشتعالها». لكن المرشد برد مستعصماً بنفوذه وقوته بالقول «ازداد الإخوان قوة ونفوذاً في الشهور الأخيرة بعد أن انضم إليهم المنشقون عن الوفد. وأصبح عدد الإخوان ٦٠٠ ألف، وتوجد مجموعة عمل يتراوح أعضاؤها بين ٢٥ و ٣٠ ألفاً من الجواله وهم منظّمون عسكرياً ويتلقون تدريباً عسكرياً إجبارياً مستخدمين أية أسلحة أو معدات يمكن الحصول عليها».

ولا يترك السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية عبارة حسن البنا فقلت هكذا فبرد عليه مذكراً إياه بأنهم يعرفون حجم ما لديهم ونوعية الأسلحة بالقول «في مناسبات عديدة اتصل أعضاء من الجماعة بمكتب المحقق العسكري الأمريكي طلباً لكتيبات تتعلق بالأسلحة الصغيرة والتدريب العسكري»<sup>(١)</sup>.

القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية «جيفرسون باترسون» أكد ما قاله البنا «الإخوان ازدادوا قوة ونفوذاً في الشهور الأخيرة» وقال أيضاً عن البنا «نظراً إلى سجله الماضي الحافل بالانتهازية يمكن أن نستنتج أنه سيواصل تأييده لهذه السياسة - يقصد سياسة النقراشي - ما دام ذلك يناسبه شخصياً».

وكان لدى السفارة البريطانية تفسير لازدياد قوة الإخوان في تلك الفترة وهو أنها تعارض الوفد بضرارة؛ الأمر الذي «يضمن للجماعة قدراً من التأييد وتسامح الحكومة والقصر معهم».

ولا بد من القول إنه مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تستعد لإزاحة بريطانيا من مستعمراتها القديمة لتحل محلها وتأخذ دورها، كانت الولايات المتحدة هي التي تدخلت في الحرب وحسمت النصر لصالح الحلفاء، وانتهت الحرب بتدمير ألمانيا واليابان وإضعاف بريطانيا وفرنسا، وصعدت مع

(١) راجع حسن محمد: من قتل حسن البنا؟، دار الشروق.

الحرب قوتان جديدتان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كانا حليفين في أثناء الحرب، لكن بعد الحرب كان واضحاً أن التنافس والصراع سوف يكون بينهما هما، وهذا ما كان طوال الحرب الباردة، كان الاتحاد السوفيتي يملك الفكرة الاشتراكية أو الماركسية التي بدأت تبهر قطاعات واسعة من شباب ذلك الجيل، خاصة بعض أبناء الأرستقراطية المصرية، وكان لدى الملك فاروق «فوبيا الشيوعية»، كان يتخوف منهم على عرشه، رغم أنه لم يكن لهم قوة يمكن أن تهدده.. وكانت الولايات المتحدة تسعى إلى إزاحة بريطانيا وإلى مواجهة الإعجاب بالسوفيت ومنعهم من الوصول إلى المنطقة، في المقابل لم يكن هناك عداء تجاه أميركا في مصر ولا رفض لها، كانت قوة جديدة .. صاعدة، وهي - آنذاك - بنظر الكثيرين قوة ليست استعمارية، على الأقل ليست مثل بريطانيا، وكان الملك فاروق يوطد علاقته بالسفير الأمريكي والسفارة في القاهرة، وكان يجد فيهم ملاذاً من الغطرسة البريطانية، وكانت الولايات المتحدة تحاول تأسيس تواجد قوى لها، وفتحت قنوات اتصال مع كثيرين وعلى رأسهم الإخوان.

بلغت النظر في لقاء البناء مع السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أنه يصارح السكرتير الأول بالحجم الحقيقي لقوته العسكرية وتسليحه، وفتاحاً بأن رجال من الإخوان يلجؤون إلى الملحق الأمريكي بالقاهرة، والواضح أن البناء كان يعرف ذلك جيداً، فلم يفاجأ بما سمعه ولم يكذبه.. وتكمل الصورة بلقاءات أخرى للبناء مع «فيليب إيرلاند» حيث سيذهب إليه بمشروع كامل للتعاون أو للتحاليف المالي والعسكري ضد الشيوعية والشيوعيين.

ذهب المرشد إلى منزل السكرتير الأول بالسفارة، ولم يكن منفرداً هذه المرة، كان معه محمود عساف مدير إعلانات جريدة الإخوان والقائم بعمل السكرتير الخاص للمرشد لشؤون المعلومات - سوف يستقبل من الجماعة زمن حسن الهضيبي - وكان

معهم أيضًا محمد الحلوجي من الجماعة.. وطالما أنهم ذهبوا إلى بيت المسؤول الأمريكي، وكان المرشد هو من طلب اللقاء، لذا بدأ هو الحديث، ودخل في الموضوع بشكل مباشر قائلاً «الشوعية في الشرق الأوسط خطر داهم على جميع الشعوب، والإخوان المسلمون يحاربون الشيوعية بكل الوسائل الممكنة. ومن الطبيعي أن يترك أعضاء الجماعة . عملهم الأصلي لدخول الخلايا الشيوعية للحصول على المعلومات وعندما يفعلون ذلك فإنهم يتركون وظائفهم، وبذلك يفقدون مرتباتهم. وإذا أمكن تعيينهم على أساس أنهم محققون وباحثون فإن هذه المشكلة يسهل حلها»<sup>(١)</sup>.

محمود عساف كتب عن هذا اللقاء في مذكراته، التي صدرت سنة ١٩٩٣م، ويذكر أن اللقاء تم بناء على طلب رجل السفارة الأمريكية، وأن اللقاء كان مقرراً أن يتم في مقر المركز العام للجماعة، لكن المرشد هو الذي طلب أن يتم في منزل رجل السفارة، فقد تخوف المرشد أن يرصد رجال القلم السياسي دخول المسؤول الأمريكي إلى مقر الجماعة، وكأنهم لن يرصدوا اللقاء في الزمالك، وأظن أن المرشد لم يكن يريد لأعضاء الجماعة أن يروا مرشدتهم مع هذا المسؤول، ويذكر عساف أن الحلوجي حضر اللقاء للترجمة القورية بين المرشد ورجل السفارة، وقد فوجئوا بأنه يعرف العربية جيداً، والفاجأة لنا نحن، فقد سبق للمرشد أن التقى هذا المسؤول وتحدث معه، اللهم إلا إذا كان ذلك المسؤول تعتمد في اللقاءات السابقة أن لا يكشف معرفته بالعربية، وطبقاً لما ذكره عساف فإن رجل السفارة هو الذي بدأ الحديث بأنه يعرف موقف الجماعة من الشيوعية، وأنها إلحاد يجب محاربته، وينفى عساف تماماً أن يكون المرشد طلب أموالاً أو إعانات من رجل السفارة، بل إنه رفض عرضاً بهذا الخصوص من «إيرلاندا».. تساءل إيرلاندا «لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم في محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية؟! أنتم برجالكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا». فرد المرشد قائلاً «فكرة التعاون فكرة جيدة، غير أن الأموال لا محل لها،

(١) عمن محمد: من قتل حسن البنا؟

لأننا ندافع عن عقيدتنا، ولا نتقاضى أجراً عن ذلك<sup>(١)</sup>. غير أن حسن البناء عاد كى يبدى عدم ممانعة في الأموال، بل يطلبها بأسلوب آخر، يقول، طبقاً لرواية عساف «لا مانع لدينا من مساعدتكم بأن نمدكم بالمعلومات المتوافرة عنها. وحجدا لو فكرتم في إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية، فيحينئذ نستطيع أن نبركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر، على أن يكون ذلك بعيداً عنا بصفة رسمية، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائماً دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم»<sup>(٢)</sup>.

محمود عساف لا يتكر في تقرير المسؤول الأمريكي شيئاً سوى أنه هو الذى طلب المقابلة وليس المرشد، والواقع أن هذه ليست القضية، بل القضية هى ما دار في المقابلة.

وتثير هذه المقابلة وما دار فيها وحرص المرشد على طابع السرية بدءاً من رجال القلم السياسى، أى جهاز الأمن المصرى، وكذلك عن عموم أعضاء الجماعة، وهنا لا بد من التوقف لإثارة العديد من التساؤلات والملاحظات، حول المرشد العام والجماعة، فإذا كان رجل السفارة سعى إلى مقابلة المرشد، فهذا جزء من عمله وواجبه الوظيفى تجاه حكومته التى يمثلها، ومن ثم لا ضير عليه، ولذا وجدناه يرسل تقريراً إضافياً إلى الخارجية الأمريكية (جهة عمله الرسمى) ينقل ما دار في المقابلة، بينما حرص المرشد على أن يخفى ذلك عن الجميع، لم يذكر هو شيئاً عنها في مذكراته ولا ذكر شيئاً للمقربين ولا لكتب عنها أحدهم، ولم يكتب عنها في حينه في صحف الإخوان، بل إن محمود عساف الذى حضر المقابلة - لم يكتب عنها سوى بعد إعلان الوثائق الأمريكية وإثارتها للاطلاع العام طبقاً لقانون تداول وحرية المعلومات - والواضح أن عساف كان يدفع عن نفسه تهمة، لذا ذكر أنه لم يحدث أى اتصال بينه وبين المسؤول بالسفارة بعد ذلك، ولا أى مسؤول آخر غيره.

(١) محمود عساف: ص ١٤.

(٢) نفس المرجع: نفس الصفحة.



ويمكن أن نضع هنا عدة ملاحظات أو تساؤلات:

أولاً: يشير ما دار في هذه المقابلة أمر بالغ الخطورة يتعلق ببيع المعلومات وتوظيفها، كانت الجماعة تزرع بعضاً من أعضائها داخل الخلايا والتنظيرات الشيوعية، وهذا تم بعلم المرشد، وكانت هذه المعلومات تستخدم في أغراض عديدة، من بينها أنه كان يتم تقديمها لجهات الأمن في مصر، يقول عساف إنه زرع في عام ١٩٤٦م أحد المتعاطفين مع الإخوان بين اليساريين وكان يدفع له راتباً شهرياً قدره خمسة جنيهات، ولكن لتأمل كيف كان يتعامل مع المعلومات التي يقدمها ذلك العميل. «ما كان يصلح منها للنشر في مجلة الكشكول الجديد (التي كنت صاحبها) نشرناه ومثال ذلك المسافر التي كانت تحدث في فيلاتهم بشارع القصر العيني ويجمع فيها الأولاد والبنات يسكرون ويعربدون»<sup>(١)</sup>. أى النشر بهدف الفضح والشهير، فضلاً عن تخويف الآخرين من هذه التجمعات، لكن هذه معلومات عامة، وقائع قد تحدث من آخرين وبينهم، فالسكر والعريضة إن صحت لم تكن من صميم الفكر الاشتراكي، لكنها سلوك أخلاقي وأمور شخصية، يمكن أن تقع حتى من بعض الإخوان، وقد صدرت اتهامات أخطر من هذه بحق بعض الإخوان، مثل ما نسب إلى عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة وزوج شقيقته حسن البنا وأحيل إلى التحقيق في فضائح أخلاقية مع بعض زوجات وبنات أعضاء من الجماعة وأدانه التحقيق، وتدخل حسن البنا في اللحظة الأخيرة ليمنع توقيع أى عقوبة على عابدين، بل ويلتمس له الأعداء والمبررات، واعتبر أن ما صدر من عابدين ووقع منه هو من قبيل «اللمم»، وحدث أن ارتكب أحد الإخوان في معسكرات الجلالة فعلاً شائناً، وتوقع الإخوان أن يفصله المرشد من الجماعة أو يوقع به عقاباً قاسياً، لكن المرشد اكتفى بأن فرض عليه صيام عدة أيام.

(١) راجع محمود عساف: ص ٢٢.

بقية المعلومات والأخبار التي كان يجيء بها هذا العميل كان عساف يتعامل معها على نحو آخر يقول «كنا نعرض ما يهم الدعوة منها على الإمام الشهيد، والباقي كنا نخطره به مدير الأمن العام فوكيل الداخلية المرحوم أحمد مرتضى الراغب، الذي حاول أن يعرف متى مصدرى في هذه الأخبار ولكن هيهات»<sup>(١)</sup>. أى أن الجماعة من البداية قررت أن تقوم بدور الأمن السياسي، تلقائياً، زرعو العناصر داخل الجماعات الأخرى، ووظفوا العملاء ثم يمدون كبار المسؤولين بالداخلية بما يريدونه، ثم هاهم قرروا أن يصبح نشاطهم دولياً، ويقدموا المعلومات إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن يدخلوا طرقاتاً في لعبة الحرب الباردة، مبكراً جداً، وبالتأكيد لن نساوى تماماً بين التعاون طوعية مع وزارة الداخلية المصرية والسفارة الأمريكية، لكن المعيار الأول عندهم ثابت وهو اختراق الآخرين والتجسس عليهم والمتاجرة بالمعلومات التي يتوصلون إليها، وإذا كان عساف يعترف بأنه كان يمد مدير الأمن العام ببعض المعلومات، ثم شرعوا في التعامل مع الولايات المتحدة، ترى أى الجهات الأخرى تعاملوا معها معلوماتياً أو مخبرائياً؟!!

ثانياً: ما قام به محمود عساف واعترف المرشد الأول به من زراعة أعضاء داخل اليساريين والشيوعيين - هل يفسر ذلك ما كان يحدث من تحول بعض اليساريين عن الأفكار الاشتراكية والماركسية ويتجهوا إلى التيارات الإسلامية وإلى الإخوان تحديداً؟ هل كان هؤلاء من أعضاء الإخوان أو المتعاطفين معهم، ثم زراعتهم في اليسار ثم حين يتم سجنهم بعد انتهاء مهامهم، يتم تقطيع هذا الانسحاب بدعوى العودة ثانية إلى الإسلام، ومهاجمة اليسار وأفكاره؟

ثالثاً : يرتبط بذلك كله ما ورد في بعض تقارير السفارة البريطانية من أن التنظيم الخاص وأن البناء شكل جهاز مخبرات خاص، وأن هذا الجهاز يتجسس على

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ٢٢.

الناوين للجماعة، وعلى كبار الشخصيات وعلى بعض السفارات الأجنبية، بل وعلى الحكومة المصرية نفسها، ولم يأخذ المراقبون الأمر بجديّة، واعتبروه مبالغة من كنيّة التقارير بالسفارة البريطانية، لكنّها هي المرشد يعترف أمام مسؤول السفارة الأمريكية، وسكرتيره الخاص للمعلومات يؤكّد، والواقع أنّ من يتابع عمليّات الاغتيالات والأعمال الإرهابية التي قام بها التنظيم الخاص يدرك أنّ هناك جهداً مخبريّاً مهمّاً، في الاجتماع الذي عرض فيه السندى اغتيال أحمد ماهر، كان من الواضح أنّ هناك من تابع موكب أحمد ماهر، ويعرف تحركه.. مكاناً وزماناً، ويعرف النقطة التي تتحرك فيها السيارة بيّطه، وهي منطقة آنذاك قريبة من الصحراء، أيّ يمكن الحرب منها بسهولة، وهكذا في بقية العمليّات، أيّ أنّ هناك جهاز مخبرات بالفعل داخل الجماعة، أسسه حسن البنا بنفسه، وقد قدم محمود عساف في مذكراته تحت عنوان «الجواسيس» كيف كان البنا بوسائله يعرف أعضاء الجماعة الذين جندهم القلم السياسي لنقل معلومات عن الجماعة، وكان المرشد يحوّلهم إلى عملاء له داخل جهاز الأمن، فقد كان عساف يكتب الأخبار التي يريدون أنّ تصل إلى الأمن، ويذهب الجواسيس بها ليسلموها، وكان عساف يدفع لهم راتباً شهريّاً مقابل ذلك، ولضمان الولاء التام، كان يراعى أنّ يكون هناك خبر أو أكثر مشترك بين أكثر من عميل كي يتأكّد الأمن أنّ الخبر صحيح.

والحقّ : إنّ المرشد اصطحب معه المترجم ومدير إعلانات الصحيفة الخاصّة بالجماعة، ومن الناحية المهنية في عالم الصحافة حين يذهب رئيس مجلس إدارة جريدة أو مالكيها القفل إلى أحد المصادر ومعه مدير الإعلانات فهذا يعني أنّ هناك اتفاق أو رغبة في عقد صفقة إعلانيّة، بأيّ صيغة من الصيغ، قد تكون إعلان مباشر أو في حالة السفارات ومسؤوليها يكون الإعلان غير مباشر، أو ما يسمى إعلاناً تخبريّاً، أو مواد صحافيّة تنشر وتقدم للقارئ على أنّها مادة تخبريّة ومهيمّة خاصّة، بينما هي بالفعل إعلان مدفوع الثمن، وقد يكون المقابل هو التوقف عن مهاجمة أو انتقاد بلد السفارة

في الصحفية أو أى وسيلة أخرى، المهم أن هناك اتفاق على أو سعى إلى الاتفاق على أموال سوف تدفعها السفارة.

**خامساً:** المرشد لا يمانع بالمرّة أن يعمل أعضاء من الجماعة «عملاء» ويقدمون «معلومات» للسفارة الأمريكية مقابل أجر وأن يتم توظيفهم بمسمى «باحثين»، شرطه أن لا يكون ذلك باتفاق رسمي مع الجماعة - أى أن يتعامل كل من هؤلاء مع السفارة بشخصه، صحيح أن المرشد حاضر في العملية، ويقف في الخلفية، لكن دون أن يترك بصمة تدل عليه وتشير إليه، وهنا يثور التساؤل ماذا لو ضبط أى من هؤلاء واتهم بالتجسس أو العمالة والتخابر مع سفارة أجنبية، ساعتها سوف تكون الجماعة خارج الاتهام، ويتحمل التهمة بالكامل الفرد ذاته، وبالتأكيد سوف تنبرأ منه الجماعة نهائياً، كما حدث مع قتلة النفراتى، الذين قال فيهم المرشد ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين. هو اتجاه في الجماعة منذ حسن البنا إلى اليوم، الدفع بالشباب الصغار إلى الانتحار العملى، ويظل قادة الجماعة ومرشدها العام في صورة البريء... المترفع دائماً.

**سادساً:** إن المرشد في حديثه مع مسؤول السفارة الأمريكية استعمل المصطلحات السياسية الأمريكية، ولم يستعمل مصطلحاته هو ولا المصطلحات السائدة في مصر، فقد استعمل مصطلح «الشرق الأوسط» وهو مصطلح أرادت به أمريكا أن يكون بديلاً عن كلمة الشرق العربى أو كلمة العالم العربى أو الشرق الإسلامى وهكذا، كان مصطلح الشرق الأوسط يعنى أن تدخل الدولة الصهيونية التى كان يجرى العمل على تأسيسها في خريطة المنطقة بلا تعقيدات وبلا مصاعب، أما المصطلحات السائدة عندنا فكانوا يريدون استبعادها، والواضح أن المرشد لم يتبته جيداً أو استعملها عابراً وربما مجازاة للمسؤول الأمريكى وليبدو «ودوداً» معهم كما كان يقال عنه.

**سابعاً:** استعمل المرشد الفكرة التى كان يروج لها الأمريكيون ، وكانت في طريقها للزوغ في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة وهى أن الشيوعية



خطر داهم على جميع شعوب الشرق الأوسط، وأنها تسبق ما عداها من أخطار ومشكلات، والحقيقة أن الشيوعية لم تكن وقتها خطرًا داهمًا على مصر ولا على البلاد العربية، رآها الدبلوماسيون الأمريكيون خطرًا على نفوذهم الذي كان يسمى إلى التمدد في المنطقة وفي العالم، لكنها لم تكن خطرًا علينا، كان الخطر الأهم بالنسبة إلى مصر هو الاحتلال البريطاني الذي ظل جاسمًا على مصر والمصريين، وكان الخطر هو الفقر والجهل والمرض، وكان الخطر كذلك إعادة رسم خرائط بلاد المنطقة وفق النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة، فقد سقط الاتحاد السوفيتي وحده.. تلقائياً خطراً حتى على الولايات المتحدة نفسها، فقد سقط بفعول عوامل تآكل سنة ١٩٩٠م، دون حرب ودون طلقة رصاص واحدة، سقط بفعل عوامل تآكل داخلية. لكن المرشد كان يريد أن يلعب على الأرضية الأمريكية بأفكارها ومصطلحاتها وكذلك بآلياتها وبأموالها.

ثامناً: أن يتجه المرشد إلى زرع عناصره داخل الجماعات الأخرى، أيًا كان الحلاف الأيديولوجي معها، يؤكد أن المرشد لم يكن يؤمن بالحوار الفكري والجدل بين التيارات، وتبادل الأفكار والآراء اتفاقاً واختلافًا، ومن ثم لا يؤمن بالتداول بل يؤمن بالعمل التحتي والسري وأكد أقول «العمل القذر» ضد الخصوم والذي لا يتردد في الوشاية بهم لدى أجهزة الأمن، بل ولدى السفارات الأجنبية. وهذا يعني اغتيالاً معنوياً تاماً ومن ثم يصبح الاغتيال المادي والجسماني شيئاً عادياً ولا غضاضة فيه لديه، طالما أنه سيزيح الخصم من أمامه.. هاجمه الشيوعيون فبعث إليهم بالجواسيس ليشهر بهم ويبلغ عنهم أجهزة الأمن والسفارة الأمريكية. ولا يتردد أن يطلب مقابلاً مالياً لحواء العملاء يدفع لهم، وأن يسموا «باحثين» للتنظية، فهذا يعني أنه يجعل من رجاله هؤلاء، مجرد جواسيس وعملاء ومرزقة لدى دولة أجنبية، على مواطنين مصريين من أبناء وطنهم، فقط يخشون معهم في الأفكار والتوجهات.



**تاسقا:** التساؤل الأهم.. هل أحاط البنا أى جهة مصرية علما بما يعرضه على السفارة الأمريكية؟ نعرف أنه لم يكن هناك وقتها جهاز مخبرات في مصر، لكن كان هناك الأمن السياسى وكان هناك الديوان الملكى، هل أحاطهم علما - هل استأذن - هل نسق معهم؟ الواضح أنه لم يفعل، وهى بمعيار اليوم قضية تخابر وجاسوسية بامتياز. وجرت العادة أن تسعى السفارات الأجنبية أو أحد رجالها إلى المواطنين تطلب منهم معلومات أو تجندهم، أما أن يحدث العكس ويتقدم المرشد للسفارة بتقديم عناصر يتولى هو تجنيدها وتدريبها، ويتولون هم التمويل فهو الفاجأة الحقيقية.

وقدم المرشد للمسؤول الأمريكى الإطار أو الغطاء الذى يمكن أن يعمل من خلاله هؤلاء المجدنون أو الباحثون، وهو إنشاء مكتب مستقل مشترك بين الجماعة والحكومة الأمريكية لمحاربة الشيوعية.

**عاشرا:** طلب حسن البنا استثناء واحداً وهو «أمريكا تؤيد حالياً الأهداف الصهيونية. ولذلك يجب أن يكون للإخوان حق الاعتراض على أمريكا في هذه النقطة». أى مجرد اعتراض فقط، أما صور التعاون المشترك فستستمر ولن تتأثر بذلك، هو اعتراض لحفظ ماء الوجه، أو كما يقال اعتراض للاستهلاك المحلى...

وجاء دور المسؤول الأمريكى في الحديث، وقد فهم أن الكتب المقترح ستتولى الولايات المتحدة تمويله بالكامل، ولم يبد حماساً للموضوع، ووضع عدداً من التحفظات، ويبدو أن المرشد شعر أنه اندفع بأكثر من اللازم أو «انزلق» كما يقول التعبير المصرى؛ لذا أراد وضع النقاط على الحروف، لكنها جاءت بطريقة مكشوفة زادت أمره صعوبة، إذ قال «الجماعة لا ترغب في الحصول على سنت واحد من المال الأمريكى وسيكون المشروع بأكمله في يد السفارة الأمريكية، ويسعد الإخوان إمداد السفارة بالأشخاص المناسبين بالقدر الذى تراه السفارة ضرورياً».

وبعد أن استمع المسؤول الأمريكي لكل ما أورده المرشد استفسر كما يحلو له، فجاءه برأيه وهو رفض كل ما عرضه المرشد، ولم يجعل الرفض من جانبه هو، فقال «لن ترحب الحكومة الأمريكية بمثل هذا العرض: إن معوناتنا لا تقدم للمنظرات الخاصة أو المنظرات شبه العلنية. إنها تقدم فقط للحكومات كما هي الحال بالنسبة إلى اليونان وتركيا».

لم يفقد المرشد الأمل وأثبت أنه مفاوض لحوج وعنيد، إذ قال «لا أريد إجابة ولكن أرغب فقط في عرض الفكرة، ويجري محمود عساف معك محادثات تفصيلية»<sup>(١)</sup>. أي أنه لا يكتفى برأي المسؤول، يريد أن يبعث بالفكرة إلى واشنطن ويتنظر الرد منها، والمعنى أنه يتوقع كلاً آخر من واشنطن وحدد له اسم ضابط الاتصال الذي سيتابع معه..

في اليوم التالي لهذا الاجتماع نشرت جريدة الإخوان مقالاً بتوقيع «عمر عزمي» حول أمريكا والعالم العربي، فيه انتقاد لنظام الحياة والمجتمع الأمريكي، جاء فيه: «الشعب الأمريكي خليط من مختلف الأجناس التي هجرت أوطانها واتخذت من أمريكا وطناً لها. وهؤلاء المهاجرون ماديون بنشأتهم، أنانيون بطبعهم لا يهتمهم من الحياة إلا التنقيب عن الذهب واتخاذ دولارات منه يضررون بها العالم».. ويبدو أن رئيس تحرير الجريدة لم يكن يعلم بالخطوات السرية التي يقوم بها المرشد، وربما كما ذهب أحد المؤرخين، أراد حسن البنا بهذا أن يضعف على المسؤول الأمريكي، ويظهر لهم إمكانية مضايقتهم والشهير بهم<sup>(٢)</sup>.. المهم جرى لقاء بعد ذلك بين البنا وفيليب إيرلاند، كان إيرلاند في زيارة صديق، وبينما هما يجلسان دخل حسن البنا ليزور نفس الصديق، ترى هل كانت تلك الزيارة مدبرة؟ هل علم بها البنا فأراد أن يلتقي المسؤول الأمريكي (مصادفة) ليسمع منه؟ هل خجل أن يعاود طلب اللقاء بعد ما

(١) حول هذا اللقاء راجع محمد: من قتل حسن البنا؟، صفحة ٢١٢، ٢١٣.

(٢) د. رفعت السيد: حسن البنا الشيخ المسلح، ص ٢١١.

سمع منه؟ هل استبسط الرد الذي توقعه أو انتظرو من واشنطن؟ هل أراد أن يعرف على رد فعل السفارة على المقال؟! هل أراد المرشد أن يقول لرجل السفارة إنه قادر على مضايقتهم وخلق صعوبات أمامهم؟ عبر إيرلاند للينا عن دهشته الشديدة من أنه عرض عليه «بذل جهود مشتركة بين الإخوان والسفارة» وفي اليوم التالي مباشرة يقرأ مقالاً فيه انتقاد لبلاده وللشعب الأمريكي.. البنا من جانبه حاول التهورين من المقال وقال إنه جاء نتيجة الغضب الذي يحسه الإخوان تجاه سياسة أمريكا في فلسطين.. وقال مطمئناً أو ملوئاً للمسؤول «أترك مثل هذه الأمور لرئيس تحرير الصحيفة وربما سيحل محله شخص آخر. وأمل ألا يؤثر هذا الحادث على اقتراحاتي».

إلى هذه الدرجة كان الرجل مستعداً لترضية السفارة، وهو التلويح بعزل رئيس التحرير نهائياً، والمجيء بآخر.. لكن المهم أن يؤخذ الم شروع الذي اقترحه بجدية، المسؤول الأمريكي من جانبه كان محدداً وواضحاً هذه المرة إذ قال: من الصعب اتخاذ إجراءات عملية!

ورغم أن عساف والخلوجي ترددا على المسؤول الأمريكي فيما بعد، لكن يبدو أن الخيط لم ينقطع، فقد سافر فيما بعد - بعد رحيل حسن البنا - سعيد رمضان إلى الولايات المتحدة بتوصية من السفير الأمريكي كافري والتقاء الرئيس الأمريكي في حديقة البيت الأبيض.

ويجب القول إن حسن البنا لم يكن وحده الذي فكر في التعامل مع الأمريكان، في رئيس الوزراء النقراشي باشا كان في مجلس الأمن في تلك الفترة يعرض القضية المصرية، واستغل وجوده في الولايات المتحدة والتقى وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال والرئيس هاري ترومان، حمل النقراشي رسالة محددة إلى وزير الخارجية تقول «الدين الإسلامي يتعارض مع الشيوعية، ولكن استمرار بقاء القوات البريطانية في مصر يثير استياء شعبنا ويوفر أرضاً خصبة للتسلل الشيوعي»

وقال أيضاً «إذا لم تعامل الولايات المتحدة مصر باعتبارها دولة مستقلة فإن التأيد المصرى للدول الديمقراطية لن يكون متوقفاً»<sup>(١)</sup>. وطلب النقراشى مساعدات أمريكية لمصر اقتصادية وعسكرية، ولم تتم الاستجابة لمطالبه.

النقراشى كان يريد تخويف الولايات المتحدة من انتشار الشيوعية كى تساعد في الضغط على بريطانيا لنخرج من مصر، لكن البنا عرض تجنيد عملاء وجمع معلومات عن الشيوعيين في مصر وتقديمها للسفارة الأمريكية.. فضلاً عن ذلك كان النقراشى رئيس وزراء، وتفاوض علناً مع وزير الخارجية والرئيس الأمريكى وليس مع مسؤول في السفارة الأمريكية وبطريقة سرية، باختصار كان التعامل مع الولايات المتحدة - هنا - يسير عبر القنوات الشرعية، علاقة دولة بدولة أخرى، أما البنا فأرادها علاقة تحتية ومخابراتية.

\*\*\*

انجاء حسن البنا إلى السفارة الأمريكية لم يكن من فراغ ولم يكن البداية، ولتذكر مجدداً وبالحاح - قول هيرمان آيلتس إن هناك مسؤولاً بالسفارة كان يلتقى البنا بانتظام، لكننا في نهاية يناير ١٩٤٧م نجد مجلة الإخوان المسلمين تنشر في عديد من متالين ما سمته «حديث خطير لفضيلة المرشد مع مستر سبنسر المراسل الحزبى الأمريكى»<sup>(٢)</sup>.

قالت المجلة إن المراسل «قضى جلسة طويلة مع فضيلة المرشد العام محمدنا خلاها في كثير من الموضوعات التى تشغل رأى العام العربى والإسلامى وبعث بها إلى صحف بلاده». وقالت المجلة «قد تمكنا من الحصول على صورة من هذا الحديث الشائق القيم». وهذا التقديم يثير العديد من التساؤلات، منها أن المراسل العسكرى

(١) راجع في ذلك: محسن محمد، من قتل حسن البنا؟، ص ٢١٠.

(٢) مجلة الإخوان، عدد ٢٦ يناير، وعدد ٢ فبراير.

له اختصاص معين، وهو اللقاء بالشخصيات العسكرية، وتناول قضايا الحروب والجيش، وليس موضوعات سياسية، وقالت المجلة إن المراسل دفع بالحديث «إلى صحف بلاده» ولا يوجد مراسل هكذا يبعث بحديث إلى صحف بلاده، بل عادة يرسل صحيفة بعينها وباسمها، أما متن الحديث فلا نعرف من ترجمه إلى العربية، وهل هي ترجمة بتصرف أم ترجمة حرفية، ولا ندرى هل نشر هذا الحديث هناك. ولست متأكدين هل كان مراسلاً بالفعل، أم شخصاً له هوية وصفة أخرى وجاء بالنعطاء الصحافي فقط، ومن ثم لا يكون الحوار صحافياً، بل أي شيء آخر، لأننا نلاحظ أن إجابة السؤال الأول استغرقت صفحتين وعمودين بالمجلة، وهذا معيب صحافياً، خاصة في الصحافة الأمريكية، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد أنها كانت جلسة عادية، جرى تحويلها إلى سؤال وجواب عند الصياغة والتحرير.

النص المنشور في المجلة يختلف كثيراً عما دار في جلسات المسؤول الأمريكي، هناك كانت جلسة سرية أما في الحديث فهناك الكلام العلني، ومع ذلك ففي الحوار المنشور كلمات وأنكار يجب التوقف أمامها لأنها ترضى الذوق والثقافة الغربية والأمريكية تحديداً، يقول المرشد «الشرق الأوسط بطبيعة كونه مهبط الأديان ومقرّ الفلاسفات ديمقراطي بطبعه ودقيق الإحساس وخيالي...». ويقول أيضاً «نحب أن نقرر أنه لا يوجد بين الأمم الإسلامية من يفكر في استخدام الأديان للتعصب ضد مدنية العالم (...) ولكن إذا صح أن روسيا ستجند من أوروبا والبلقان مجموعات تحت سلطانها وأنها ستقوم بيلشفة الدول الأخرى، وفي فرنسا وإيطاليا وأسبانيا مثلاً أحزاب شيوعية قوية. وإذا علمنا أن إنجلترا بعيدة عن القارة الأوروبية وأن أمريكا أبعد منها، إذا صح هذا فمن يقوم بحفظ التوازن الدولي إزاء هذا التجنيد الروسي؟! ولنا لاحظ أن الدعاية الروسية مخبوة ومنظمة ويساعد على انتشارها الفقر والظلم المخيان على شعوب الشرق الأوسط، لذلك كان تباطؤ إنجلترا في السماح لهذا الشرق أن ينهض، ليس في صالح العالم، وقد أصبحت روسيا متاخمة له من جهات كثيرة».



في سؤال مهم حول: هل العقيدة الدينية تكفي لمقاومة الثورة البلشفية وحدها بدون عمل سياسي أو عسكري من الخارج؟ يقول البنا «أحب أن يفهم الغربيون أنه إذا أعطيت الحريات لدول الشرق بواسطة الدول الغربية لا غيرها فسوف لا تستغنى هذه الدول عن الغرب في تقوية كيائها، فمن الممكن بإرشاد الدول الغربية أن تتكون جيوش محلية وصناعات عسكرية تتمكن من صد تيار الثورة مؤقتًا حتى يقوم الغربيون بإرسال المدد بمقتضى تحالفات من الممكن عقدها... وهذه بالذات هي التي دارت حولها المعارك بعد الاستقلال، أئى سياسة الأحلاف، فقد رفضتها مصر في الخمسينيات.

ويسأله المراسل عن وضع الأقليات غير المسلمة، وهل يلزمون بدفع الجزية؟ فيرد قائلاً: «إن نظرة الإسلام الأساسية العملية في هذا الموضوع هي نظرة التسامح الكامل والوحدة الكاملة، والرسول عليه الصلاة والسلام أقر المصالحة الوطنية كرباط متين، فقد تحالف مع اليهود في سبيل الدفاع عن المدينة المنورة». وهذا القول مناقض تمامًا لحديثه عن الجزية ودفاعه عنها في إحدى رسائله التي صدرت في نفس السنة ١٩٤٧م.

سوف نلاحظ في الإجابات كلها أنه ينبه الأمريكيين إلى مخاطر الشيوعية وطرق توقيها ومقاومتها، ويتحدث عن نظرة ورؤية شعوب المنطقة للبلشفية والشيوعية، ولم يذكر شيئاً عن موقف أمريكا مما كان يجرى في فلسطين وقتها، لا كلمة نصريحاً أو تلميحاً، وكان الخطر الأوحى على المنطقة هو الاقتراب السوفيتى منها.

نرى هل بسبب هذا الحديث وما أعلن فيه، كان يصير على أن يحمل سكرتير أول السفارة الأمريكية اقتراحه بتشكيل مكتب لمكافحة الشيوعية إلى واشنطن ولا يتعجل ذلك المسؤول بإبداء الرأي والحكم... هل كان على يقين أن هناك في الداخل الأمريكى، من يمكن أن يستمع إليه، أم أنه كانت هناك قنوات أخرى له مع الولايات المتحدة لا يعلم عنها مسؤول السفارة شيئاً؟ ربما..

## الْقَصْدُ الْمُسْتَعِجُّ

### حسن البناء والملك فاروق

من يقرأ «مذكرات الدعوة والداعية» في طبعتها الأولى الصادرة عقب اغتيال حسن البناء، يجد اختلافاً بين تلك الطبعة التي صدرت عن «دار الكتاب العربي بمصر» وبقية الطبعات التي ظهرت بعد ذلك، وهي الطبعات المتداولة بين أيدينا وقرأها الأجيال الأخيرة.. ولن نتوقف عند كلمة حذف هنا أو هناك، أو تعديلات في جملة أو أكثر، فهذه يمكن أن تدخل في باب «المراجعة» أو تعديل الصياغة، رغم أن أحد هذه التعديلات يقلب المعنى تماماً. لكن هناك جزءاً بأكمله محذوف، وهو الجزء الذي يقع في الطبعة الأولى بين صفحتي ٢٥١-٢٥٥، ويحمل عنوان «المؤتمر الرابع للإخوان والاحتفال بحضور جلالة الملك وتسليمه مقاليد الأمور». ويتضمن دور الإخوان في استقبال الملك فاروق في عودته من لندن عقب وفاة والده الملك فؤاد، ويبدأ هذا الجزء بما يلي «وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية ومباشرته سلطته أن يحتفلوا بهذه المناسبة وأن يعقدوا مؤتمرهم الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب النشرة الآتية: قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الاحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول وتسليمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهنية والولاء بهذه المناسبة الميمونة. وتألقت لجنة من حضرات...». وتذكر النشرة أسماء أعضاء اللجنة، ونجد من بينهم «الأستاذ عمر التلمساني المحامي بشيين القناطر ومنسوب الإخوان بها». وهو الاسم قبل الأخير بأعضاء اللجنة.. ثم يتوالى وصف الاحتفال الذي قام به الإخوان والدور الذي لعبوه في استقبال جلالة الملك، وتنقل المذكرات ذلك الوصف عن مجلة الإخوان، وكان

بعنوان «حشد لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة». وبين الوصف نجد فقر: بعنوان «في ساحة عابدين». وفيها بالحرف الواحد «كنت لا تجد في ساحة عابدين موضوعاً لقدم من شدة الزحام وكنت لا تكاد تسمع محدثاً لك من الهنات الذي يرد في صده الأثير. وهكذا انتظم الإخوان على باب القصر رافعين أعلامهم يهتفون (الله أكبر الله أكبر) - الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم». وكانت مدرسة النيل الثانوية بشبرا قد خصصت لتكون مقراً لاجتماع الإخوان وينطلقون منها نحو الترحيب بحالة «الملك المعظم».

عند عودته من لندن وجد استقبالاً حافلاً في الإسكندرية وعلى طول الطريق بالقطار من الإسكندرية إلى القاهرة، وكان على ماهر رئيس الوزراء ومعه شريف صبرى خال الملك ووكيل وزارة الخارجية قد تدخلوا في إعداد ترتيبات الاستقبال والترحيب بالملك، ومع ذلك فقد فاق الاستقبال كل توقع، وقد رأى السفير البريطاني مايلز لامبسون من أن ذلك الاستقبال يدل على «امتزاج الشعب بالعرش». ورصد لامبسون الهتافات التي كانت تقال ترحيباً بالملك ورأى أنها فاقت الهتافات المماثلة لسعد زغلول حين عودته من المنفى، وأنها كانت نابعة من القلوب<sup>(١)</sup>.

وكانت مشاركة الإخوان في هذا الاستقبال باعتبارهم جزءاً من الشعب ومن المواطنين المصريين، وربما وجدها حسن البنا فرصة أن يدفع بجماعته خطوة نحو القصر الملكي ونحو على ماهر رئيس الوزراء، والسياسة المصرية عمومًا في مستوياتها العليا، فضلاً عن أن مثل هذه المشاركة تجعل أجهزة الدولة أكثر اطمئناناً للجماعة وثقة بها.. وها قد وجدنا مدرسة شبرا الثانوية تفتح أبوابها كي تكون مركز تجمع للإخوان القادمين من خارج القاهرة. للمشاركة في الاستقبال الملكي.

(١) راجع تفاصيل ذلك في د. لطيفة سالم: فاروق من الميلاد إلى الرحيل، ص ٢٤، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥ م.

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِقْبَالِ الْمَلِكِ فَارُوقَ سَنَةَ ١٩٣٦ مَ عَمَلًا مُشْتَبِهًا كَيْ يَتِمَّ حَذْفُهُ مِنَ الْمَذَكِّرَاتِ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي حَذَفَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَلِكِ بَعَيْنِ لَحْظَةِ النِّهَايَةِ وَالسَّقُوطِ عَنِ الْعَرْشِ.

وَيَصِحُّ التَّسَاوُلُ هُوَ: لِمَاذَا حَذَفَ ذَلِكَ الْجُزْءَ مِنَ الْمَذَكِّرَاتِ.. وَمِنَ الَّذِي حَذَفَهُ؟ وَيَجِبُ الْقَوْلُ إِنَّ الْمَذَكِّرَاتِ بِهَا كَلِمَاتٌ فِي مَدِيحِ الْمَلِكِ فُؤَادٍ وَلَمْ تَحْذَفْ، رَغْمَ أَنَّ فُؤَادَ كَانَ مُلْكًا طَائِعِيَّةً وَمُسْتَبَدًّا. تَرَى هَلْ حَذَفَ ذَلِكَ الْجُزْءَ، حَتَّى لَا تَتَلَطَّخَ سَمْعَةُ الْإِخْوَانِ وَحَسَنُ الْبِنَا تَحْدِيدًا مِنْ جَرَاءِ عِلَاقَتِهِمْ وَمَبَايَعَتِهِمْ لِلْمَلِكِ فَارُوقَ، الَّذِي أَقْصَى عَنْ عَرْشِ مِصْرَ، وَسَاهَمُوا هُمْ فِي ذَلِكَ الْإِقْصَاءِ، أَمْ حَذَفَ ذَلِكَ الْجُزْءَ بِسَبَبِ وَرُودِ اسْمِ عُمَرَ التَّلْمَسَانِيِّ الْمُرْشِدِ الثَّالِثِ وَالَّذِي كَانَ يَجْرِي تَقْدِيمُهُ بِاعْتِبَارِهِ ضَحِيَّةَ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ السِّيَاسِيِّ؟ وَكَانَ ضَرْوْرِيًّا حَذْفُ صَفْحَةِ الْهَتَافِ لِلْمَلِكِ مِنْ تَارِيخِهِ وَحَيَاتِهِ، وَفِي عَهْدِ ذَلِكَ الْمُرْشِدِ بَدَأَتْ طِبَاعَةُ تِلْكَ الْمَذَكِّرَاتِ سَنَةَ ١٩٧٦ مَ، وَلَمْ تَكُنْ تَطْبَعُ مِنْ قَبْلِ وَعَادَتِ الْجَمَاعَةُ لِتَعْمَلَ عَلَى السُّطْحِ وَتَنْتَشِرَ فِي الْمَجْتَمَعِ بِسَبَاحِ رَسْمِيٍّ مِنَ الدُّوَلِ وَمِنْ الرَّئِيسِ السَّادَاتِ شَخْصِيًّا.

عَمُومًا يَثِيرُ هَذَا الْجُزْءَ الْمَحْذُوفَ، أَمْرَ هَذِهِ الْمَذَكِّرَاتِ، فَهِيَ صَدَرَتْ سَنَةَ ١٩٥٠ مَ، أَيْ بَعْدَ اغْتِيَالِ حَسَنِ الْبِنَا، وَسَوْفَ نَلَاخِظُ أَنَّ الصَّفْحَةَ الْآخِرَةَ مِنَ الْمَذَكِّرَاتِ تَحْمِلُ تَوْقِيعَ «حَسَنِ الْبِنَا.. الْمُرْشِدِ الْعَامِّ لِلْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» وَيَرِدُ بَعْدَهَا مَا يَلِي «انْتَهَتْ مَذَكِّرَاتُ الدَّعْوَةِ وَالِدَاعِيَّةِ فَحَمْدًا لِلَّهِ وَشُكْرًا عَلَى مَا وَفَّقَنَا إِلَيْهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»، تَرَى هَلْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَالِدَعَاءُ مِنْ وَضْعِ حَسَنِ الْبِنَا أَوْ مِنَ الْقَائِمِينَ عَلَى إِصْدَارِ الْمَذَكِّرَاتِ؟ وَلَكِنْ الثَّابِتُ أَنَّ فُصُولَ هَذِهِ الْمَذَكِّرَاتِ نَشَرَهَا الْبِنَا قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَجَلَّتِهِ، يُمْكِنُ أَنْ تَقْرَأَ بَعْضَ فُصُولِهَا فِي مَجْلَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ١٩٤٣ مَ، وَكَانَتْ بِعَنْوَانِ «مِنْ مَذَكِّرَاتِي». وَكَانَ الْأَنْسَبُ أَنْ تَطْبَعُ هَذَا الْعَنْوَانَ، وَلَيْسَ بِعَنْوَانِهَا الْحَالِي، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الْعَنْوَانَ «الدَّعْوَةُ وَالِدَاعِيَّةُ» أَقْلَ عَمَّا كَانَ الْبِنَا يَرَى نَفْسَهُ بِهِ، فِي الْوَاقِعِ هُوَ فِي السَّنَوَاتِ الْآخِرَةِ

لم يكن يرى نفسه داعية، ربما كان ذلك في البداية، لكنه منذ سنة ١٩٣٨م أخذ نفسه والجماعة إلى طريق أو لنقل مستنقع لم يتمكن من الخروج منه، ولا الجماعة كذلك.. مستنقع المناورات السياسية.

الأمر الآخر الذي يعتبره هذا الجزء المحذوف، هو علاقة حسن البنا بالملك فاروق، وقد يتصور البعض أو يرى أن الاختلاف للملك والترحيب به ومبايعته حين تولي العرش مرتبط بتلك اللحظة حيث ساد التفاؤل بالملك، وهي لحظة تختلف عن مسار الملك فيها بعد. والواقع أن مراجعتنا لمجلة الإخوان تكشف أن تعامل حسن البنا والجماعة مع الملك لم يتغير بعد ذلك، نعرف أن حسن البنا سعى عبر يوسف رشاد وأثور السادات، للقاء الملك فاروق، وقت أن كان السادات ضمن «الحرس الحديدي» الذي أشرف عليه يوسف رشاد للتخلص من خصوم الملك، ولم يوافق الملك على أن يلتقى يوسف رشاد مع البنا.. ومراجعة مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، نجد أن صورة جلالة الملك كانت الأكثر نشرًا على غلاف المجلة.. ولم يكن ينافس في ذلك سوى الملك عبد العزيز آل سعود وأفراد أسرته، والحقيقة أن مجلة الإخوان كانت كريمة مع الملوك العرب جميعًا.

كان الملك فاروق موضع تفاؤل كثير من المصريين في بداية حكمه، وارتفع التعاطف معه إلى عنان السماء مع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م، ولكن بعد ذلك، أخذت شعبيته في التدهور، خاصة في أواخر الأربعينيات، لكن صورته لم تتغير عند حسن البنا وجماعته، أو هكذا ما تكشفه مجلة الإخوان، التي كان يرأس تحريرها صالح المشاوي وكان وكيلًا للجماعة، أي الرجل الثاني بعد الرشيد، وكانت خطب وأحاديث الرشيد وصوره تملأ المجلة، ولم يخل عدد من حديث له أو مقال.. فضلًا عن أخباره وتحركاته.. وهذا يعني أن السياسة التحريرية للمجلة لم تكن تخرج عما يريده، وأنه كان راضيًا عنها.



ولم تكن المجلة تكتفى بتأييد الملك والدفاع عنه، فهذا في النهاية حقها وحق الجماعة، وتلك سياستها ومنهجها، لكنها كانت تلوم الآخرين وتنتقدهم لأنهم لا يفعلون مثلها، وهذا الانتقاد يرقى إلى أن يكون في بعض المواقع ابتزازاً سياسياً أو بلاغاً رسمياً عنهم... ونجد ذلك واضحاً عندما وقع حادث القصاصين للملك فاروق في أثناء الحرب العالمية الثانية، كان الملك ينطلق مسرعاً بسيارته كعادته، فظهر له في الطريق «لورى» تابع للجيش الإنجليزى واصطدم بالسيارة، وترتب عليها إصابة الملك في عموده الفقرى، وتقدم حسن البنا وفداً من الجماعة ليهنئ الملك بالنجاة، ونشرت المجلة خبراً بعنوان «وقد الإخوان في القصاصين» نقله بالحرف الواحد «لطف المولى القدير بملك البلاد في هذه الحادثة التى هزت الشعب وآثارت عواطف ولائه الكامنة، ولقد كان الإخوان المسلمون في طليعة الواقدين إلى القصاصين مكان التصادم الأليم، فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد من المركز العام كما ذهبت الوفود تترى من شعب الأقاليم والمواصم ومن فرق الجواله يحدوهم جميعاً شموورهم نحو ملك البلاد حفظه الله وعجل له بالعافية وسرعة الشفاء ونحن نعتب على الصحف تغافلها عن تسجيل هذا المظهر الطيبى الذى تشترك فيه كل طبقات الأمة».

★★★

وأريد أن نتوقف هنا عند أعداد المجلة سنة ١٩٤٨م، وهو عام حاسم بالنسبة إلى الملك فاروق، فقد بلغ اليأس بالناس مداه منه وبدأ الحديث بصوت مرتفع عن الفصل الذى لحق بنا في فلسطين وتدهور الأوضاع الداخلية، وتفاقم ما اصططح على تسميته بالثروت الفقر والجهل والمرض.. لكن على صفحات وغلاف مجلة الإخوان كان الأمر مختلفاً تماماً..

- عدد السبت ٧ فبراير ١٩٤٨م نجد صورة الملك فاروق على الغلاف ومكتوب تحته «جلالة ملك الودادى بمناسبة عيد ميلاده السعيد» (١١ فبراير).

- عدد أول مايو ١٩٤٨م صورة خمسة من الحكام العرب، في الأعلى صورة الملك عبد العزيز ابن سعود، وصورة الملك فاروق.. والملك عبد الله ملك الأردن والرئيس شكري القوتلي والرئيس اللبناني ومكتوب هذا المانثيت «ملوك ورؤساء جمهوريات الدول العربية الذين تتعلق بهم آمال الشعوب العربية اليوم».

- عدد ١٥ مايو صورة ملك الأردن تملأ الغلاف والمانثيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ..».

- عدد ٢٢ مايو صورة ضخمة للملك فاروق، والمانثيت «صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بمناسبة انتصار جنوده المظفرين في فلسطين». وهذا المانثيت يستحق التوقف عنده، فسيقول الإخوان نقيضه تمامًا بعد خلع الملك فاروق.

- عدد ٢٦ يونيه ١٩٤٨م صورة للملك فاروق مع الملك عبد الله والمانثيت «حضرة صاحب الجلالة الفاروق ملك وادي النيل يستقبل ضيفه العظيم الملك عبد الله بن الحسين».

- عدد ١٠ يوليو ١٩٤٨م صورة للملك عبد العزيز مع الملك عبد الله والمانثيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود مع ضيفه العظيم حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين..» وكان الملك عبد الله قد زار المملكة العربية السعودية.

هذه فقط عينة من صور الغلاف، ولن نجد فيها كلمة واحدة عن ضياع فلسطين ولا عن تخاذل الملك ولا عن فسادة وفساد حاشيته والأسلحة الفاسدة، وكل ما رده الإخوان عن جلالة الملك فاروق بعد ذلك، وما زالوا يلوكونه إلى اليوم في أحاديثهم وفي كتبهم ويردده خطبائهم على منابر المساجد والزاويا حتى يومنا هذا.

قبل ذلك وفي عام ١٩٤٧م، نجد غلاف المجلة عدد ٨ فبراير صورة الملك والمانثيت «بمناسبة العيد الملكي السعيد»، وكانت هناك صورتان محجوزتان سنويًا

على غلاف المجلة للملك، الأولى في عيد ميلاده أو ما كانت تسميه المجلة «العيد الملكي السعيد». والثانية في عيد جلوسه على العرش.

- عدد ١٥ مارس ١٩٤٧م نجد الصفحة الثانية من العدد مجموعة من الصور بعنوان «الأسبوع في صور» ومعظمها صور الملك فاروق، وتكراته العادية خلال الأسبوع.

- وفي شهر مايو ١٩٤٧م نجد عدد ٤ مايو وعلى غلافه صورة للملك والمانشيت «جلافة الملك يشرف حفل افتتاح نادي المعلمين».

- عدد ١١ مايو (العدد التالي مباشرة) صورة الملك والمانشيت «في عيد الجلوس الملكي السعيد».

- عدد ١٨ أكتوبر ١٩٤٧م على الغلاف مانشيت «حاة العروبة» وصور كل من الملك فاروق والملك عبد الله والرئيس بشارة الخوري والملك عبد العزيز بن سعود والملك فيصل ملك العراق والرئيس السوري شكري القوتلي وإمام اليمن الإمام يحيى.

★ ★ ★

وكانت مجلة الإخوان تحرص طوال الوقت على أن تقدم صورة الملك للشعب ليس باعتباره الملك الوطني فقط، بل قبل ذلك الملك المتدين، ففي عدد ٢٧ يوليو ١٩٤٦م نجد صورة مسجد تملاً الغلاف وتحته عبارة «مسجد فاروق الأول برأس البر» ويعدّها مباشرة في عدد ١٠ أغسطس ١٩٤٦م نجد صورة الملك وهو يجلس في خشوع والمانشيت يقول «صاحب الجلالة الملك يستمع إلى آتي الذكر الحكيم في قصر رأس النين العامر» الطريف أن تلك الفترة هي التي شهدت حديثاً في الشارع عن سهرات الملك فاروق الماجنة ولعب القمار... كانت المجلة ومعها الجماعة تنطوع لتقديم الصورة المناقضة لما هو سائد؟ كان الملك فاروق في مرحلة التدهور الشديد.

سواء في حياته الخاصة وسلوكه الشخصي، أو في إدارته لشؤون البلاد، لكن المجلة التي يربعاها حسن البنا كانت تقدم العكس.

وبمراجعة المجلات السياسية لذلك العصر مثل المصور وروز اليوسف وآخر ساعة، لن نجد الملك فاروق احتل أغلفتها على هذا النحو الذي نجده في مجلة الإخوان، وأظهر أنه لا بد من التساؤل بعد ذلك عن مصدر التمويل، خاصة إذا وجدنا أن مجلة الإخوان كانت أقل المجلات تنشر بها إعلانات، وهناك أعداد كاملة لم يكن ينشر بها إعلان واحد، ورغم ذلك كانت المجلة تطبع على ورق ملون، وكانت تطبع على ورق الكتب وليس ورق المجلات بما يعني أن التكلفة كانت أعلى بكثير من المجلات الأخرى.

لم يكن الأمر قاصراً على صورة الغلاف، ومن الناحية الصحافية فإن صورة الغلاف يجب أن يصاحبها مادة داخل العدد، وتكون - غالباً - هي الأهم، وتكون إدارة تحرير المجلة حريصة على إبرازها، وهكذا مع كل صورة للملك على الغلاف، كنا نجد عموداً أو مقالاً مطولاً، أو حتى كلمة قصيرة داخل العدد، وقد تكون بلا توقيع تعبيراً عن المجلة كلها وأحياناً يوقعها أحد كتاب المجلة، فتنى سنة ١٩٤٥م نجد مقالاً على صفحة ٢ بالعدد، بعنوان «عيد الملك عيد الشعب» ويحمل توقيع محمد عثمان نجاني، وهو - فيما بعد - أستاذ علم النفس - يقول فيه «وليس بغريب أن يحب الشعب المصري ملكه هذا الحب الذي لم يحبه شعب ملك من قبل. فقد كان مولده بداية عهد جديد لمصر وكان مشرق طلعت به بشير خير وسعادة للشرق الإسلامي جميعه وكان الله سبحانه وتعالى قد ربط مصير الأمة بمصيره، وكان إرادته شاءت أن تجعل من شباب الفاروق معيناً يجدد في الأمة شبابها». وكانت المجلة ومن ثم الجماعة اهتمت بعيد ميلاد الملك بشكل خاص سنة ١٩٤٥م؛ لأن الملك كان قد أتم ٢٥ عامًا «من عمره المديد إن شاء الله» كما قال نجاني.

وإذا كانت جماعة الإخوان حذفت من مذكرات حسن البنا ما يتعلق بترجييه «بالمليك العظيم» حين تولى العرش، فلن يكون بمقدورهم أن يحذفوا من المجلة ما تحدث به البنا إلى الملك أو عنه.. وسوف نكتفى هنا بمؤذنين، أظن أن كل منهاه دال.. ففى مطلع سنة ١٩٤٥م زار الملك فاروق للمرة الأولى المملكة العربية السعودية والتقى بجلالة الملك عبد العزيز الذى سعد به وصعد إليه على البيخت الخاص بالملك والذى سافر فيه عبر البحر الأحمر واستمرت الزيارة عشرة أيام، وكانت زيارة ناجحة تمامًا، وقد أرسل المرشد برقية إلى القصر الملكى بعد عودة الملك.. هذا نصها «حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان العالى :

أرجو أن ترفعوا إلى سدة المليك المحبوب أخلص آيات التهنية والتبريك لسلامة العودة من الأرض المقدسة وكمال التوفيق فى توثيق روابط المودة بين مصر وجاراتها العزيزة مع أسمى آيات الولاء والإخلاص، والله نسأل أن يعز الإسلام والعروبة بالفاروق العظيم».

النموذج التالى يعود إلى أبريل سنة ١٩٤٦م، وقتها كان رئيس الحكومة هو إسماعيل صدقى (باشا) وكانت الحكومة تستعد للتفاوض مع الإنجليز لتعديل بنود معاهدة ١٩٣٦م أو إعادة النظر فيها بما يضمن لمصر مزيداً من الاستقلال، ولم تكن قيادات الأحزاب تؤيد صدقى، وكانت القوى الوطنية ترى فيه طاغية وتعدده رمزاً للاستبداد، كان يؤيده - فقط - الملك فاروق، فقد أسند إليه رئاسة الحكومة، وكان يؤيده غير الملك، وربما بسبب ذلك جماعة الإخوان المسلمين ومرشدهم حسن البنا، وقد تظاهر طلاب الإخوان فى الجامعة تأييداً لصدقى، وقاد المظاهرات مصطفى مؤنس، وردد المظاهر ون الآلية القرآنية ﴿وَأَذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقًا الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] وبالتأكيد لم يتحرك طلاب الإخوان بعيداً عن رغبة مرشدهم المؤنس، لكن المرشد حسن البنا لم يترك الأمر للطلاب، وقرر أن يدخل بنفسه على الخط، ولكن بالتعامل مباشرة مع الملك، فبعث إليه بخطاب نشرته



مجلة الإخوان، قدمت له المجلة بالكلمة التالية «رأى فضيلة المرشد العام بمناسبة بدء المفاوضات وحاجة الأمة في هذا الظرف الدقيق إلى الوحدة والاتلاف أن يتوجه بهذه الرغبة إلى الفاروق معقد الأمل والرجاء فأرسل لجلالته الخطاب التالي». ثم نشرت نص الخطاب، وفي هذا السياق لا بد من إعادة نشره كاملاً، فهو كاشف لنظرة البنا للملك وطريقة خطابه، يبدأ الخطاب هكذا:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والا.

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادى النيل

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،

فأنت يا صاحب الجلالة موضع الأمل ومعقد الرجاء لوادى النيل ولأبناء العربية ولشعوب الإسلام، عاطفة من الولاء والحب غرسها الله لك في قلوب الناس لإرادة يعلموها وحكمة يريدوها لعلها أن تجتمع بك الكلمة وبرأب الصدع وتلتقي في ساحتك الأمانى والآمال.

ومصر الآن يا صاحب الجلالة تحتاز أدق مراحل تاريخها الحديث وحكومتها في مفاوضة مع حكومة بريطانيا ترجو من ورائها أن تصل إلى حق الوطن في الجلاء ووحدة الوادى حتى يحيا حياة الحرية والكرامة والاستقلال في ظل عرشك العزيز وتاجك المقدس.

وستلقى نتيجة المفاوضات كائنة ما كانت على كاهل الأمة والحكومة تبعات وواجبات ثقّال لا يمكن النهوض بها إلا إذا توحدت الكلمة وتضافرت جهود العاملين المخلصين.

وتلك ليس لها إلا نظرك السامى ورأيك الثاقب السديد، فتفضل يا مولائى وآس بيدك الكريمة هذه الجراح وأنت نعم الطبيب، ووجه دعوتك المستجابة وأمرك

المطاع إلى هذه الأحزاب والهيئات لتلتقى جميعاً عند كلمتك وهى كلمة الوطن العزيز والتفكر مجتمعة فى برنامج العمل للمستقبل القريب والطريق إلى تنفيذه على كل الفروض حتى لا تؤخذ على غرة ولا تؤتى من غفلة.

والله نسأل أن يحقق على يديك الآمال وأن يعز بعهدك السعيد عرش وادى النيل الجيد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القاهرة فى ٢١ من جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ

٢٣ من أبريل ١٩٤٦ م

المخلص

حسن البنا

المُرشد العام للإخوان المسلمين

وجعلت المجلة لهذه الرسالة عنواناً رئيسياً هو : مهمة الائتلاف ليس لها إلا نظر الفاروق السامى ورأيه الثاقب.

★ ★ ★

يخاطب حسن البنا الملك ليحقق خطوة يعلم جيداً أن الملك يجيها ومفضلة لديه، وهى أن تأتلف الأحزاب وتأتمر بأمره، لم يكن الملك يجب حزب الأغلبية (الوحد)، لأسباب عديدة، من بينها أن النحاس باشا فى تعامله مع الملك، لم يستطع أن يتخلص من فاروق السن الكبير بينها، وهكذا كان النحاس يشعر الملك بصغر سنه، أو بتعبير السفير البريطاني أنه «صبى» أو «غلام»، كان يقولها السفير هكذا (The Boy). وكان الملك لا يجب لحزب الأغلبية أن يحكم أو أن يتحكم، وكان

يفضل عليه التحالف أو الائتلاف الحزبي، وهكذا فإن البنا يقترح على الملك ما يجده الأخير ويتمناه.

ولا يؤخذ على حسن البنا أو غيره أن يبدى تأديباً وهو يخاطب ملك البلاد وأن يظهر له مشاعر الود والتقدير، لكن ما يزيد عن ذلك يصبح نفاقاً وتلقاً رخيصاً، وقد يتجاوز الأمر بالنفاق ليؤدى إلى صناعة طاغية، وحينما يخاطب المرشد الملك فاروق ويقول له (تاجك المقدس) فهذا تحميل للأمور ما لا تحتمل، لم يكن التاج الملكي مقدساً ولا حتى لدى الملك نفسه، أن يكون الجالس على العرش محبباً ومقبولاً أمر طيب للشعب وللأفراد وكذلك للملك نفسه، أما أن يكون التاج مقدساً، فذلك شيء آخر، ومن قبل قال حسن البنا عنه الخليفة المنتظر، أنه يصبح «ظل الله على الأرض».. إنها عقلية تأليه الحاكم، التى عرفتها العصور القديمة فى بلاد الشرق وعاشتها أوروبا فى العصر الوسيط، عصر الظلام، ثم حاولت الإنسانية أن تتحرر من تلك المرحلة، وهذا النمط من الحكم، لكن حسن البنا، فيها يبدو، كان يسعى إلى استعادته من جديد.

وهناك كلمات أخرى فى الرسالة تنطوى على المبالغة فى النفاق، مثل (أنت نعم الطبيب).. (نظرك السامى).. (عهدك السعيد).

الطريف فى الأمر أن حسن البنا، رغم مديحه المبالغ فيه باستمرار للملك، والذي فاق مديح أنصار الملك والملكية بحق، فإن الملك لم يبق أبداً فى حسن البنا ولم يطمئن إليه، وهذا ما تكشفه الكثير من الأحداث والوقائع.

## القَصْدُ إِلَى التَّجَانُّسِ

### تَقْيِيسُ الْأَفْغَانِي وَمُحَمَّدٍ عَبْدِهِ

ذَكَرُوا أَنْفُسَكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ دَائِمًا بِأَنْ  
مَلَا حُدُودَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَدِّمَةِ خُصُومِكُمْ  
حَسَنَ الْبِنَا

اعتبر فريق غالب من الباحثين والدارسين المصريين والعرب والأجانب حسن البنا وجماعته، تحيياً وامتداداً لمشروع أو حركة جمال الدين الأفغاني، وتساءل د. حسن حنفي كثيراً بأسى كيف أن مشروع الأفغاني ومحمد عبده النهضةوى كان يضعف ويزداد أنصاره تشدداً أو سلفية من رشيد رضا وحسن البنا؟!!

والواقع أنه يصعب علينا اعتبار حسن البنا امتداداً ولو باهتاً وضعيفاً لجمال الدين الأفغاني وأفكاره، بل إن التدقيق يمكن أن ينتهي بنا إلى اعتبار حسن البنا وأفكاره تقيضاً لأفكار ومشروع الأفغاني.. وهو كذلك تقيضاً لأفكار ومشروع الأستاذ الإمام محمد عبده، رغم الاختلاف أو عدم التطابق بين الأفغاني ومحمد عبده.. لقد اختلف الباحثون حول جمال الدين الأفغاني.. مولده ونشأته.. حياته ومسيرته، السائد أنه ولد قريباً من «كابل» عاصمة أفغانستان أسرة مسلمة سنية ينتهى نسبها إلى الحسين بن علي، أى أنه عربى الأصل، لكن فى المقابل هناك من ينكر ذلك ويبرى أنه ولد فى بلاد فارس ونشأ مسلماً شيعياً، لكنه تحول إلى السنة أو ادعى ذلك ليسهل عليه النفاذ إلى المسلمين السنة.. وبينما رآه البعض مسلماً مخلصاً لمبدأ «الجامعة الإسلامية»، اعتبره آخرون عميلاً للمخابرات البريطانية، وعدة أجهزة

أخرى بحكم كونه «ماسونيًا».. وصل إلى درجة متقدمة في المحفل الماسوني الأعظم، لكن لن يختلف كثيرون أن جمال الدين الأفغاني كان خصمًا لدودًا للاستبداد السياسي، أيًا كان مصدره، وكان كارهاً للظلم الاجتماعي، بشتى صوره داعيًا إلى إنشاء الدستور والبرلمان، وأنه كذلك كان قلقًا من التدخل الأوروبي في بلاد المنطقة، وبسبب كراهيته ورفضه للاستبداد طرده رياض باشا، ناظر النظار في عهد الخديوي إسماعيل ورمز الاستبداد والتسلط من مصر، ودعا شاه إيران إلى القبض عليه، متهمًا إياه بالشاركة في مؤامرة لاغتياله، وبسبب ذلك أيضًا حبسه السلطان عبد الحميد في القفص الذهبي بالآستانة، عاصمة دولة الخلافة.

كان الأفغاني داعيًا إلى إصلاح وتجديد دولة الخلافة، وإقامة رابطة جامعة بين البلاد الإسلامية، لا تربط البلاد بالقهر والغلب كما فعل سلاطين آل عثمان.. فأين من ذلك حسن البنا .. الذي عرفناه مناصرًا للحكومات الاستبدادية في مصر ويسخر أنصاره للتظاهر تأييدًا لها ودفاعًا عنها، كما حدث مع حكومة إسماعيل صدقي، ولم نعرفه مؤمنًا ولا محبًا للحريات السياسية، ولا مدافعًا عن الدستور، حيث نسبت مظاهرات سنة ١٩٣٥م المطالبة بعودة الدستور واحتجاجًا على تصرفات وزير خارجية بريطانيا «صمويل هور» بشأن استقلال مصر، لم نعرف للبنا دورًا أو حتى تأييدًا لتلك المظاهرات، فقد ألقى بنفسه من البداية في أحضان الديوان الملكي، متمسكًا بالملك فؤاد، الذي عرف بأنه طاغية، ثم الملك فاروق، حتى أنه كان من الداعين إلى أن يصبح الملك فاروق خليفة المسلمين، وهو الحلم الذي طالما دأب الملك الشاب، كما دأب والده، الطاغية المعجوز، من قبله..

لا أريد أن أعقد مقارنة بين الأفغاني والبنا .. ولا بين محمد عبده والبنا، فذلك أمر بطول، ولكن أكتفي هنا بالتأكيد على أن «البنا» كان تقيضًا لكل منها.. والتناقض بين البنا ومحمد عبده يفوق تناقضه مع جمال الدين الأفغاني. كان



محمد عبده من أنصار ودعاة الوطنية المصرية<sup>(١)</sup>، شارك في الثورة العربية، وصار من دعاة الإصلاح بعدها، لم يكن مثل أستاذه الأفغانى من دعاة الجامعة الإسلامية ولا مثل البنادعايا إلى دولة الخلافة، ولا بد من القول إن الأفغانى ومحمد عبده كانا - كل بطريقته - امتدادًا لميراث وتجربة إسلامية ممتدة في التاريخ، بعمق التاريخ الإسلامى وربما عمق الإسلام ذاته.

نحذنا التجربة الإسلامية في التاريخ إن المدارس أو الفرق الكلامية والمذهبية، نشأت معظمها حول قضية سياسية واجتماعية في المقام الأول، أى بسبب أو رد فعل على خلاف سياسى، وعلى هذا النحو ظهر الخلاف السنى/ الشيعى، فقد نشأت الشيعة والتشيع احتجاجًا من بعض المسلمين على أن ابن رسول الله وزوج ابنته فاطمة على بن أبى طالب كان الأحق بخلافة المسلمين إثر وفاة النبى محمد، ورغم اعتراف الجميع بأسبقية على بن أبى طالب ودوره المهم في الإسلام وقرابته من الرسول، فقد اتجه الرأى الغالب من المسلمين إلى أبى بكر الصديق، الذى كان موضع ثقة الرسول وصديقه من اللحظة الأولى لتلقى الوحي، وظهرت جماعة الخوارج إثر احتجاج نفر من المسلمين على الصراع بين أنصار على وأنصار معاوية بن أبى سفيان، رفض الخوارج مبدأ التحكيم الذى ارتضاه على، وخرجوا وحدهم، ورغم أنهم مارسوا العنف والقتل تجاه خصومهم، فإنهم قدموا تراثًا فكريًا رائعًا وأدبًا رفيعًا.

ولما بالغ معاوية بن أبى سفيان في المطالبة بدم عثمان بن عفان، وحمل على بن أبى طالب مسؤولية هذا الدم، وكان في ذلك يسمى إلى هدف سياسى، هو الوصول إلى السلطة، وكان يصدر في طلبه عن قرابة الدم من عثمان وليس لأن عثمان قتل مظلومًا. ظهرت جماعة «الرجلة» أى إرجاء البت في هذا الأمر وتركه إلى الله سبحانه وتعالى

(١) عقد د. مصطفى لبيب فصلاً عن الفكرة الوطنية عند الإمام محمد عبده، في كتابه الذى أصدره عنه الكتاب صدر عن هيئة الكتاب عام ٢٠١٠م.

يوم القيامة، وبإزاء هذا كله ظهر تيار التصوف تعبيراً عن الزهد والرغبة في تجنب كل هذه الصراعات والانقسامات التي جرت على المسلمين حروباً أهلية ودماء غزيرة ارتقيت لمسلمين أجلاء، يكفي أن يكون في مقدمتهم الخليفة عثمان والخليفة علي بن أبي طالب ثم الحسين بن علي، رضى الله عنهم جميعاً.

ونعرف جميعاً أن فكر المعتزلة شاع إثر الخلاف بين الأمين والمأمون على الأحق بالخلافة: أئى أننا في نهاية الأمر بإزاء خلاف ومعارك سياسية تجد غطاء فقهيًا دينيًا لا يحكم أن الثقافة الدينية كانت هي الغالبة والمسيطرة على الجميع...

كان ذلك في زمن بناء الثقافة والحضارة الإسلامية، حيث تعددت وتباين المواقف الكبرى سياسيًا واجتماعيًا ومن ثم مذهبيًا وأكاد أقول عقائديًا، فلم اتسعت رقعة الدول الإسلامية وانتشرت الحضارة الإسلامية باتت المواقف معروفة.. وأنصار الفرق يعرفون أنفسهم، ودعاة كل مذهب محددين، وحتى حين ظهرت حركات احتجاج وتمرد داخل هذه الدول مثل «القرامطة» فإنها نشأت من رحم الإحساس بالظلم أو عدم تحقيق العدل الإنساني والاجتماعى على النحو الذى يطالب به الإسلام، أو حسب فهمهم لهذا الدين...

في زمن الضعف والتراجع، وتعرض الدولة الإسلامية للغزو من الخارج، سواء ما جاء من أقصى الشرق (المغول) أو من بلاد الغرب (الصليبيين) وجدنا حركات وجماعات المقاومة تنشأ حول الفقهاء والمتصوفة، فنحن لا نستطيع أن نفهم فكر ابن تيمية وآراءه ما لم نضع في الاعتبار أنه في زمانه رأى احتياج المغول وتهديدهم للأمة.. والأمر نفسه ينطبق على آخرين من الفقهاء والمتصوفة وإن لم يحققوا شهرة ونفاذ الفقيه تقي الدين بن تيمية.

في عصرنا الحديث لم يختلف الأمر كثيرًا، حيث ظهر التهديد الأوروبى لبلاد المنطقة، جاءت حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م ورحلت سريعًا في ١٨٠١م، لكن

الحملة كانت فاتحة التهديد، بعدها بقليل وفى سنة ١٨٣٠م تم غزو فرنسا للجزائر واحتلالها، وكان ذلك فاتحة الاجتياح الأوروبى (الاستعمارى) لبلاد المنطقة، وهكذا وجدنا حركات إحياء إسلامية تهدف فى النهاية إلى مقاومة ذلك الاجتياح، ومنهم أو الحد منه، وجدنا فى الجزائر حركة الأمير عبد القادر، وبعد مغادرة الأمير للجزائر متجهًا إلى مصر ثم إلى الشام لم تتمد المحاولات، ولدينا ناهج مثل عبد الحميد بن باديس، وفى ليبيا كانت السنوسية، ورغم أنها حركة صوفية بالأساس فقد تحملت مقاومة الإيطاليين وفى السودان كانت الحركة المهدية، التى كان من بين أهدافها مواجهة الغزو البريطانى لمصر وزحفه على السودان.. وفى مصر كان الأفغانى يدعو إلى مقاومة الاستبداد والتصدى للتغلغل الأوروبى فى المحروسة وكان الشيخ محمد عبده أحد قادة الثورة العربية، لرد البريطانيين عن مصر والحد من الاستبداد والسلط السياسى الذى يمارسه رياض باشا ومعه الخديو محمد توفيق .

عمومًا كانت الحركات الدينية الإسلامية تسمى إلى أهداف تكاد تكون واحدة، هى الحد من التدخل والعدوان الأوروبى على البلاد، والحد من الاستبداد الذى يمارسه الحكم ويرزح تحته المواطنين، وفى النهاية السعى إلى تحقيق النهضة العام..

★★★

منذ نهاية القرن السابع عشر وطول الثامن عشر نجد ظهور حركات دينية تسمى إلى أهداف أخرى وبوسائل جديدة وترى أزمة المسلمين بشكل آخر.. إنها ترى الأزمة فى الإسلام ذاته أو فى المسلمين أنفسهم من حيث علاقتهم بدينهم ومعرفتهم به.. من الفرق التى رأت المشكلة فى الإسلام ذاته القاديانية أو الأحمدية فى الهند والبابية التى تطورت إلى البهائية، هذه الفرق أو الجماعات أحدثت بعض التبدلات فى الديانة الإسلامية ذاتها، حتى باتت تعد ديانات جديدة مستقلة بذاتها، فى البهائية مثلاً تم إسقاط قاعدة أو مبدأ «الجهاد» وهذا ما دعا باحثًا فى وزن أحمد أمين بقطع بأن الإنجليز وقفوا وراء البهائية ودعموها، لأن مبدأ الجهاد يزعجهم،

فقد كان سبباً رئيسياً في مقاومة الشعوب والبلاد التي دخلوها، خاصة في الهند وفي مصر وفي العراق.. وهناك العديد من الدراسات حول القاديانية وحول البنية والبهاية يمكن الرجوع إليها والوقوف عند تفاصيلها وجذورها.

أما الحركات التي رأت الأزمة في المسلمين أنفسهم، فيقف على رأسها محمد بن عبد الوهاب وجماعته التي حملت اسمه «الوهابية».. وقد أطلق التسمية الأخيرة عليهم خصومهم، أما أنصار ابن عبد الوهاب فيطلقون على حركتهم اسم جماعة التوحيد، ولد ابن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ ميلادية في بلدة «العيينة» التابعة لمنطقة «نجد» بالجزيرة العربية، وتلقى تعليمه الأولي بها على يد عدد من شيوخ المذهب الحنبلي، ثم سافر إلى المدينة المنورة ومنها انتقل إلى البصرة وبغداد ثم رحل إلى عدة أماكن داخل بلاد فارس، أنهاها بمدينة «قم» ثم عاد إلى موطنه وخرج على أهله بدعوته وأفكاره الجديدة، التي ركزت على محاربة البدع، مثل زيارة قبور وأضرحة بعض الأولياء والتصوفة، وهو بالتأكيد رأى ذلك على نطاق واسع في المناطق الشيعية التي مر بها وعاش فيها فترة سواء في العراق أو في بلاد فارس (إيران).. ثم طالب أتباعه بدم الأضرحة والقبور، ثم قال إن المسلمين ابتعدوا عن التوحيد وأصابهم الشرك بالله وكان ذلك هو المخيف في دعوته..

تاريخياً كان يظهر بعض الشيوخ بين حين وآخر يدعون إلى ترك البدع والعودة إلى أصول الدين، وتحدثنا تواريخ القرينزي وابن تغري بردي وابن إياس والجبرتي عن كثير من هذه النافذ، لكن لم يتهم أحد من هؤلاء عموم المسلمين أو من يزورون الأضرحة بالشرك أو الكفر بالله سبحانه وتعالى.. وفي زمن الاحتلال الأوروبي أو سمي أوروبا إلى الخيمنة على المنطقة، فضلاً عن الاستبداد والتسلط والمظالم السياسية والاجتماعية، رأى ابن عبد الوهاب المشكلة بعيداً عن ذلك كله، رآها تنحصر في زيارة الأضرحة والقبور والاحتفال بالموالد، بما فيها المولد النبوي، وسار خلفاؤه على هذا النهج.. المعجبون بمحمد بن عبد الوهاب قالوا إنه يريد العودة إلى التوحيد

في نقائه الأول وبمعناه المجرّد، أما الخصوص فقد اهتموه، وقالوا إنه صنعة المخابرات الإنجليزية واستندوا في ذلك على مذكرات «هيمفري» ضابط المخابرات البريطانية الذى التقى ابن عبد الوهاب في البصرة؛ لذا أطلق هؤلاء على حركته اسم «الوهابية المهرية».. والنفصيل في هذه الجزئية يحتاج معالجة مستقلة.

وجن ظهر حسن البنا وبدأ يمارس نشاطه في نهاية العشرينيات، كان هناك مشروع الأستاذ الإمام محمد عبده سواء في جناحه المدني الذى كان يمثل سعد زغلول ولطفى السيد وطه حسين، وجناحه الدينى الذى تقدمه الشيخ مصطفى عبد الرازق.. وكانت هناك بقايا الحزب الوطنى، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد.. وكان هؤلاء جميعًا مشغولين بأمور أساسية، في مقدمتها تحقيق الاستقلال بإنهاء الاحتلال البريطانى لمصر وإقامة دولة مدنية تحمى الحريات العامة، أى دولة بلا استبداد سياسى، يكون فيها دستور يتم احترامه، وكانوا يدعون إلى تجديد الحياة العقلية والتفكير الدينى، لكن البنا لم يشأ أن يسير في أى تيار أو جناح من هذه الأجنحة، لقد اختار عمليًا أن يسير على نهج ومدرسة محمد بن عبد الوهاب، حتى وإن لم يقصد ذلك أو لم يذكر اسم محمد بن عبد الوهاب نهائيًا، هو رأى أن الأزمة في مصر، تتركز في أن المصريين أصابهم الشراك بالله أو الكفر.. وأن دوره هو أن يجارب ذلك الشراك ويعيد المصريين إلى التوحيد من جديد.

جاء حسن البنا إلى القاهرة من المحمودية والتحق بكلية دار العلوم سنة ١٩٢٣م، أى في أجواء ثورة ١٩١٩م وما جرى بعدها، في عام وصوله كان دستور ١٩٢٣م قد صدر وجرت انتخابات نيابية حرة، جاءت برلمان سنة ١٩٢٤م، حيث فشل في الانتخابات رئيس الحكومة الذى أجراها وأشرف عليها، وصار سعد زغلول زعيم الأمة، رئيسًا لمجلس النواب، وكان الواقع السياسى يموج بتيارات وأنكار عديدة، وتخرج البنا سنة ١٩٢٧م عام رحيل سعد زغلول، أى مجتمع عفى، مليء بالأحداث والشخصيات الكبيرة.. ومع ذلك دعونا ننأمل ما في ذاكرته عن



تلك الفترة، يقول في «مذكرات الدعوة والداعية».. (وعقب الحرب الحرب الماضية ١٩١٤م/١٩١٨م، وفي هذه الفترة التي قضيتها بالقاهرة، اشتد تيار موجة التحلل في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي، فكانت موجة إichاد وإباحية قوية جارفة طاغية، لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف) والواقع أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم يعرف المجتمع المصري موجة إichاد جارفة.. لم نجد دعوات أو جماعات تتبنى الإichاد، ولا حتى جماعة واحدة، ولم نعرف كذلك أن هذا المجتمع شهد موجة انحلال وإباحية جارفة وطاغية.. لم يحدث شيء من ذلك، لكن الذي حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أن شبت ثورة شعبية جارفة، قادها سعد زغلول وعدد من رموز الحركة الوطنية، وملاّت هذه الثورة أقاليم مصر كلها، وكان مركزها في القاهرة، كشفت هذه الثورة عن غمّاسك اجتماعي قوى، وأثبتت التضحيات التي قدمها المصريون عن قوة أخلاقية ورغبة في الفداء والاستشهاد من أجل استقلال وطنهم.. بدا هذا التماسك في التلاحم بين المسلمين والأقباط.. الرجال والنساء.. أبناء الحضر وأهل الريف.. الباشوات وعموم المواطنين وشارك في هذه الثورة عدد من علماء الأزهر ولعبوا دوراً مهماً، واستقبل الأزهر النافرين وخطب على منبره الوطنيون من مسلمين ومسيحيين<sup>(١)</sup>، لكن الغريب أن لا يجد حسن البنا في ذلك أي شيء يستوقفه، في باب الشعرية بالقاهرة سقط شهداء وشهيدات برصاص الإنجليز، وقامت المظاهرة النسائية التي تصدى لها جنود الإنجليز بالبنادق.. ومع ذلك يحدثنا حسن البنا عن موجة إichاد وإباحية قوية وطاغية، لم يكن هناك شيء من ذلك، لكنه لم يكن قادراً على أن يرى الواقع جيّداً، كان يتخيل ويتوهم أن المسلمين أصابهم ضعف العقيدة والشر!

(١) راجع في ذلك مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار «الأيام الحمراء»، سلسلة مصر النهضة ٢٠١٠م، تقديم د. أحمد زكريا الشبل.

وهذا الفهم لا یغادره، یكتب حسن البنا فی جملة الفصح - عدد ٢٤ ینوی  
 ١٩٢٨م مقالاً بعنوان «الدعوة إلى الله». تحدث فیہ عن واقع الأمة وما تحتاج إلیہ،  
 جاء فیہ «لست فی حاجة إلى أن أقول: إن أمتنا المصرية - بل الإسلامية - بما تقبلت  
 فیہ من أطوار، وما مر علیها من حوادث سياسية واجتماعية استخفت بدینها  
 وأخلاقها فترکها كالمعلقة، لست فی حاجة أن أقول إن هذه الأمة فی أشد الحاجة إلى  
 دعوة قوية فعالة ترددها إلى رشدہا، وتستلہبها ینہی نبیہا، وترشدہا إلى نعمائ دینہا،  
 وتتفادها عما فیہ من الانحلال الأدبی والفساد الخلقی. أی أن الأمة لم تعد تعرف  
 معالم دینہا وهي بحاجة إلى من یرشدہا إلیہ ویدلها علیہ، ثم یقول مؤکداً نفس المعنی  
 «فأنت أبنی وجهت وجهک لا تجد إلا فساداً ظاهراً، وتمتکاً مزمراً، بل القوضی فی  
 العقائد والتخبط فی الآراء والمذاهب». وعلى هذا النحو یواصل الكتابة إلى أن یقول  
 فی سخریة بالغة من دعة التجديد والنادین بالحریات العامة.. «ولا یفرنک قوم من  
 الکتاب یقولون: هذا عصر مدنیة وتجديد، ورفقی فی المدارک والأفکار، وثقافة حرة  
 وحرية شاملة شخصية وغير شخصية، وغير ذلك من الألفاظ التي یرصونها رصاً،  
 ویستقونها تنسيقاً، یجدعون بها البسطاء ویخلبون برذائلها الضمعاء».

بعد ثلاث سنوات من ذلك المقال یكتب حسن البنا مقالاً آخر، لكنه أشمل،  
 بعنوان «واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به»<sup>(١)</sup>. بدأه بالقول «توالى الاعتداءات  
 أخيراً على المسلمین فی کل قطر من أقطار الأرض، وكثر أعداؤهم عن ناب  
 البغضاء، وأذنوهم بحرب بعيدة المدى...» ویحاول أن یقدم تشخيصاً للعوامل التي  
 دفعت بالعالم الإسلامي إلى تلك الحال، وطريقة المواجهة والخروج من ذلك الموقف  
 .. یقول «فاذکروا دائماً أن أول جان على الإسلام هم أبناءه الأغرار الفتنون، الذين  
 ترکوا مظاهره ونددوا بها، وأوروبا ترفیهم عن کتب، وتمدهم فی طغیانهم،  
 وتضعهم علیہ بالأساليب الخفية، فقاتل الله اللادینیین من أبناء الأمة الإسلامية،

(١) راجع کتاب: فقه الواقع، مقالات تنشر لأول مرة للإمام حسن البنا، مرکز الكلمة للدراسات والبحوث، ط١، سنة ١٩٩٩م.

«الذين أذلوا الإسلام وأسقطوا هيئته بما انتهكوا من حرمة الخلافة، وبما أقدموا عليه من انتهاك محارم الله، فذكروا أنفسهم أيها الإخوان دالاً بأن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصومتكم، وأن على رؤوسهم قسطاً كبيراً من تبعه ما يقع الآن في مختلف بلاد الإسلام...» ثم يقول «ومن الواجب أن نحول دون نفسي أفكارهم الموبوءة بيننا وأن نضرب على يدي من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا»<sup>(١)</sup>.

وفي ميراث الأستاذ الإمام محمد عبده لن نجد أبداً تعبير «ملاحدة المسلمين»، وانهم الآخرين في عقائدهم، صريح أن حسن البنا، هنا، كان يقوم بالملاسة على مصطفى كمال أتاتورك ومن معه، وهؤلاء أسقطوا الخلافة، حين وجدوا أن وطنهم قد تعرض للاحتلال، ولكن لم يثبت أنهم كانوا ملاحدة، ولا أنهم أعلنوا الإلحاد، لكن حسن البنا عموماً الاتهام، ولم يقصره على جماعة أتاتورك، بل نقله إلى الواقع المصري، والقاهرة تحديداً.. أين من ذلك الإمام محمد عبده، الذي وقف بصرامة ضد تكفير المسلم، وهو الذي عمد إلى إحياء مقولة الإمام مالك - رضى الله عنه - لو أنه امرئٌ حملٌ على الإيمان من وجهة واحدة، وحمل على الكفر من مائة وجه، لحملناه على الإيمان، ولم يقل بما قال به حسن البنا من أن الأمة فقدت رشدتها، هكذا ببساطة ينهم الأمة بأكملها؛ لذا يصعب القول إن حسن البنا تلميذ أو امتداد لمدرسة محمد عبده والأفغانى، ليس فيه شيء منهما بالمرّة، هو امتداد لمدرسة محمد بن عبد الوهاب.

وما فات حسن البنا أن الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية حدث واكتمل في ظل وجود دولة الخلافة، لكن المهم في هذا الرأي أن المشكلة عنده ليست في المحتل، ولا في شيوع الاستبداد والظالم العامة، والقضية عنده لا تبدأ بمواجهة المحتلين والمستعمرين، بل أن نواجه بعضنا بعضاً، وأن أول خصومنا هم الذين تركوا مظاهر الإسلام!!

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦.

ويبدو عنده، أن ما قام به الاستعمار فى بلادنا هو عقاب إلهى لنا «إن الله يبيده الأمر كله والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وإن الله قوى قهار لا يعجزه أن يتنزع أرض من أيدى أقوى دولة فيستخلف فيها أضعف دولة لينظر كيف يعملون، والتاريخ كفيل بذلك وشاهد عليه: فبنو إسرائيل ورثوا الأرض التى بارك الله فيها بعد أن كانوا أذل من الذل وأقل من القلة». ثم يقول «وبناكيد واضح أقسم لكم أيها الإخوان لو علم الله فى المسلمين من يصلحون أن يكونوا خلفاء الله فى الأرض لأرسل على مضطهديهم عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولبعث عليهم جنوداً لم تروها. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وخلص الأرض من أيديهم وأورثكم إياها». نفس المعنى وهو أن المسلمين لم يعودوا مسلمين.. ثم يقول «ولسنا نقصد بذلك القعود عن العمل، وإنما نريد تجديد النفوس، وتطهير الأرواح وتقوية العقائد، حتى تمتلئ النفوس بالأمل والإيمان، وحتى تندفع إلى العمل بقوة وثبات». والخلاص عنده فى هذه الجزئية «من واجبتنا أن نتعرف إلى الله بما يرضيه منا، وأن نسير مع أوامره ونواهيه، فإذا رضى عنا أعاننا بنصره، وأوضح لنا سبيل الخلاص، وكان معنا على أعدائنا فأخذوا من مأمئهم، وزلزلوا فى مساكنهم، وذاقوا وبال أمرهم»<sup>(١)</sup>.

ويقدم حسن البنا اقتراحاً للخروج من الأزمة موزجه على النحو التالى: «من الأحكام الشرعية أن الفتوت سنة فى كل الصلوات بعد الركوع الأخير إذا نزلت نازلة بالمسلمين، وبما أن المسلمين فى هذه الأيام يواجهون كل يوم نازلة جديدة تكسرت النصال على النصال، فيلوح لى جواز تطبيق هذا الحكم فى كل المساجد الإسلامية، وفى كل الصلوات فيفتن الأئمة فى كل صلاة بالدعاء للمسلمين بالنصر والخلاص، وبالدعاء على أعدائهم بالضعف والمزينة، فما رأى سادتنا العلماء فى ذلك؟»<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويتكرر ذلك الفكر لديه في الكثير من رسائله وخطبه إلى أعضاء الجماعة، تأمل مثلاً «هذه سبيلي» والتي يقدم فيها ما يجب للأخ أن يعتقد فيه «ومن بينها» اعتقد: أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه. وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون»<sup>(١)</sup>.

لن نجد في كل تحليلات حسن البنا حديثاً عن التأخر العلمي، خاصة في مجالات العلوم الطبيعية والكيمياء وغيرها، وتأخرنا في مجال الاختراعات العلمية والنهضة الصناعية، فالذين طوروا الأسلحة الأوروبية لم يكن كلهم من التدينين، فضلاً عن أنه لم يكن بينهم مسلم واحد... ولن نجد في أحاديث البنا ومقالاته شيئاً عن الاستبداد والتسلط السياسي الذي مارسه الخلفاء، خاصة خلفاء الدولة العثمانية، فقتلوا باستبدادهم الإحساس بالكبرياء داخل المواطن واعتزازه بنفسه، ولن يقول حسن البنا كما قال جمال الدين الأفغاني عجبت للفلاح المصري حين لا يجد قوته مثلاً يخرج بفأسه ليشق رأس ظلمه، والواقع أن واقع المسلمين وتأخرهم كان شاغلاً رئيسياً لدى الكثير من المصلحين والرواد، بدءاً من الجبرتي الذي شاهد التجارب العلمية الحديثة التي أجراها علماء الحملة الفرنسية، إلى الشيخ حسن المطاط ثم رفاعة الطهطاوي وعلى مبارك وغيرهم، وتعددت تشخيصاتهم وتحليلاتهم للأزمة، كما تعددت اقتراحاتهم وتباينت للخروج من الأزمة، لكن لم يكن بينهم من قال بما قال به حسن البنا، وهو أن المسلمين ابتعدوا عن دينهم، وأن الملاحدة زادوا بينهم، وأنهم هجروا معنى التوحيد الديني.

وحين تكون مشكلة المجتمع وقضايا الوطن محصورة في المواطن ذاته، أو الإنسان المسلم، الذي لم يعد مسلماً بالمعنى الصحيح، يصبح من الطبيعي أن تسعد سلطات الاحتلال بهذا التفسير، فالمشكلة هنا لا تنصير في الاحتلال ولا في المحتلين،

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.



بل في المواطنين ذاتهم (المسلمين)، وهذا ما كان يراه كرومر نفسه، ولكن بطريقة هو... ولذا ليس غريباً ما تردد عن مساندة الإنجليز والسلطات البريطانية لحسن البنا وجماعته في البداية، لا نقول إنهم كانوا عملاء للاحتلال، لكن فكرة البنا، من الناحية العملية تدعم الاحتلال وتبقى عليه، أو على الأقل تصرف الجهد والتفكير عن مقاومته والتصدي له، بل تجعل هذه الفكرة - عملياً - خصوم الاحتلال ومقاوميه، خصوصاً لها، فهي تعتبرهم علمانيين، ومن ثم لا تصبح مقاومة المحتل بطولية ولا فضيلة.. وحين نتحدث الوثائق البريطانية عن مساعدات وأموال بريطانية دفعت إلى البنا وجماعته، فلا بد أن تصدقها بضمير مستريح.

وحين تكون المشكلة في المواطن ذاته، أنه ابتعد عن دينه ويجب إعادته إليه، وليست في الاستبداد السياسي ولا في الظلم الاجتماعي، فإن السلطة المستبدة تسعد بمن يقول ذلك وتفتح له ذراعيها، ويرحب به رموز القهر الاجتماعي من محكرين وكبار اللاك، وفي الأغلب فإن من يقول ذلك لن يتخذ موقفاً من السلطة، أقصد موقفاً متواتراً أو معارضاً، ولا حتى موقف الجدل معها على أرضها؛ ولذا يجد مساندة من السلطات الحكومية، ولعل هذا يفسر لنا أن حسن البنا لم يتخذ موقفاً رافضاً ولا حتى ناقداً لأي حكومة حتى اغتياله سنة ١٩٤٩م، كان مؤيداً ومناصرًا للجميع، لقد توقف الباحثون عند تأييد جماعة البنا لرئيس الوزراء إسماعيل صدقي سنة ١٩٤٦م وهتاف طلاب الإخوان بالجامعة له، مرددين الآية القرآنية الكريمة التي نتحدث عن سيدنا إسماعيل ابن أبي الأنبياء إبراهيم، وفي الحقيقة هم لم يؤيدوا صدقي باشا وحده، أبدوا كل رئيس حكومة، سواء كانت حكومة القصر أو حكومة الأقلية أو الوفد. أيد البنا على ماهر ومصطفى النحاس ومحمد محمود والنقراشي وصدقي ولا يمنع الأمر من الانقلاب على رئيس الحكومة بمجرد أن يغادر موقعه؛ لذا ليس مصادفة أن البنا استفاد وكسب من كل رئيس حكومة، وليس غريباً ما تحدث عنه د. محمد حسين هيكل في مذكراته من أنه وهو وزير المعارف حين نقل

حسن البنا من القاهرة إلى قنا، وهو أمر بسيط، نقل مدرس ابتدائي من محافظة إلى محافظة، يحدث يسر وسهولة في الوزارة، كما يقول د. هيكل، لكن في حالة البنا فوجئ بنواب الأحرار الدستوريين في البرلمان (الحزب الذي يتشتم إليه د. هيكل) يتحدثون مع وزير المعارف في ضرورة إعادة المدرس إلى القاهرة ثانية. لم يوضع د. هيكل دوافع هؤلاء الدستوريين، لكن صحف ذلك الزمان تكشف السر، فقد كان أعضاء الجماعة يحشدون ويحشدون لمساندة هؤلاء النواب في الانتخابات البرلمانية، كل في دائرته إنها حالة من الانتهازية السياسية مغطاة بغلاف من العمل على نصرة الدين.. فحين يكون الهدف رد الناس إلى دينهم، فإن السلطة ورجالها تنظر بارتياح وعدم قلق إلى من يقول بذلك، والقاتل نفسه لن يجد غضاضة في التصفيق لأي سلطة.. وأن يستفيد منها قدر التاح ولا يدخل في صدام معها، وهكذا كانت حال حسن البنا؛ لذا انتشرت جماعته وأنشأ حولها جيشاً مسلحاً، دون اعتراض من أحد.

وإذا كان الهدف رد الناس إلى صحيح العقيدة الدينية، فلا مجال للحديث عن تعددية سياسية ولا عن سيادة القانون والدستور، ويصبح الحديث عن الحريات العامة، فضلاً عن الحريات الخاصة، ومنها حرية الاعتقاد نوع من المهرطقة يدان المطالب بها ويدان من يسمى إلى عمارستها، ذلك أن رد الناس إلى العقيدة يقتضي نوعاً من الضغط والعنف، ومن ثم لا معنى لحرية التفكير هنا وحق الاختيار، بل الترحيب كل الترحيب بالسلطات التي تمارس القمع على هؤلاء المواطنين؛ لذا لا غرابة في أن حسن البنا وجماعته، حرصوا - حتى اغتيال البنا - على تقديم صورة الملك فاروق، باعتباره الملك المتدين.. التقى الورع .. الذي يجلس مستمعاً في إنصات وتواضع لقراءة القرآن الكريم، خاصة في شهر رمضان.

لهذا كله يصعب مرة ثانية أن نعتبر حسن البنا امتداداً لجمال الدين الأفغاني، ولا هو تجلياً من تجليات أفكار الأستاذ محمد عبده، بل هو نقیض كامل لها، هو

امتداد للمدرسة ومتهج محمد بن عبد الوهاب، مع فاروق مهم، هو البعد الكائنى والحظة التاريخية، ربما كان المجتمع النجدى فى منتصف القرن الثامن عشر يسمح لابن عبد الوهاب بطرح أفكاره، يتحدث البعض عن شيوع تقليد يس بعض الأشجار وبعض المقابر هناك، ويتحدثون عن أن ظاهرة الظلمان كانت شائعة ومشرشرة فى ذلك المجتمع، على نحو مستغفر ومهين لأبسط معانى الإنسانية، ناهيك عن البعد الإسلامى، ويقولون إنها كانت تتم بصورة شبه علنية، لكن مكونات المجتمع المصرى، فى الربع الثانى من القرن العشرين تختلف كثيرًا. مجتمع البادية يختلف تمامًا عن المجتمع النهري الزراعى وعن المجتمع الحضرى والمدنى. وحين جاء حسن البنا من الحمودية إلى القاهرة ثم إلى الإسمايلية لم يتمكن من استيعاب وفهم المجتمع القاهرى، ولم يكن لديه الاستعداد لذلك، ولم تكن لديه الثقافة الدينية المتعمقة التى تجعله يترى فى إطلاق الاتهامات والطعن فى معتقدات الآخرين، كما لم تكن لديه الثقافة الحديثة التى تجعله يهتم بدراسة المجتمع وتعمق مشكلاته.. وكان من المريب فى بلد الأزهر أن يخرج من تشكك فى مدى إيمان ومعتقدات أهل هذا البلد. لكن هذا ما فعله حسن البنا ومن تبعه.

## الْفَضِيلُ الْحَاجِيُّ عَمَّيْنُ

### أَنَا الدَّعْوَةُ وَالِدَعْوَةُ أَنَا

«يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ بِالْفِكْرَةِ وَصَاحِبِهَا مَعًا»

حسن البنا

«مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ

وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»

أبو بكر الصديق

تباينت الآراء في شخصية حسن البنا تباينًا شديدًا، حدث ذلك في حياته وبعد مماته، رفعه إخوانه ومريدوه إلى عنان السماء، ومنحوه من الصفات والألقاب ما لم يبل بعضها كبار صحابة رسول الله، نجد كلاً من الصحابة حمل صفة عرف بها وميزته، أول الراشدين أبو بكر هو «الصديق» وعمر بن الخطاب هو «الفاروق»، أما عثمان بن عفان فهو «ذو النورين». وابن عم الرسول علي بن أبي طالب هو «الإمام» هلما ما منحه جماعة المسلمين الأولى لأشخاص لازموا رسول الله، هم رموز الإسلام، أما حسن البنا فهو العالم الرباني .. الرجل القرآني.. اللهم الموهوب.. أسناده الجميع في كل شيء.. إمام أنقذ أمة.. وهكذا تتوالى الصفات والألقاب.

أما خصومه فقد منحوه ألقاب مقابلة، منها: الدجال المشعوز .. بلا مبدأ يتخالف مع الكل.. وحين انشق عليه أحمد السكري رفيق دربه لم يردد في أن يصفه بالكذاب. وقال عنه عدد من الكتاب الوفدين، وبينهم كُتّاب لا يستهان بهم بأنه «الأسبوتين» مصر. أما العقاد فقد انهار عليه بطريقته الحادة والعنفية ليجرده من كل

شيء، حتى من جذوره الإسلامية. إذن أين حسن البنا بين هذين الفرقتين؟ وكيف نفهمه؟ أقصد نفهم شخصيته وبناءه النفسى والإنسانى ورويته لذاته... ويجاول البعض أن يفهم حسن البنا وبجاسبه وفقاً لمفاهيم لم يعتنقها حسن البنا نفسه ولا أمر بها، مثل التساؤل أو القول هل كان ديمقراطياً؟!، فلنحاول أن نفهمه في إطار ظروفه الخاصة وقناعاته التى ارتضاها لنفسه وعمل عليها طوال حياته.

حسن أحمد البنا، ابن أسرة مصرية بسيطة، ولد في مطلع القرن العشرين، وقد روى والده وهو يرثيه أنه دخل البيت مرة، حين كان حسن لا يزال طفلاً صغيراً، بنام بجوار والدته، ووجد حية قريبة من رأسه، لعله كان يقصد ثعباناً، وظهور حية على هذا النحو يكشف المدى المتواضع في البيت، ونال قسطاً محدوداً من التعليم، لم يتمكن من دخول الأزهر لأنه لم يتمكن من حفظ القرآن الكريم، وكان ذلك هو الشرط الوحيد لدخول الجامع والجامعة العريقة، ثم درس في تجهيزية دار العلوم، في ذلك الوقت كان هناك ثلاثة مستويات للدراسة بدار العلوم، أداها أو أضعفها علمياً كان التجهيزية التى درس بها حسن البنا، وهو كذلك لم يهتم بجمع الحياة العادية من مأكّل وملبس ومسكن، حكى محمود عساف إنه كان عائداً معه ذات مساء من مقر المركز العام، وكان بيت عساف قريباً من بيت المرشد، فساراً معاً وما أن اقترب من بيت المرشد، حتى قال له إن زوجته وأولاده ذهبوا إلى الإسكندرية لزيارة خالهم وأنه يبيت وحده الليلة، ودعاه إلى المبيت معه، فتوجى عساف أن المنزل مفروش بالحصى، ليس فيه سجاد، وارتدى واحدة من بيجامات المرشد، ولما تهيأ للنوم قال له الأخير إن هناك غرفة بالنزل فيها سريران، يبدو أنها غرفة الأطفال، وقال له إنها مليئة بالبق؛ ولذا الأفضل أن ينام إلى جواره في سريره، وهكذا حياة بسيطة وفقيرة إلى أقصى حد.. وكان تحت تصرفه أموال الجماعة التى ازدادت وربت وكان يدفع رواتب وإعانات ثابتة للبعض، مثلاً ذكرت مرة السيدة جيهان السادات في حوار معها إن حسن البنا كان يرسل مبلغاً ثابتاً كل شهر إلى «إقبال» أى زوجة السادات الأولى، وقد ذكر



السادات، نفسه، هذه الواقعة بعد قيام ثورة يوليو، وذكر محمود عساف إنه كان يدفع مكافآت ثابتة لعدد من المخبرين الذين كان يزودهم بمعلومات يقدمونها لجهات الأمن، ومع ذلك لم يقترب حسن البنا من هذا المال في حياته الخاصة، صحيح أن أحد السكري تساءل ذات مرة كيف يتفق حسن البنا على ثلاثة بيوت. ومن أين له ذلك.. «بيته هو» فضلاً عن بيت الوالد والوالدة ثم إخوته.. لكن الواقع أن السكري قال ذلك تحت الغضب، فهناك بعض إشارات إلى أن أسرة زوجته، «عائلة الصولي» بالإسماعيلية كانت تساهم ماليًا في بيت ابنتهم زوجة حسن البنا.

وفي إدارته للجماعة كان قابضًا على كل شيء، وينشغل بكل كبيرة وصغيرة، حين انشغل عليه جماعة شباب محمد، وكذلك أحمد السكري وجهوا إليه اتهامات بأنه لا يعمل بمبدأ الشورى، وأنه يعلن أن الشورى اختيارية للمحاكم أو القائد، يعملها أو لا يعملها، أى ليست ملزمة له، وأنهم ضجوا من أسلوبه، ولكن يبدو أن الأمر كان أكبر من ذلك وبمنطق آخر لديه، يكشفه محمود عساف في مذكراته، حيث يقول «كان الإمام الشهيد إذا وقع اختياره على شخص ما ليكون مساعدًا له أو أمينًا على سر من أسرار الدعوة، يختبره أولاً في إخلاصه وصدقه، ثم يتبين له بالتجربة معه ما إذا كان صالحًا أو غير صالح للعمل الذى يوكل إليه، فإذا نجح يختبر مرة أخرى ليتعرف على قدرته على تحمل المسؤولية وعلى الإخلاص والصدق في النصيحة»<sup>(١)</sup>.

ثم يقدم عساف تفاصيل الاختبار «كان يسأل الشخص المرشح سؤالاً: هل إذا حدث انقلاب في الإخوان وأبعد حسن البنا، هل تظل تعمل في الجماعة؟» ثم يقول عساف «كان هذا السؤال يلح عليه حيث انشغل بعض الإخوان من قبل معارضين فكر الجماعة، مثل شباب محمد وغيرهم». ويعلق محمود عساف على موقف هؤلاء المشفقين بالقول: «لم يحس أمثال هؤلاء بمدى تجسيد الدعوة في شخص حسن البنا وما أتم به خلقه الرفيع وسلوكه السوى المتزن. ومن كان مثاهم فإنه يجيب بأن

(١) محمود عساف، مرجع سابق، ص ٦١.

الدعوة باقية، وحسن البنا زائل ولعل هذا يكون رداً معقولاً لصاحب التفكير السطحي. فيقول له الإمام: وماذا لو حدث ذلك في حياة حسن البنا؟».

والواضح، من كلمات محمود عساف، أن حسن البنا كان يتخوف من حدوث انقلاب عليه من داخل الجماعة.

ترى هل يمكننا القول إن ذلك التخوف الذي داخله، هو ما جعله يبلغ في سرية التنظيم الخاص، حتى أنه أخفى أدق أموره عن كثيرين داخل الجماعة، بمن فيهم بعض المقربين منه، وأن اختبارات السرية والولاء الشخصى له، كان من ورائها الاطمئنان التام لهم، وأنهم يمكن أن يتفادوا ما يأمرهم به، ذات يوم، حتى لو كان ضد أقرب المقربين، هل خطر في بال حسن البنا أنه قد يضطر يوماً أن يستعين برجال التنظيم وعملياته الإبراهيمية ضد من يمكن أن يتمرّد عليه داخل الجماعة وخصيصاً له، وأنه لم يستبعد ذلك، وأن مهام التنظيم لم تكن تصفية خصوم الداعية والدعوة خارج الجماعة وفي الحياة العامة فقط، بل تصفية الخصوم داخل الجماعة، إذا ظهروا يوماً ما..

عموماً يبدو أن ذلك التخوف الذى يشير إليه محمود عساف صراحة، هو ما جعل المرشد العام، بكل ما لديه من قدرة على التحدى والراوغة يسلم بكل مطالب جماعة شباب محمد، حين هموا بالانفصال عن الجماعة، إذ وافق على إعطائهم «مجلة التنذير»، كان يريد أن يتخلص منهم سريعاً، حتى لا يتحولوا إلى عدوى تنتشر داخل الجماعة، خاصة أن ملاحظاتهم عليه كانت مخيفة، ولم يكن بمقدوره الرد عليها، كانوا يرون ويعرفون كل ما يقوم به، خاصة في تعاملاته وعلاقاته السياسية، ولم يستطع الرد عليهم أو مواجعتهم، كانت الوقائع كاملة لديهم، وكانوا شهوذاً عليها.

غير جماعة شباب محمد كانت هناك مشكلة أخرى مع أحمد السكرى الذى كان الرجل الثانى فى الجماعة، وكان شخصية قوية، وله أنصار داخل الجماعة، ولم يكن موافقاً على «العداء الصليبي» الذى يجمّله حسن البنا للوفد، وكان يرى أن هذا العداء لصالح أطراف أخرى مثل الملك والإنجليز، وكان رآيه أن يتفرغ البنا للدعوة

والجماعة ويرك له هو المجال السياسى، وهذا ما لم يكن يقبل البناء مجرد التفكير فيه؛ لذا نرى به البناء واقعة عبد الحكيم عابدين، كان السكرى على رأس المطالبين بطرد عابدين من الجماعة، لكن البناء رد بفضل نهائياً من كل مستويات الجماعة، ويبدو أنه قرر أن يجعل الولاء له جزء من الإيمان والولاء للجماعة، ويشرح محمود عساف تجربته في هذه التجربة، حين قرر حسن البناء أن يختاره معه «أميناً للمعلومات ومظلاً على أسرار النظام الخاص». فطرح عليه السؤال نفسه، حول ماذا لو حدث انقلاب على حسن البناء وكانت إجابة عساف «إن دعوة الإخوان المسلمين بغير حسن البناء ستكون شيئاً آخر غير دعوة الإخوان التى تعلمناها وعرفناها وتربينا فيها». ولم تكن الإجابة كافية للمرشد، لكنها لم تكن سلبية، لذا راح يشرح له وجهة نظره أو يقدم نظريته في ذلك «انظر يا محمود... إن الإيمان بالإسلام يقوم على شهادتين: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا تصلح الشهادة الأولى وحدها ليصير الشخص مسلماً. ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم يتجسد الإسلام فى شخصه، ويمكن الإحساس به فى خلقه وسلوكه ﷺ. فإذا آمن الشخص بالآله إلا الله، ولم يؤمن بأن محمداً رسول الله، فهو كاهل الكتاب الذين يؤمنون بالله فقط، ولا يعترفون برسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وما ينطبق على الإسلام ينطبق على الجماعة أو الدعوة كما كان يسميها، وما يتعلق برسول الله ﷺ فى الدين يتعلق به هو أيضاً فى الجماعة، إذ يقول «يجب أن يكون الإيمان بالفكرة وصاحبها معاً، فلسنا جمعية ولا تشكيلاً اجتماعياً. إن كنا كذلك فلا أهمية للقائد، ويمكن أن يكون أياً من أعضاء الجماعة أو الجمعية أو التشكيل. أما ونحن دعوة فلا بد من الإيمان بها والسير على نهج داعيتها والعمل على تطبيق أفكاره حتى انتفعنا به عن رضا»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمود عساف، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ولعل هذا يفسر لنا إصرار حسن البنا على رفض الحزبية والأحزاب، فللمعزب رئيس ينتخب لفترة محددة، ثم يعاد انتخابه وقد يتقدم غيره عليه، وهو معرض لأن يختلف معه الأعضاء، أما حين تكون المسألة دعوة وداعية، فلن يكون خروج عليه دون الكفر، ولذا أطلق على مذكراته «الدعوة والداعية» وربط بينهما تمامًا وجعل كل منهما مكتملة للأخرى، فلا دعوة بلا داعية، ومن الناحية العملية تصبح الدعوة هي الداعية أو مجسدة فيه، وهذه الفكرة من الناحية الإسلامية تنتمي إلى الفقه والفكر الشعبي في القام الأول، وما قاله البنا للصباغ يذكرنا بما كان سائدًا في الحزب الشيوعي السوفيتي زمن ستالين تحديدًا، فقد كان الإيمان بزعامة ستالين تساوى الإيمان بالنظرية الماركسية والعكس صحيح.

والواقع أن حسن البنا لم يكن رجل فقه ولا فكر، بل كان رجل عمل وحركة في القام الأول، هو في الميدان دائمًا، وما يقوله عن تجسد الدعوة في شخص الداعية نكتشفه في مذكراته، حين قرر أن يختار نائبًا له في الإسمايلية يحمل محله إذا ما انتقل إلى القاهرة، وكان الإخوان يلحون عليه في ذلك، يقول «أريت الفكرة وجهية، فشتغلني حينًا، وأخيرًا رشت هذه المهمة أحدهم، وهو الأخ الشيخ على الجداوى، وهو من أفضل الإخوان خلقًا ودينًا وعلى قدر مناسب من العلم والمعرفة، حسن التلاوة لكتاب الله، جيد المشاركة في البحث، دائم الدرس والقراءة، مع أنه من أسبق الناس استجابة للدعوة ومن أقربهم إلى قلوب الإخوان»<sup>(١)</sup>.

والواضح أن هذه الصفات كلها حددتها وقررها البنا نفسه، لكن كان هناك من لم يسترح لهذا الترشيح والاختيار، فالشيخ الجداوى «نجار» وطلب إليه المرشد أن يترك مهنته ويتفرغ ليكون إمامًا لمسجد الإخوان. «فيقول المرشد» أؤمن بفائدة التفرغ للعمل «وتقرر أن يمنح مكانة شهرية تكفيه من «مال الدعوة».

(١) راجع مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٥١.

المرشد يختار ويقرر وحده ويهاجم من يعترض، وكان هناك من أبدى اعتراضاً على اختيار المرشد، أتى على الشيخ الجداوى ويقول هو عن ذلك الذى اعترض «هو يرى نفسه أكفأ وأعلم وأقدر وأكثر أهلية لهذا المنصب من هذا التجار؟ وأبى الشيخ على الجداوى فى علمه وموهبته من فضيلته، وهو يحمل شهادة العالمية من جهة ويحسن قرض الشعر ويجيد الخطابة والقول ويعرف كيف ينشر الدعوة ويتصل بالناس...»<sup>(١)</sup>

اعترض هذا الرجل، وطعن فى اجتماع الجمعية العمومية، ووجد بين أعضاء الجماعة من يناصره فى موقفه، فاعتبره المرشد منأمر وأنه ومن معه يحدثون فتنة فى الجماعة، والواضح أن الشيخ الجداوى نال ثقة المرشد، بينما الآخر لم يكن يتمتع بهذه الثقة، رغم أن الشروط الموضوعية تقول إنه الأصلح وربما الأكفأ.. ولو أن المرشد لم يكن استبدادياً ولا متسلطاً ولا يوحد الدعوة فى شخصه، لفتح باب الترشيح أمام الجميع ولوضع شروط للمرشح، لكنه اختار وقرر ثم عرض الأمر على الإخوان ونال موافقتهم، إنه تصرف دكتاتورى بحت، ولننظر كيف تعامل المرشد مع المعارضين وكيف يتحدث عنهم. يقول «لم أرد أن أؤاخذهم بقسوة، أو أعاجلهم بعقوبة، أو أباعد بينهم وبين إخوانهم بإقصاء، أو فصل، ولكنى أثرت التى هى أفضل وأجمل»<sup>(٢)</sup>.

سوف نلاحظ أنا «الأنا المنفردة» حاضرة هنا بقوة، فهو الذى يقسو ويعاقب وهو صاحب قرار الإقصاء والفصل، لن نجد مجلساً للإدارة أو للشورى يتخذ القرارات أو جمعية عمومية، ولن نسمع منه أن هناك تحقيقاً ومحققين يحال إليهم هؤلاء الأعضاء، ولا شؤوناً قانونية تتولى الأمر، هناك شخص واحد فقط .. سلطة واحدة... قرار واحد، يتخذه المرشد حسن البناء.

(١) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٤.



سوف نجد ما يشيقت اقتناع المرشد وحرصه على أن يمسك بكل الأوراق بين يديه، في رسالة من رسائله، تعود إلى ٢٤ من صفر ١٣٥٨ هـ ٣ أبريل ١٩٤٠ م، يبعث بها إلى «أخي الحبيب أحمد أفندي» ويتحدث إليه باستفاضة على الورق قائلاً «سأنتي لماذا؟ ولماذا لا أتفرغ للمهمات الأهم وأدع المهمات الصغيرة... إلخ! ومثل هذه الأسئلة تثير في نفسي شجناً كامناً وألماً فظيماً. ليس أحب إلى نفسي من هذا التفريغ ولكن هذه المهام الصغيرة نفسها هي الآن مشكلة دعوة الإخوان ودارهم ومحور حركتهم إذا لم ألاحظ الطبيعة والجريدة والدار والنظافة والاستقبال وحسن النظام فمن يلاحظ هذا؟!».

وبحاول حسن البنا أن يتوسع في الإجابة ليقول لأحمد أفندي «أنا أعلم جوابك استقول لي (أنا) أو مثلي، جميل جداً». ثم يواصل الشرح والإضافة «أحب أولاً أن نتفق على أهمية هذه الشؤون الصغيرة التي نراها نحن فعلاً صغيرة فالأذان ليس إلا جزئية من جزئيات الدين الهينة ولكنه يقاتل عليه وإذا لم يجد الإمام مؤذناً فهو المؤذن - أليس كذلك؟ - ونحن نريدها دار يسودها النظام وعملاً تهيمن عليه الدقة». ثم يضيف «أحب أن نتفق أيضاً على أن الموظف وحده لا يكفي للقيام بهذه الأمور لأنه يحتاج إلى من يراقبه لأمرين: لقلة الاهتمام المركز في نفوس الناس جميعاً ولقلة الدراية والخبرة والكفاءة، وإذاً فلا بد من رأس دقيق يشرف على كل هذه الشؤون»<sup>(١)</sup>.

نحن نجد رجلاً مشغولاً بالتفاصيل ويرى أنه هو وليس أحد غيره يتابعها ويشرف عليها، وعنده لا تقل الفروع أهمية عن القضايا الرئيسية، ومظاهر الدعوة لا تنفصل عن جوهرها، ولا بد من رأس يشرف ويتابع كل هذا، والمعنى أنه هو...

(١) د. عبد العظيم المطعني: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية، ص ٧١، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٩ م. ولم يحاول د. المطعني القيام بدراسة هذه الرسائل وتحقيقتها لمرة أسماً وشخصيات من تبادل معهم البنا هذه الرسائل وما تشير إليه تلك الرسائل من قضايا.

ذلك الرأس، والأخطر من ذلك أن المرشد يكشف عدم ثقة الآخرين، حتى الموظف المبنى لعمل ما، لا بد من مراقبته، ليس شكاً فيه، لشخصه، لكن لأن الناس جميعاً - كذا - يتمتعون بثقة اهتمام، وذلك مترکز أو مترسب في نفوس الناس جميعاً، وكأنهم خلقوا هكذا، وهم أيضاً بلا دراية ولا خبرة، ولا بد أن يكون هناك شخص وإنسان استثنائي، يختلف عن الناس جميعاً ويتميز عليهم جميعاً، وهذا الرجل الاستثنائي - هنا - هو المرشد، سوف نلاحظ أنه يقطع في رسالته أن أحداً لا يمكنه القيام بتلك الهام سوى واحد من اثنين، المرشد ومن يتحدث إليه، وأتصور أنه ذكر من يتحدث إليه من باب المجاملة أو اللباقة في الكلام، لكن تفاصيل الرسالة تقول إنه هو وحده الذي يجب أن يجمع كل الأمور بيديه، أمور الدعوة وحتى الإشراف على شؤون مقر الجماعة!! إنها مرة ثانية تجسد الفكرة والدعوة كلها وأمر الجماعة في شخص واحد فقط.

### ★ ★ ★

حين وقع الخلاف داخل الجماعة بين المرشد الثاني المستشار حسن الحضيتي وعدد من رجال الإخوان، انفصلوا عن الجماعة، وتحديداً قام المرشد الثاني بتوقيع قرار فصلهم، في البداية كانوا أربعة وكان من بينهم الشيخ محمد الغزالي، الذي كتب مندباً بالمرشد الثاني وبطانته، كتب الشيخ الغزالي «قال لي ذات يوم، واحد من أقرب رجال المرشد إليه: إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته - جل شأنه؟ ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو في اتباع القائد اتباعاً مطلقاً!!»<sup>(١)</sup>، ويواصل الشيخ الغزالي القول «استدرك محدثي يقول: لا أعني بهذا أن أسوى بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحمل راية الدعوة، فأنا أضرب مثلاً فحسب»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: محمد الغزالي: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ص ٢٤٦.  
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويذكر الشيخ الغزالي واقعة أخرى وقعت في أحد المساجد «من المضحك أو المبكى أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يذكر أن الولاء للقيادة يكفر السيئات وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا المرشد العام عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة»<sup>(١)</sup>.

كان الشيخ الغزالي يذكر هذه الوقائع من باب التنديد بالمستشار حسن الهضيبي، لكن الواقع أن الهضيبي لم يكن مسؤولاً عن هذه الأفكار، ولا هو الذي بثها في أتباعه، لأن هؤلاء الأتباع تربوا في الجماعة وكانوا فيها قبل أن يصبح الهضيبي مرشداً عاماً، ولم يكن الهضيبي صاحب كاريزما أخاذة حتى يؤثر في الأعضاء على هذا النحو خلال عامين فقط، هؤلاء تربوا في مدرسة حسن البنا وتشربوا آراءه وأفكاره، وما ذكره أحد القريبين من الهضيبي للغزالي وإن لم يذكر اسمه، هو نفس الذي سمعه محمود عساف من حسن البنا، قبل ذلك بسنوات وربما بالحرف وبالكلمة، والمعنى أن هناك مناخاً عاماً في الجماعة خلقه حسن البنا من تفرد المرشد بكل شيء، وأكد أقول تقديسه، إنها السلطة المطلقة، حين تلتفت بآراء وأفكار دينية، وتنتهي عملياً أن تتم مساواة المرشد بالرسول ﷺ، فإن كان الإسلام لا يصبح بدون الشهادة بنوة محمد وأنه رسول الله، فكذلك لا يصبح الانتفاء إلى الجماعة واعتناق أفكارها، إلا بالإيمان بشخصية المرشد العام، وسوف نجد أنهم لا يستعملون للحديث عن الجماعة، مصطلح الجماعة، بل يقولون «الدعوة» رغم أن هذا المصطلح ينسب تاريخياً إلى رسول الله ﷺ، وظلال المعنى تبقى في النفس حتى وإن استعمل المصطلح في غير سياقه.

ونعرف من مذكرات د. عبد العزيز كامل أن المرشد الثاني حسن الهضيبي، هاله ضعف المستوى الثقافي والفقهى الذي عليه معظم أعضاء الجماعة، وأنه لذلك استعان

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

بالشيخ محمود شاكر ليعلمهم وينقشهم، فلم يوقرو، ولم يحتمل هو جهلهم، فتركهم يائسا منهم، متخليًا عن المهمة التي أراد منه المستشار القيام بها، هؤلاء كانوا هم من «اختارهم ورايهم» حسن البنا بنفسه..

والواقع أن نفر من المحيطين بحسن البنا تشرّبوا كلامه عن نفسه وأوغلوا في فهمه، حتى لم نجد أحداً منهم يوجه كلمة انتقاد واحدة للبنا، لم يشعر أى منهم أنه ارتكب خطأ ولو صغيراً، يهاجمون عبد الرحمن السندى وما قام به، وينسون أن حسن البنا هو الذى صنع السندى وأطلق يديه، قد يكون ارتكب بعض الشطط، لكن البنا هو من وضعه على الطريق وأطلق له العنان.. وإذا كنا وجدنا كتاباً للأطفال عن البنا يحمل عنوان «حسن البنا .. مؤسس الدعوة الإسلامية» فهذا يكشف نظرهم إليه، ولنتأمل أحد أعضاء التنظيم الخاص، وهو أحمد عادل كامل وهو يصف حسن البنا بقول «لم يكن رضى الله عنه بالطويل ولا بالقصير وإن كان إلى القصر أقرب. ولم يكن بالرفيع ولا بالسمين وإن كان ممثلاً ربياً، ولم يكن أبيض ناصع البياض ولا أسمر يتّين السمرة ولكنه كان سواء بين ذلك»<sup>(١)</sup>.

ثم يقول أحمد عادل كامل «لم يكن فيه أى شيء غير عادى.. ولكنه وبكل تأكيد كان فيه سر غير عادى ليس من السهل أن تدرى ما هو»<sup>(٢)</sup>.

هذه اللغة وتلك المقدرات ليست معاصرة، لكنها تذكرنا بكتاب السيرة في زمن البعثة النبوية، حين كان يصف بعضهم رسول الله ﷺ أو بعض الصحابة، لكن عصرنا مختلف، لم يعد مقبول أن نقول عن أحد إنه ليس بالطويل ولا بالقصير، فلدينا مقاييس الآن لتحديد الطول .. متوسط الطول.. أميل إلى القصر وهكذا.. بل الأدق من ذلك كله أن يذكر طول الشخص طبقاً للقياس، وهو المتبع، فنقول طوله ١٧٠ سنتيمتراً مثلاً.. ثم يقول عنه «ليس في الإسلام واسطة بين العبد وربّه وليس فيه

(١) راجع: أحمد عادل كامل: النقط فوق الحروف، صفحة ٧٨، ط ٢، سنة ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

كهوتية، وليس عندنا رجال دين يغفرون للمذنبين ويبيعون فدادين الجنة للصالحين، ولكننا إزاء «إمام» قل نظيره بين أئمة الهدى النادرين في أرض مات أحيائها وضل أصحابها». ويصل إلى القول «ولقد كان موفقاً يوم اختار لنفسه لقب (المُرشد العام للإخوان المسلمين) فقد كان يهدي حقاً إلى الرشد»<sup>(١)</sup>. وليت ذلك الأخ تذكر قول الله تعالى لرسوله الكريم «إن الله يهدي من يشاء»، لكنه لا يتذكر ولا يتوقف! إذ يقول عن حسن البنا كذلك «...يصغر الواحد منا في نفسه كثيراً ويحس أنه لا شيء أمام عملاق ضخّم صنعه الله على عينه واصطعنه لدعوته فلا يجد أحداً حرّجاً ولا غضاضة أن يقر أنه في حاجة إلى هذا الرجل ليرشده»<sup>(٢)</sup>.

هذا مجرد نموذج من الكتابات عن حسن البنا، لا أريد أن أتوسع فيه، عند أحد عادل كامل وعند آخرين من إخوانه، تشعر معها أنك بإزاء حالة من التأليه، وأنهم يريدون تنزيه شيخهم وإمامهم عن كل ما هو إنساني، «والحقيقة أن حسن البنا يتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية عن هذا كله، فكل الذين حاولوا إبداء آراء مخالفة لأرائه أطاح بهم خارج الجماعة بسرعة شديدة وقسوة بالغة، كما فعل مع أحمد السكري ود. حسن إبراهيم وآخرين، ولم يبق حوله إلا أولئك الدراويش والمريدين.. الشهورين الذين لا يملكون سوى الانبهار به والتسبيح بفضائله وكأنه نبى مرسل من عند الله وليس فرداً حاول أن يجتهد فيصيب ويخطئ.

ولأن الشيخ البنا كان محاطاً بمجموعة من المبهوتين أو المنسحقين أمامه، ومعظمهم كانوا شباباً صغاراً، وبلا عمق أو تفقه في علوم الدين، فلم يجد من ينهيه إلى خطورة ما يقوم به وما يفعله، صحيح أن الله تعالى جعل شهادة أن لا إله إلا الله تكتمل بشهادة أن محمداً رسول الله، لكنه لم ينتبه إلى عدة أمور، أن الشهادتين تؤسسان ديانة وتقيمان عقيدة، وأن محمداً ﷺ حين طلب من أتباعه الشهادتين لم يكن

(١) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.



يأتي بشيء من عنده ولا من هواه ولا كان يريد زعامة لنفسه، بل كان يتفد أمرًا إلهيًا، نزل به الوحي وسجله القرآن الكريم في أكثر من آية..

وقد تعرض المسلمون لاختبار قاس في هذا الصدد، شاء الله به أن توضع النقاط على الحروف، فحين توفي رسول الله، أخذ الحزن بمجامع المسلمين، ولم يتصور بعضهم أن يغادرهم النبي، هكذا بسرعة، فلم يكن النبي حين انتقل إلى الرفيق الأعلى عجزاً ولا كان مستأً، كان مريضاً وكانوا ينتظرون له الشفاء من الله، وكانوا يتوهمون الشفاء العاجل، لكن حل قضاء الله، فغضب من غضب، ووجدنا عمر بن الخطاب يحمل سيفه ويعلن: من قال إن الرسول مات ضرب رأسه بسيفه، وكادت أن تحدث الفتنة، إلى أن جاء أبو بكر الصديق.. الحكيم الحاسم، والذي رافق الرسول طوال رحلته وتشرب روح الدين والعقيدة، فوقف يخاطب المسلمين في صلاة، ويضع مبدأ ناجحاً.. من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.. والمعنى أن الإيمان بالله باق وأن المطلوب في الشهادتين هو الإيمان بنبوته محمد ورسالته وليس لشخص محمد ﷺ، فيما بعد حين انقضت تلك الأزمة، راجع أحد الصحابة عمر بن الخطاب فيما بدر منه لحظة وفاة النبي، فقال عمر كما جاء في تاريخ الطبري «كانت فتنته وقانا الله شرها» لكن فتنه حسن البناء لم تجد من يكشفها في البداية، لم يراجع أحد من المحيطين، وهو لم يذكر ما ذكره لمحمود عصف علناً وأمام الكافة، لعل أحد من العلماء يناقشه ويصحح له، كان ذلك التصور لديه عن دوره هو، وأهمية الإيمان به، جزءاً من عالمه الخفي، والباطن؛ لذا ظل يشتر في صمت بين أتباعه، حتى ظهرت تحدياته عند المرشد الثاني حسن الفضيس مع عدد من إخوانه، وروى الشيخ محمد الغزالي ما رواه، وإلى اليوم لم يحدث فصل بين الدعوة وصاحبها، وتلك واحدة من أسباب ضعف وعثرات جماعة الإخوان إلى اليوم، فلم يخرجوا بعد، من عبادة حسن البناء، وليسوا قادرين على ذلك حتى الآن.

## الْقَضَاءُ الثَّانِي عَشْرِينَ

### من الشهيد ومن القتيل ؟

في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م أصدر محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، بعد أن ثبت لديه ولدى حكومته وجهاز الأمن أن الجماعة وراء التفجيرات وأعمال العنف التي تمت في الفترة التي سبقت اتخاذ قرار الحل، وأبرزها اغتيال المستشار أحمد الحازندار واغتيال اللواء سليم زكي، فضلًا عن تفجير شركة الإعلانات الشرقية وغيرها وغيرها...

وأقيمت للنقراشي جنازة حاشدة بدا فيها تأثر شباب الحزب الحزب السعدى لمصره، واعتبروه شهيداً، كان النقراشي أحد أبطال ثورة ١٩١٩م وحكم عليه الإنجليز بالإعدام، لكن لم يتم تنفيذ الحكم، وكان مثلاً للجهاد وللنزاهة، ثم انشق عن الوفد هو وأحمد ماهر معتبرين أن النحاس باشا يخرج في زعامته للحزب عن خط الزعيم سعد زغلول وأسساً معاً الحزب السعدى، وكان ماهر قد اغتيل سنة ١٩٤٥م، وهكذا جاءت جريمة اغتيال النقراشي لتجدد الأحرار؛ لذا كان الإخوان قد أطاحوا برأس مطالبين بالانتقام والثأر دم يدم.. رأس برأس، وإذا كان الإخوان قد أطاحوا برأس الحزب السعدى، فيجب أن يطاح برأس الإخوان حسن البناء، ولكي نعرف حجم فجيعة السعديين فقد أصدر أحد شباب الحزب وهو نظمي لوقا كتاباً بعنوان «ريحانة الشهداء» قدم له عباس محمود العقاد، وذهب نظمي لوقا إلى حد مقارنة استشهاد النقراشي باشا في مبنى وزارة الداخلية، بين ضباط الأمن ورجاله، بما حدث للحسين بن علي وسط أتباعه يوم كربلاء.. الكتاب أصدره الحزب وهو يفيض حباً ولوعة لما

جرى لرعيهم ومؤسس الحزب: النقراشي باشا، والمعنى أن الهتافات التي جرت يوم الجنازة لم تكن تعبر عن انفعال طارئ أو حزن عابر، بل عن رغبة حقيقية في التآمر والانتقام، وقد ازداد الشعور بعد ذلك حين جرت محاولة لاغتيال حامد جودة (باشا) وهو لم يكن سعديًا فقط، بل كان من أقارب النقراشي، أى أن الأسرة بكاملها مستهدفة، فيما بعد تبين أن محاولة اغتيال جودة قام بها التنظيم الخاص، وأنهم أخطؤوا السيارة، فقد كان المقصود إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الذي خلف النقراشي وكان أيضًا سعديًا.. أى أن الحزب بكامله مستهدف من التنظيم الخاص الذي أسسه حسن البنا.

الوحيد، داخل الإخوان، الذي أدرك خطورة الأمر وأن شلال الدم بدأ، هو حسن البنا نفسه، وأدرك أنه هو نفسه المستهدف، فقد ازداد أهدأؤه وبدأ للكثيرين، خاصة داخل جهاز الدولة، المسؤول الأول عن هذه الجرائم، حاول البنا التوسط إلى كل من أمكن له الوصول إليه، راجيًا حيتًا ومستعطفًا حيتًا وبأكث مرة ثالثة، لكن لم يجد أى استجابة، فقد فات ميعة التوسلات ولم يعد هناك مكان للدموع، لقد فتح أبواب جهنم وتصور أن مفاتيحها بيديه، وخانه ذكاؤه، فالمرء يمكنه أن يشعل النار، لكن ليس بالسهولة نفسها يمكن أن يطفئها ولا أن يجدد ما الذي سيصيبه، وأين تنقف؟! تبنى البنا أن يتم اعتقاله، وطلب ذلك من بعض من سعى لديهم، ولعله تصور أن الاعتقال يمكن أن يهدئ الأمور وأنه قد ينجيه من دعوات التآمر والانتقام التي باتت موجهة لديه.. وفي الأيام الأخيرة اشتد به الخوف بعد أن تم سحب مسدسه المرخص. ولنا أن نساءل كيف لشيخ أن يحمل مسدسًا مرخصًا في مدينة مثل القاهرة؟! ولذا أقدم على خطوته الأخيرة بأن أصدر بيانًا يدين فيه قتل النقراشي، حمل عنوان «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين»، فأضاف إلى كارهيه فريقًا جديدًا هم أولئك الذين اتهمهم في عقيدتهم الدينية وقال عنهم «ليسوا مسلمين»، وهم من داخل جماعته ومن التنظيم الخاص الذي أسسه وأشرف عليه هو نفسه.

بعد اغتيال النقراشي بشهر ونصف الشهر جرى اغتيال حسن البنا وهو يوم  
يتركب الناكسي في شارع الملكة نازلي - رمسيس حالياً - أمام مقر جمعية الشبان  
السلمين وعلى مقربة من مقر نقابة المحامين والصحافيين، الرصاص الذي أطلق على  
البنا لم يقتله، لذا تم نقله إلى مستشفى قصر العيني لمحاولة إنقاذه، لكن لم تتم  
الحجالة، فقد مات في نفس الليلة، وقد تولت النيابة العامة التحقيق في الحادث فور  
وقوعه، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بيومين فقط، أي يوم ٢٥ يوليو، وقبل أن  
يتنازل الملك فاروق عن العرش بيوم تم استدعاء المتهمين وأعيد التحقيق وصدر  
الحكم على الحجة في ٢ أغسطس ١٩٥٤م، من قاموا بالاعتداء على البنا نعرفهم، لكن  
إلى اليوم وبعد مرور ٦٣ عامًا على الحادث فإننا لا نعرف على وجه التحديد من كان  
وراء العملية.. من أمر بها.. من كلف التنفيذ؟!

وفي الجرائم السياسية قد لا يكون الفاعل المباشر هو العنصر الأهم في الجريمة،  
ربما يكون الأقل أهمية، الفاعل المباشر هو المهم من الناحية الجنائية فقط، وهو غالبًا  
بئال عقوبة المقررة بنصوص القوانين، لكن الأهم بعد ذلك هو من فكر وخطط..  
وقبلها من قرر تصفية المراد تصفيته وأمر بالتنفيذ.. وهناك جرائم سياسية كثيرة في  
التاريخ وفي معظم البلدان، لم يعرف - بعد - على وجه التحديد من كان وراءها،  
أما حالة اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي الذي اغتيل سنة ١٩٦٤م،  
والقاتل «أندروالد» معروف منذ لحظة وقوع الجريمة وتم الإمساك به واعترف  
وعوقب، لكن من حرضه؟ من وقف وراءه ودفعه إلى اغتيال رئيس أكبر دولة؟  
ولماذا؟ هذه كلها تساؤلات بلا إجابة حتى هذه اللحظة، رغم صدور أكثر من عشرة  
آلاف كتاب تحاول البحث في هذا الموضوع.. هناك أيضًا عملية مصرع الأميرة ديانا  
والشاب دودي الشايد داخل سيارتهما، ظاهر الأمر أنه حادث سيارة عادية وقع لها  
داخل النفق، ومع ذلك تشير معظم الدلائل إلى أن الحادث مبرر، ولم يعرف إلى اليوم  
من وراء تلك العملية، ويبدو أنه لن يعرف خلال السنوات القادمة.

حالة حسن البنا واحدة من هذه الحالات، وأغلب الظن أننا لن نعرف - على وجه اليقين - من كان وراء العملية، خاصة أن كل الأطراف وقتها في ذمة الله الآن، ما لم تظهر وثيقة تشير إلى ذلك بوضوح، وقد لا تكون هناك وثيقة أو وثائق، لأن الجرائم من هذا النوع، أو ما يعرف بالجريمة الخفية، يكون التكليف بها والتخطيط لها شفويًا وليس بناء على عقد موقع أو تكليف كتابي، وقد يكون التكليف الشفوي ليس مباشرًا، بل بالرمز والتلميح دون القول الصريح، وربما يكون التوجيه بشفرة معينة، يفهمها المكلف بالعملية.

عدم الوصول إلى من وراء اغتيال البنا يعود إلى أكثر من سبب في مقدمتها شخصيته هو، وطبيعة مسلكه وممارساته السياسية، وتعدد أوجهه.. فقد كان له أكثر من وجه:

الأول: وجه الشيخ أو رجل الدين، صحيح أن حسن البنا لم يكن فقيهاً ولا عالماً قدم اجتهداً في حياتنا العامة أو الخاصة، لكنه حمل راية الإسلام .. «القرآن دستورنا..»، كان داعية وخطيباً قادراً على اجتذاب الجمهور، خاصة من ذوي الثقافة الدينية المحدودة.

الثاني: السياسي، وقد كان الرجل سياسياً بالمعنى الكامل للكلمة، وإن شئنا الدقة كان سياسياً بالمعنى الرديء للكلمة، كان براجماتياً إلى حد الانتهازية، وكان متقلباً في تعاملاته وارتباطاته، نسق مع الوفد واستفاد من حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م، ثم انقلب عليهم، أيد إسماعيل صدقي وهتف له طلاب الإخوان في الجامعة وساند حسن البنا اتفاق صدقي - بيغن، الذي رفضه أغلب المصريون، أيد النشراشي باشا ثم انقلب عليه وقتله رجاله.

الثالث: كان للرجل ظاهر وباطن، وكل منهما يتناقض الآخر، لم يمدح أحد الملك فاروق قدر امتداح حسن البنا له، ولم يعلن أحد تأييده للعرش كما فعل هو،



حين توفي الملك فؤاد سنة ١٩٦٣م نعتته مجلة الإخوان بعبارات جاء فيها «مصر تنفذ اليوم بدمها في الليلة الظلماء، ولا تجد النور الذي اعتادت أن تجد الهدى على سناه» وتساءلت المجلة التي كان يشرف البنا بنفسه عليها «من للفلاح والعامل من الفقير يروى غلته ويشقى عنته. ومن للدين الحنيف يرد عنه البدع. ومن للإسلام يعز شوكرته ويعلى كلمته. ومن للشرق العربي يؤسس وحدته ويرفع رايته؟»، وهذا الذي قالته المجلة لا يخلو من نفاق للديوان الملكي، فما قالته المجلة كان بعيداً عن صورة الملك لدى الشعب، لكن النعمي أقرب إلى كلام إنشائي وبلاغى، وإذا أخذناه بمعيار إنجازات الملك فؤاد وسياسته لوضعناه بضمير مستريح في خانة الكذب السياسي، ولكن ترتب على هذا النعمي أن دعى حسن البنا وإخوانه للمشاركة في استقبال الملك فاروق فور عودته من لندن، عقب وفاة والده، وتقدم البنا الهاقنين «هيك بيعتنا وأولادنا»، وفيما بعد منحت صحف الإخوان الملك فاروق الكثير من الألقاب والصفات مثل «حامى المصحف .. أمير المؤمنين.. فخر الشباب .. القدوة الحسنة .. الأسوة الحسنة..» وغيرها، ويحاول المرشد الثالث عمر التلمساني أن يبرر تلك المواقف بالقول إنهم كانوا في بداية حكم الملك بأملون فيه خيرًا أن يصلح حال البلاد، لكن التلمساني تناسى أن موقف الإخوان من الملك لم يتغير وموقف حسن البنا تحديداً، على الأقل في الظاهر وفي العلن، ظلوا ينهالون عليه بالثناء والديح، حتى وجدنا مجلة الإخوان المسلمين في نهاية حرب فلسطين الأولى تنشر صورة الملك غلافاً لها، وتحته عبارة أنها تنشر بمناسبة عودة «جيشه الظفر من فلسطين». وكان ذلك كذباً عتصاً.

سار حسن البنا خلف الملك، حين أيد الإنجليز أيدهم، ولما ترأس مع الألمان وعثر هتف لهم، وعندما صادق الأمريكان سعى إليهم، كل هذا لا يؤاخذ به حسن البنا، فمن حقه أن يساند الملك وأن يقف خلفه، لكنه منذ سنة ١٩٤٠م يسعى إلى

اختراق الجيش، وكان الملك يعد ذلك خيانة له، كان ضباط الجيش يقسمون على الولاء للوطن وللعرش وكان حسن البنا يأخذهم يقسمون قسمًا آخر، على المصحف والمسدس، كان البنا يخترق جيش مولانا الملك بخلايا سرية، فقد تحدث عبد اللطيف البغدادي أن حسن البنا أراد له وعدد من زملائه سنة ١٩٤٠م أن يتدججوا في جماعته ويصبحوا خلية لها داخل الجيش، ورفض البغدادي، لكن غيره لم يرفض فقد انضم بعضهم إلى الإخوان، باختصار في الظاهر أيد حسن البنا الملك تمامًا، كان ملكيًا أكثر من الملك، حتى أنه حين وقع حادث القصاصين للملك، قاد وفدًا من الإخوان إلى القصاصين لتسجيل تهينة بسلامة جلالته في سجل التشريفات، وعاد لتتجدد مجلته بعض الرعاء الذين لم يتحركوا إلى القصاصين، وهكذا تخريض سافر للملك وللديوان الملكي على هؤلاء الرعاء، وفي الباطن يسعى إلى اختراق الجيش.. ما بين الظاهر والباطن مسافة ضخمة وبونا شاسعًا، والواضح أن الملك اكتشف ذلك واتبه إليه ميكرا.

ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أنه أذكى من الجميع، وأنه سوف يخدع الجميع، لكن في لحظة اكتشف الجميع خطره، ركب سيارة اللواء سليم زكي لتهديئة النظارين، وبعدها ألقى طلاب الإخوان على سليم زكي قبيلة فقتلوه، ترك رجاله يقتلون الحازندار ثم أصدر بيانًا يأسى فيه لمقتل الحازندار وفي البيان كلمات مبطنة تعطى مبررًا للقتل، وحين حدثت المواجهة بينه وبين قائد التنظيم الخاص عبد الرحمن السندي أصر الأخير أنه أخذ أمرًا مباشرًا من المرشد بتنفيذ العملية، وتوصل المرشد إلى أن المستشار قتل خطأ؛ ولذا وجب على الجماعة دفع الدية، لكنه تراجع عن الدفع لأن الحكومة دفعت تعويضًا لأسرة القتل، هكذا ببساطة، تصور أن الأمر انتهى، لكن محمود فهمي النقراشي أصر على اتخاذ موقف حاسم من جماعة البنا، ولأن كل منهما كان المحطة الأخيرة بالنسبة إلى الآخر، يحسن أن نتوقف عند العلاقة بينهما وما فيها.

في صيف سنة ١٩٤٧م تقرر أن يسافر رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي إلى واشنطن ليعرض على الأمم المتحدة القضية المصرية مطالباً بجلاء القوات البريطانية جلاءً تاماً عن مصر والسودان وإنهاء النظام الإداري للسودان، وكان معنى ذلك أن الحكومة المصرية قررت تدويل القضية الوطنية، بعد أن يست من إمكانية التوصل إلى حل أو تفاهم مع الإنجليز، وكان المصريون توقعوا خيراً أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن باب التفاوض سيفتح مع الإنجليز للتوصل إلى صيغة يتحقق بها استقلال مصر، لكن الإنجليز لم يبدوا استجابة حقيقية، ولم يكن هناك بدبل عن قيام ثورة جديدة على غرار ثورة ١٩١٩م ولم تكن الأمور مهيأة لذلك، فالثورات لا تقوم بقرار رسمي؛ لذا تقرر أن تلجأ الحكومة إلى هيئة الأمم لتطالب بحقوقها في الاستقلال، وكانت الشعوب تتوقع من الهيئة الدولية، فور تأسيسها أن تتدخل لمساعدتها في نيل الاستقلال.

كان الملك فاروق والديوان الملكي مسانداً بقوة للنقراشي في مهمته، واندفعت السيارات الناصرة للقصر إلى مساندة النقراشي، كان الملك يريد أن يكون هناك شيء أو إنجاز إيجابي يحققه الحكومة ويتقدم به إلى الشعب، كانت صورة الملك قد أخذت في الاهتزاز وكانت السيارات المناوئة للقصر أخذت تشتد، وكان الملك قلقاً من ازدياد السيارات والجماعات اليسارية، صحيح أنهم لم يكونوا أغلبية، بل قلة، فإن الملك كان مصاباً بغرباً الماركسية، وكانت المشكلات الاجتماعية تتفاقم وتزداد حدة؛ لذا وقف الملك بكل ثقله خلف النقراشي في مهمته.. في المقابل كانت هناك عقبة كبرى أمام النقراشي تمثل في حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس، كان الوفد يرى أن القضية الوطنية هي قضيته الأولى بامتياز وأن التفاوض مع الإنجليز شأن يخصه هو، وليس مسموحاً لأحد غيره القيام به، سعد زغلول هو الذي تفاوض حتى الحصول على تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م والذي أقر فيه الإنجليز باستقلال مصر، حتى لو اعتبر استقلالاً منقوصاً وهو كان كذلك بالفعل، ومصطفى النحاس هو الذي

تفاوض مع الإنجليز وتوصل إلى معاهدة سنة ١٩٣٦م، ومن ثم فالتفاوض محال هو، فضلاً عن ذلك كان الوفد حزب الأغلبية، ومن ثم فإن من يسمى إلى المفاوضات يجب أن يحظى بمساندة الأغلبية، ليدرك الطرف الآخر أن الذي أمامه يمثل الرأي العام فعلاً، وهذا ما دعم سعد زغلول والنحاس في تفاوضهما مع الإنجليز، ولم يكن النقراشي تنقصه الوطنية، بل كان مبرراً في هذا المجال، وتاريخه يشهد له، يكفي أنه أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، ولم يكن ممكناً للوفد أن يطعن أو يشكك في وطنية النقراشي، لكن الطعن جاء من أن الحزب السعدي هو من أحزاب الأقلية، ومن ثم فإنه لا يمثل الأغلبية ولا يعبر عن رأي الأمة، ولا يصح أن يفوض باسمها. وكان النحاس عتيداً ومتصلاً في هذا الجانب؛ لذا راح يحارب النقراشي، وينظم المظاهرات ضده، ووصل الأمر أن أرسل الوفد بريقة بتوقيع النحاس إلى الأمم المتحدة يعلن فيها أن النقراشي ليس مخولاً للتفاوض باسم المصريين وأنه لا يعبر عن الأمة المصرية.. ومن حقنا أن نتساءل حول هذا الموقف. ماذا لو وقف النحاس خلف النقراشي وسأناه أو لم يناوئه ويضع العراقيل أمام مهمته، هل كان النقراشي سيحقق نتائج إيجابية ويستزع الاستقلال؟ وهل كان موقف الوفد سبباً من أسباب فشل تلك المهمة؟ هل كان الوفد غير مرحب بالاستقلال إذا جاء عن غير طريقه وإذا لم ينسب إليه؟ وهل كان شعار «الاحتلال على يد سعد أفضل من الاستقلال على يد عدلى» يتكرر ثانية مع اختلاف الشخصوص والأسماء؟!

كان لا بد من قوة جماهيرية تساند النقراشي وتتصدى لما يقوم به الوفد، ولم يكن هناك غير الإخوان ومرددهم حسن البنا الذي خاض المعركة بنفسه، فقد أرسل إلى هيئة الأمم المتحدة بريقة مضادة لبرقية النحاس جاء فيها «النقراشي باشا يمضى ومن معه إلى مجلس الأمن بتأييد شعب وادى النيل وعلى هدى من الإيمان الوطنى». وقاد البنا مظاهرة ضخمة تخرجت من أمام الجامع الأزهر ضمت شباب الجماعة وهتفوا تأييداً للنقراشي وهجوماً على الوفد وزعيمه.. وتحدثت بعض التقارير الأجنبية عن أن رجال البوليس يسروا الأمور للمظاهرة وعملوا على حمايتها.

وانطلقت مجلة الإخوان المسلمين التى كان يترأس تحريرها صالح عشاوى، وكيل الجماعة - نائب المرشد - تشيد بالنقراشى وتهاجم الوفد والنحاس، كتب عشاوى تحت عنوان «بيان النقراشى باشا» قائلاً «كان يوم الثلاثاء ٥ أغسطس يوماً مشهوداً في تاريخ مصر فقيه استمع العالم إلى صوت مصر على لسان رئيس وزرائها، ييسر قضيتها، ويطلب بحقوقها، ويفضح مساوئ الاستعمار البريطانى الغاشم في شال الودادى وجنوبه» وأضاف في مقاله «كان خطاب النقراشى باشا الذى استغرق إلقاءه ساعة وأربعين دقيقة خطاباً بليغاً وصفه جرو ميكو مندوب روسيا بأنه هام جداً ومماز كما أجمع رجال الصحافة الأمريكية بل والبريطانية والأجنبية على أن النقراشى باشا قد عرض قضية بلاده ببراعة كبيرة». ثم انتقل في مقالات تالية ليهاجم المعارضين للنقراشى ثم يخص الوفد بالهجوم، ووصل في هجومه حد اتهام المعارضة بالخيانة، بما يذكرنا ببعض كتاب السلطة في زماننا، ففى مقال حمل عنوان «الطاوور الخامس» .. كتب «كان الواجب الوطنى وجمت والمعارضة النزهة تقتضى بتأييد الحكومة في موقفها. والوقوف من ورائها صفواً واحداً ضد الغاصب، ولكن.. هل بين رجال المعارضة وطنى يفهم واجبه! أو معارض يعرف حق أمته؟ لقد كشفت المعارضة عن وجهها قناع النفعية والرياء، وظهرت خيانتها سافرة بغير طلاء..».

وحين أرسل مصطفى النحاس برقيقته إلى الأمم المتحدة ضد مهمة النقراشى، كتب صالح عشاوى مقالاً بعنوان «خيانة حزب الوفد» بدأه هكذا «يمثل حزب الوفد في مصر دور الطاوور الخامس. ما في ذلك شك. ولقد قام على هذا الاهتمام أكثر من دليل..» ويقول «حزب الوفد الذى يرأسه زعيم حرم حقوق هو السيد مصطفى النحاس باشا لم يشأ أن ينسجم مع الحكومة والأمة المصرية في هذا الظرف الحرج، بل أرسل برقية شخصية حقيرة إلى مجلس الأمن يزعم فيها أن النقراشى باشا ووفده لا يمثلون الأمة المصرية». ثم يقول «إن الوطنيين العرب يعتقدون أن برقية النحاس



الأخيرة إلى مجلس الأمن لا تنقل إجرائاً ولا خيانة لمصر عن موقفه يوم ٤ شباط (فبراير)، هذه الكلمات كانت وردت في مقال بجريدة الحوادث «التي تصدر في حلب ونقلها صالح بنصها. وأبني مقاله بالقول «جلوا هذا الحزب فقد قام على خيائته لمصر أكثر من دليل». وتوالت المقالات على هذا النحو..

كان هجوم الإخوان على الوفد ساحقاً ومتجاوزاً كل ما تعارف عليه الأديبات السياسية في ذلك الوقت، الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل هل كان كل هذا لصالح النقراشي أم تعبيراً عن كراهية عميقة ودفينة لدى الجماعة تجاه الوفد وزعيمه... لقد أخطأ النحاس باشا وكان عنيداً، لكن النقراشي نفسه لم يتهم الوفد ولا زعيمه بالخيانة، ففي مقال الطابور الخامس ترد فقرة تكشف الكراهية للأحزاب وللحزبية عموماً. «مصر بلد لم يستكمل استقلاله بعد فلم يكن هناك معنى لتعدد أحزابهِ وتفرق جماعته. ولكنها أثنائية الزعماء وحُب الرئاسة التي جعلت الأمة شيئاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون».

كان تأييد البنا شخصياً وقيادته لمظاهرة تهتف للنقراشي، وتأييد جماعته لاثناً للانتباه وشغل المراقبين من المصريين ومن الأجانب، فنجد «جيفرسون باترسون» القائم بالأعمال الأمريكي في القاهرة، يبعث بتقرير إلى الخارجية الأمريكية في واشنطن محاولاً تفسير تلك الحالة، جاء فيه «ربما يكون السبب ناشئاً عن الحرب السائدة بين الإخوان والوفد، والصحافة المحلية تزعم أن السبب الحقيقي يرجع إلى المبلغ الضخم الذي دفعه النقراشي باشا لحسن البنا من المصروفات السرية، الصحافة المحلية، أي الصحافة المصرية، ورد في بعضها أن المبلغ حوالي عشرة آلاف جنيه مصري. ويضيف باترسون القائم بالأعمال الأمريكي في الرسالة - الوثيقة - التي ترجمها ونشرها محسن محمد في كتابه «من قتل حسن البنا؟» «يبدو واضحاً أن هذا المبلغ دفع فعلاً وقد أحدث تأثيراً لدى قادة الإخوان».

وفى طريق عودته من واشنطن نظمت الجماعة استقبالاً شعبياً مهيباً للقرائشى بالناصح الخاف له .. وأياً كانت التفسيرات لموقف الإخوان من القرائشى، هل بسبب الجمل الضخم الذى تلقاه البنا من المصاريف السرية أو كراهيته فى الوفد ورغبته فى الكيد له أو تماطلاً مع القضية الوطنية، فقد كانت العلاقة بين الجانبين فى يوليو وأغسطس ١٩٤٧م، فما الذى جرى بعد ذلك كى يقدم القرائشى على حل الجماعة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، فترد الجماعة باغتيال القرائشى بعد عشرين يوماً ولم تكد تمضى مدة شهر ونصف حتى لقى البنا نفس المصير، ليتم اغتياله بطريقة أقل كفاءة من اغتيال القرائشى!<sup>١٩</sup>

دوافع القرائشى إلى حل الجماعة معروفة، فقد كثرت أعمال العنف والإرهاب، مما أخل بالأمن وابات رئيس الحكومة مطالباً بالحفاظ على الأمن، خاصة أنه هو نفسه وزير الداخلية، وقد تزايدت أعمال العنف فى عهده، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى الإخوان وتنظيمهم الخاص، ففى مايو ١٩٤٧م تم تدمير سينما مترو وسينما ميامى وسقط من المواطنين قتلى وجرحى، وفى يناير ١٩٤٨م استطاع البوليس أن يضبط فى المقطم ١٦٥ قنبلة وعدة صناديق بها أسلحة، واشتبك البوليس مع عدد من شبان الإخوان كان على رأسهم سيد فايز أحد قادة التنظيم الخاص، وفيما بعد سوف يكون فايز من بين المتهمين فى قضية اغتيال القرائشى، وهو نفسه سوف يرتب عبد الرحمن السندى - فيما بعد - محاولة فاشلة لاغتياله، حين أراد المرشد الثانى حسن الهضبيى تعيينه على رأس التنظيم بدلاً من السندى. وقد قال الشبان فى التحقيق إن هذه الأسلحة جمعت من أجل فلسطين لذا أفرج عنهم فوراً، وكان شيئاً لم يحدث، وهذا ما جعل عدداً من الكتاب، من بينهم سلامة موسى يتهمون القرائشى بتدليل حسن البنا وجماعته. بعد ذلك تم تفجير حارة اليهود بالقاهرة ونسفت بعض منازلها، وقال محمود عساف إن الهدف كان تخويف اليهود فقط، لكن الواقع أن هناك منازل هدمت ومواطنین أبرياء قتلوا، وذكر صلاح شادى فى «حصار العمر» إن العملية كانت رداً

على مذبحه «دير ياسين» وهو منطق معوج، فالرد على مذبحه دير ياسين لا يكون في حارة بالقاهرة، يقطنها مواطنون مصريون. وفي سبتمبر ١٩٤٨م تم نسف جزء من حارة اليهود القرائين، وكان ذلك عملاً في منتهى الغباء والعنصرية، ذلك أن اليهود القرائين في مصر كانوا ضد قيام الدولة الصهيونية في فلسطين وكان رأيهم أن هذه الدولة خطر حقيقي على الديانة اليهودية وعلى اليهود أنفسهم - وبعدها تم تدبير شركة الإعلانات الشرقية.. وكان قد تم يوم ٢٢ مارس اغتيال المستشار أحمد الحازندار، وفي ٤ ديسمبر ١٩٤٨م تم اغتيال حكمدار القاهرة اللواء سليم زكي، وكانت تلك الجريمة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، فصمم النقراشي على حل الجماعة.

وجد النقراشي أن زمام الأمن يفلت من يديه، الإنجليز يحملونه المسؤولية والحكومة غير قادرة على حفظ الأمن فكيف لها أن تطالب بالاستقلال؟! الملك كان قلقاً.. والنقراشي نفسه له خبراته في ذلك، لقد عايش أيام سعد زغلول ورأى ما جره على مصر اغتيال «سبرلى ستاكى».. ثم وجد رفيق عمره أحمد ماهر يتم اغتياله ومن بعده قاض كبير ثم حكمدار القاهرة، وكان الأمن قد أمسك بالسيارة الجيب التي كشفت للأمن حجم التنظيم السري وما لديه من خطط وأسلحة؛ لذا قرر اتخاذ خطوة جريئة بحل الجماعة، ولم يواجه قراره اعتراضاً من الداخلية، كما يردد البعض، ولكن طلب مرتضى المراغى، الذى سيصبح وزير الداخلية فيما بعد، من النقراشي تأجيل القرار، حتى يضع جهاز الأمن يده على كل الخلايا السرية للجماعة ويضبطوا كل الأسلحة التى لديهم. لكن التأثير داخل النقراشي رفض تماماً وأصر على إصدار قرار الحل، ويبدو أن خبرته الخاصة بالإخوان وحسن البنا لعبت دوراً، لقد وجد أنهم ساندوه بقوة، وقاد حسن البنا مظاهرة المناصرته، لكنهم بعدها مباشرة قاموا بأعمال العنف، والمعنى عنده أن هؤلاء يمكن أن يقوموا ويفعلوا أى شيء، وأنه لا رادع لديهم، ولا معايير يقفون عندها، هم ساندوه حين دفعت حكومته لهم، وما أن انتهت

المهمة انقلبوا عليه، باختصار هتاف ماجور أقرب إلى مرتزقة العمل السياسي، وخطورة هؤلاء البشر حين يملكون السلاح، وهم امتلكوه، ودبروا جيشاً ولديهم جهاز مخابرات خاص، وإذاعة سرية خاصة بهم لا تعرف الحكومة عنها شيئاً، أصبحوا دولة داخل الدولة؛ لذا لم يكن غريباً أن يذهب حسن البنا إلى مرتضى المراغى محذراً من حل الجماعة ومهدداً النقراشي نفسه .. وتوقع النقراشي أن يتم اغتياله، وتحقق ما توقعه، ففي يوم ٢٨ ديسمبر قتله طالب الطب البيطري عبد الحميد حسن في مدخل مبنى وزارة الداخلية، وكان الرد باغتيال البنا نفسه.

من أطلق الرصاص على حسن البنا ليس مجهولاً، عرف من يومها وتمت محاكمته وسجن بعد ثورة ١٩٥٢م، لكن لم يتفق أحد على من كان وراء العملية، فقد تعد خصوم البنا.. حتى بين أنصاره لم يتم الاتفاق في هذا الأمر، المرشد الثالث عمر التلمساني جزم بأن الملك فاروق شخصياً هو الذي أمر بتصفية البنا، وذهب البعض منهم إلى القطع بأن الملك ذهب إلى القصر العيني بنفسه وألقى نظرة على جثمان البنا ليؤكد ويرى بعينه أنه مات.. ردد الشيخ عبد الحميد كشك ذلك على المنبر مراراً ونكرازا، الوقائع تؤكد أن الملك ليلتها كان مشغولاً بأمر آخر، ولم يذهب إلى القصر العيني، لكنه أبلغ بالواقعة وهو في إحدى سهراته.

فريق آخر داخل الجماعة اتهم رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي، الذي خلف النقراشي، وكان عبد الهادي سعدياً مثل النقراشي، وكان رفيقاً للنقراشي من أيام ثورة ١٩١٩م، وقد أراد الانتقام لصديق عمره وفعلها.. فئة ثالثة منهم تتهم بريطانيا وأمریکا وإسرائيل، أو الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة، وكان على رأس القائمين بذلك سيد قطب، استناداً إلى أن حسن البنا ومشروعه كان يهدد هذه القوى ويخيفها. آخرون مثل الشيخ محمد الغزالي علقوا المسألة في رقبة أحزاب ما قبل ١٩٥٢م كلها.

وسوف نلاحظ أن هؤلاء جميعًا لم يقدموا دليلاً واحداً ولا واقعة بمعينها تدل على ما يقولون به، وهذا التوسع في إلقاء التهم من الملك إلى رئيس الوزراء أو الأحزاب كلها والقوى الأجنبية، يعنى باختصار أنه لا أحد على وجه التحديد، ولو أن هؤلاء جميعاً أرادوا اغتيال البنا، فهذا يعنى أن المشكلة كانت فيه هو... وأنصار البنا جميعاً كانوا يعبرون عن مشاعر حزن وغضب فقط، ومن هؤلاء الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى ذهب فى ذكرياته إلى أن «الدولة من أكبر رأس فيها إلى أصغر موظف من موظفيها اغتالت الرشد العام» ويلتقى مع هذا القول منشور صدر بعد أيام من الاغتيال، يحمل توقيع الإخوان، جاء فيه «الجنة المجرمون هم شياطين يشعون شهواتهم على حساب الشعب، هم أولئك الذين منحوا التراخيص للمعاهرات، ونظموا وأشرفوا على بيوت الدعارة يبيع الخمر وترددوا على المواخير، وأباحوا الربا وقبلوا الرشوة، وسخروا من الفضيلة وأرسلوا نساءهم إلى الملاهي والمراقص العامة، اغتالوا البنا لأنه كان خطراً عليهم يهدد بتقويض سلطتهم». وفات من حرروا هذا المنشور أن هؤلاء جميعاً هم الذين تركوا البنا يعمل قرابة العشرين عاماً وسمحوا لجماعته أن تكبر وتنمو، بل ساعدوه وساندوه.

وفى العموم لن نجد كاتباً من كتاب الإخوان تحدث عن حسن البنا إلا وقد وجه اتهاماً إلى جهة ما بالمسؤولية عن مقتل حسن البنا.

★★★

خارج الإخوان ذهب الاتهام إلى طريقين، طريق عبرت عنه صحف مصرية مثل «الأساس» لسان حال السعديين وأخبار اليوم والأهرام، وقد اتهمت التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بأنه هو الذى أقدم على هذه الجريمة وأنهم هم من قاموا باغتيال حسن البنا، تأسياً على أن البنا كان يعمل ليل .. نهار كى تعود الجماعة إلى العمل، وأنه كان على وشك الإفشاء بأسمائهم وأسرارهم للدولة، وأن ذلك كان الطريق الوحيد لعودة الجماعة إلى العمل، وقد كان البنا عبر فى الأسابيع الأخيرة عن خطئه الشديد



بأن زج بالجماعة في العمل السياسي، وأنه لو قدر له العمل ثانية فسوف يكتفى بالدعوة إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالدين الحنيف، وأنه يمتنى لو كان ربّي مائة شاب يعملون في سبيل نشر دين الله عن حق، يلقي بهم الله..

كان هناك تفكير داخل وزارة الداخلية، بين من يتابعون القضية إلى هذا الانحياز في التفكير. أي أن رجال التنظيم الخاص الذين قال عنهم البنا «ليسوا مسلمين» هم الذين اغتالوه، وقد تردد أن حسن البنا وصله خطاب تهديد بعد إصدار ذلك البيان، ويعد ما تردد أنه سوف يسلم النقراشي قائمة بأسمائهم. وقد استنكر بعض كتاب الإخوان ذلك التفكير.

★★★

فطريق آخر خارج الإخوان، ذهب إلى أن اغتيال البنا قام به السعديون، فقد كانوا مصممين على الثأر والانتقام للإهانة التي لحقت بهم وقتل زعيمهم، ولم يكن يرضيهم سوى رأس البنا نفسه «رأس النقراشي لا يساويها إلا رأس البنا»، وكان السعديون هم الذين يتولون الحكومة ويتولون وزارة الداخلية، وكان الملك فاروق نفسه يميل إلى هذا الانحياز، أي نسبة الأمر إلى السعديين، فقد سأل القائم بالأعمال الأمريكي في القاهرة جلالة الملك إن كان يعتقد - كما رددت بعض الصحف المصرية - أن النظام الخاص للجماعة وراء الاغتيال، فرد الملك بأن الأمر لم يخرج عن السعديين، وطبقاً لهذا القول يصبح التساؤل من بين السعديين تحديداً.. هل من هم داخل الحكومة أم من هم خارجها؟!

ولنحاول أن تناقش هذه الاتهامات، فيها يخص الملك فاروق، ثابت أن الديوان الملكي والقربين من الملك قرروا بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م اتخاذ خطوات لتحطيم الوفد انتقاماً - لمولانا - من قبول النحاس لحكومة ٤ فبراير ١٩٤٢م رغم أنف الملك، وكان على رأس هذا الفريق أحد حسنين باشا رئيس الديوان وعلى ماهر، اتجه

حسين إلى إحداث الواقعة بين النحاس ومكرم عبيد، ونجح في ذلك<sup>(١)</sup>، كان الانجاء الآخر هو الاستعانة بحسن البنا وتقويته للحط من شعبية الوفد، وقد عمل على ذلك كل من على ماهر وأحمد حسين ممّا، وقد التقطها بذلك أو بانتهازية حسن البنا، فقد سمى البنا إلى الضابط محمد أنور السادات كي يرتب له لقاء مع يوسف رشاد (يوسف رشاد الذي كان يتزعم فريق الاعتيالات الخاص بالملك)، وتم اللقاء بالفعل، وأراد البنا من يوسف رشاد أن ينقل إلى جلالة الملك رسالة مفادها أنه وجماعته مخلصون للعرش وجلالة الملك شخصيًا، لكن الملك الذي تصوره كثيرون ساذجًا لم يتلع الطعم، وقال ليوسف رشاد «حسن البنا ضحك عليك». لم يثق الملك أبدًا في البنا ولا في جماعته وإن لم يمانع في أن يستخدمهم الديوان الملكي في بعض الألاعيب السياسية الصغيرة كالانتقام من النحاس والتشهير به وبالوفد، وفي البداية لم يكن لدى الملك مشاعر قلق أو خوف تجاه حسن البنا وجماعته، لكن يبدو أن مشاعر الملك بدأت في التغير في عام ١٩٤٨م.

في منتصف يناير ١٩٤٨م وقع انقلاب في اليمن على الإمام البدر ولا داعي إلى الخوض في تفاصيله الآن وتفاصيل أوضاع اليمن آنذاك، لكن هذا الانقلاب وجد رفضًا وإدانة من الممالك الثلاثة مصر والسعودية وشرق الأردن، وهذا الانقلاب تم بمساندة من الإخوان ومن حسن البنا شخصيًا، ويمكن أن يكون الملك فاروق استشعر خطرًا من الجماعة ومن حسن البنا، صحيح أن البنا كان دائم التردد على القصر الملكي لتسجيل اسمه في سجل التشريفات الملكية ويترك عبارات التحية والدعاء لجلالة الملك، لكن كانت تفصل دالات مضادة إلى القصر، فالبنا يعلن أكثر من مرة في خطبه أن الملك بالبيعة لا بالوراثة، وكان تولى الملك في أسرة محمد على بالوراثة، لقد أقر فرسان سنة ١٨٤٠م أن تكون مصر لمحمد على وأن يحكمها أبناؤه من بعده.. وكان حسن البنا دائم الحديث عن عودة دولة الخلافة، وهذه كلها

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب د. محمد صابر عيسى عن حادث ٤ فبراير.

إشارات غير مريحة بالنسبة إلى القصر الملكي، فضلاً عن أن حسن البنا امتدت يده إلى الانقلابات العسكرية، ولم يعد يكفى هو أو رجاله بالهتاف لرئيس وزراء ضد آخر، كما فعل مع إسماعيل صدقي والنقراشي، وبعد أيام من انقلاب اليمين جرت مظاهرات في جامعة القاهرة، أو جامعة فؤاد وقتها، وأسقط المظاهرون صورة الملك فاروق، وارتفع هتاف في الجامعة «لا ملك إلا الله» وفهم على الفور أنه هتاف إخواني بحت، كل هذا لا بد أن يشير قلق الملك فاروق؛ لذا وجدنا حسن يوسف وكيل الديوان الملكي يذكر في مذكراته أن الملك كان يشعر أن الإخوان خطر على العرش.

وذهب كريم ثابت المستشار الصحفي للملك فاروق، إلى النقراشي للنقاش معه، وطلب إليه النقراشي أن يبلغ جلالة أن الإخوان صاروا أخطر، فقد طوروا شبكة اتصالات لا سلكية تتيح لهم الاتصال بعيداً عن أعين الحكومة وآذانها، ويبدو أن كريم لم يكن واثقاً كثيراً من مخاوف النقراشي، لكنه ذهب بالرسالة إلى الملك، فتوجى بالأخير يقدم له نتيجة من نتائج السنة الجديدة التي تطبعها مصلحة المساحة، وقد نزع منها صورة جلالة الملك، ووضعت صورة جديدة، أطلق عليها الملك «صورة الملك الجديد» أي حسن البنا، وكانت هذه النتائج توزع في دمنهور ويتم تداولها بين أعضاء الجماعة، وقال الملك: النقراشي كان عنده حق، الإخوان يريدون الحكم.

هذه الشواهد كانت مبرراً للقلق وللخوف من الجماعة، أو الحذر منها ومن مرسلها، لكن ليست مبرراً للحل ولا للتخلص من البنا، وليس هناك ما يشير إلى أن تفكيراً بهذا المعنى جرى داخل الحكومة، وبدلاً من أن تقوم الجماعة بالتهدة، إذا ببطرسه القوة نظهر، خاصة في شهر نوفمبر ١٩٤٨م، حيث تم نسف شركة الإعلانات الشرقية وعدد من المشروعات المملوكة لليهود، ونسف حارة اليهود، وكان تبرير الجماعة أن ذلك يتم من أجل فلسطين، والواقع أن تحرير فلسطين يتم على أرض فلسطين وليس في حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية، وهذه التفجيرات تثير

الغضب، لكن في خضم الحساس لفلسطين كان من الصعب أن يرتفع صوت قوى مندأ بها، وفي تلك الفترة ضبطت «السيارة الجيب»، وكان البوليس يسمى جاداً إلى مطاردة من قاموا بالتفجيرات والتوصل إليهم، ويبدو أن أعضاء التنظيم الخاص شعروا بذلك، وأن الأمن اقترب منهم فقرروا نقل أوراقتهم وبعض أسلحتهم من إحدى الشقق إلى أخرى، وضبطت السيارة بالمصادفة، كانت بلا أرقام، اشبه فيها أحد رجال الأمن، وبسرعة أبلغ وتم اكتشاف أسرار التنظيم الخاص وكانت أسراراً مخفية.

حين ضبطت السيارة الجيب كان البناء في الحج، ولما عاد ذهب كعادته إلى القصر الملكي ليسجل اسمه في التشريفات الملكية داعياً لجلالته، ومتصوراً أنه سيجد في الديوان الملكي الحظن الدافئ الذي اعتاد عليه، لكن الأمور ومعها المشاعر كذلك كانت في طريقها إلى التغيير... ولم يقتنع البناء أو لم يدرك حجم المسألة، ظل مكنتياً بالدعاء والتأييد العلني للملك وإعلان أن جماعته بريئة مما نسب إليها، لم يقل إن بعض أعضاء انحرفوا أو تجاوزوا، لم يذكر شيئاً عن التنظيم الخاص، لكنه أصر على أن الجماعة لا علاقة لها بما نسب إليها. أمام التقرائش يكذب، وفي مثل هذه الأمور لا يكون والطلعين على دوائر الأمور كان البناء أمامهم يكذب، وفي مثل هذه الأمور لا يكون الكذب نقيصة أخلاقية، أو سلوكية لكن له دلائل سياسية أخرى، وتردد وقتها أن التقرائش اتخذ قراراً باعتقال البناء، ولكن تم سحبه خوفاً من رد فعل الجماعة.. ويبدو أن التقرائش بدأ يفكر في حل الجماعة، وصار مقتنعاً أكثر يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨م حين تم قتل حكمدار القاهرة اللواء سليم زكى... ووصلت الأخبار إلى حسن البناء من مصادره وعيونه، في الداخلية، أن عبد الرحمن عمار (بك) وكيل الداخلية بصدد إعداد مذكرة يرفعها إلى التقرائش باشا لحل الجمعية، وقرر البناء أن يتحرك بطريقته الفوقية، فاتجه مباشرة إلى جلالة الملك راجياً ومستعظفاً، وقفز بذلك على الحكومة وعلى وزارة الداخلية وجهاز الأمن.

وقد كشفت حفيدة النقراشي د. هدى أباطة الأستاذ بآداب عين شمس في كتابها حول النقراشي، عن وثيقتين مهمتين في أوراق جدّها<sup>(١)</sup>... الأولى رسالة مطولة بعث بها حسن البنا يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٨م، إلى جلالة الملك، وذهب إلى الديوان الملكي وسلمها هناك، الرسالة مطولة ومكتوبة على ورق من أوراق الجماعة، بالآلة الكاتبة وتحمل توقيع، ويبدو أنه لم يكن يدري أو لم يتصور أن الرسالة ستحال إلى النقراشي، الرسالة كتبت بعد ٢٤ ساعة من مصرع سليم زكي، ولا نعرف هل قرأها الملك أم لا.. وهل أحيط علماً بها أم لا.. لكن الديوان الملكي أحالها في اليوم التالي إلى رئيس الوزراء، وقال رئيس الديوان واصفاً الرسالة بأنها «التماس تلقاه الديوان من حسن البنا».

الرسالة الالتماس، تحمل عناصر ثلاثة.. الأول يختص بالتعبير عن الولاء لجلالة الملك والإخلاص للعرش «أصدق آيات الإخلاص وأخلص معاني الولا».

الثاني: الطعن الشديد في النقراشي أمام الملك، وتحريض الملك عليه ومحاولة إحداث وقعة بين الملك ورئيس وزرائه.

الثالث: أنه يتقدم بالالتماس بعد أن نأى إلى علمه أن رئيس الحكومة بصدد اتخاذ قرار حل الجماعة.

يقول البنا: «يا صاحب الجلالة! إن الإخوان المسلمين باسم شعب وادى النيل كانوا يلودون بعريكتكم وهو خير ملاذ ويعودون بعطفكم وهو أفضل معاذ ملتجئين أن تنفضلوا جلالتكم بتوجيه الحكومة إلى نوع من الصواب أو بإعفائها من أعباء الحكم ليقوم بها من هو أقدر على حملها ولجلالتكم الرأي الأعلى». ويقول أيضاً: «يا صاحب الجلالة لا يقوى أبداً دولة النقراشي باشا على أن يضطلع بأعباء التصرف

(١) راجع نصّها في الملحق الوثائقي بنهاية الكتاب



بها يحفظ كرامة مصر ويصون حقوق هذا الوادى ..». وكان قوله الأخير مناقضاً تماماً لما قاله هو نفسه عن النقراشى قبل عام، ويذهب إلى حد تحميل النقراشى مسؤولية ما جرى فى فلسطين فى تحن واضح ونفاق مباشر للملك.. المهم فى هذه الرسالة أنه يرى الجماعة تماماً من كل أعمال العنف التى نسبت إليها، غير هذه الرسالة / الاتهامات راح يبحث عن كل الطرق إلى الملك، جرب قنواته السرية «يوسف رشاد» فلم يتمكن، ويبدو أنه أدرك أن طريقه نحو الملك مغلق تماماً، فاستدار بنحو ١٨٠ درجة ليتوجه إلى النقراشى باشا، والواضح أنه أدرك أن الأمور لم تعد سالكة بشكل مباشر مع النقراشى، وبالتأكيد علم أن رسالته إلى الديوان الملكى أو الالتماس الذى تقدم به إلى الملك أحيل إلى النقراشى وبه كلام سخيى بحق النقراشى، فذهب إلى «حامد جودة» وكان سعدياً ورئيس مجلس النواب وتربطه صلة حميمة وقربة بالنقراشى، استمع إليه جودة جيداً، كان حسن البنا لا يريد قرار الحل، وأكد أن الجماعة تؤدى دوراً دينياً، وأنه سوف يتعدى بها عن السياسة، وتفهم النقراشى ذلك كله، وكانت لديه رغبة فى عدم الوصول إلى هذه الخطوة، لكن كانت له مطالب ثلاثة من حسن البنا، وهى أن يدهم على أسماء من قاموا بالعمليات الإجرامية التى روعت الأسنين فى القاهرة .. فقد كان هناك ضحايا وقتل من المدنيين سقطوا فى تلك العمليات. طلب النقراشى أيضاً أن يكشف لهم حسن البنا عن مخازن الأسلحة التى لدى الجماعة وحجم ما بها من تسليح، وبذلك يضمن النقراشى عدم تكرار حوادث العنف وأن الجماعة - فعلاً - سوف تصبح كما يقول البنا للدعوة فقط، والمطلب الأخير كان أن يعلن البنا لهم مكان الإذاعة السرية التى أقاموها، وكان لدى الإخوان إذاعة تبث من شقة فى باب اللوق، وتقدم برامج موازية لما تقدمه الإذاعة المصرية، وحاولت أجهزة وزارة الداخلية الوصول إلى مقر تلك الإذاعة فلم يتمكنوا .. الغرب فعلاً أن حسن البنا استطاع اختراق أجهزة الأمن وغيرها من الأجهزة الحكومية بتجنيد عملاء من داخلها بينما تفشل أجهزة الأمن فى فعل الشيء نفسه داخل الجماعة.

عرضت مطالب النقراشى على البناء، فرد بكلام لا بد أنه أعاظ النقراشى والمحيطين به، اكتفى البناء بالقول إن كل هذه الأمور التى يتحدث عنها دولة الباشا لا يعرف عنها شيء بالمرّة، وكان معنى هذا الكلام أن البناء بين أمرين، إما أنه لا يدري شيئاً داخل الجماعة أو أنه يكذب، الأمر الأول كان مستبعداً بالنسبة إلى رجل متسلط وفى قوة شخصية البناء على أتباعه.

النقراشى لم يتلع هذا الكلام نهائياً ولم يصدق حسن البناء، لأن بعض أعضاء التنظيم الخاص الذين قبض عليهم اعترفوا أن كل العمليات التى نفذوها تلقوا بها تكليفاً مباشراً من فضيلة المرشد العام، ومعنى هذا أن المرشد العام كان يكذب على النقراشى، وهذا يعنى عدم جديته فيما يطرح وافتراده المصادقية أمامه؛ لذا أصر النقراشى على مطالبه من حسن البناء، كى يتوقف عن التفكير فى حل الجماعة. لجأ حسن البناء إلى مرتضى المراغى طالباً منه التوسط لدى النقراشى، وبينما هو يتحدث معه انقلع مهتداً النقراشى<sup>(١)</sup>، ولا نعرف هل قصد أن يصل الغضب والتهديد إلى النقراشى أم يصل إلى المراغى نفسه، فيعمل على تهدئة المراغى، لكن النقراشى كان مضراً.. فقرر أن يذهب إلى مكتب النقراشى باشا طالباً أن يجتمع به.. فقابلته عبد الرحمن عمار (بك) وجلسا معاً، وأعد عمار تقريراً رفعه إلى النقراشى - ذلك التقرير هو الوثيقة الثانية التى أتاحتها للباحثين د.. هدى أباطة - وجاء فى التقرير أن حسن البناء.. تكلم مادحاً النقراشى باشا قائلاً إنه على يقين من نزاهته وحرصه على خدمة وطنه وعدالته فى كل الأمور». كان ذلك عكس ما قاله فى التماسه للملك، حيث قال إن النزاهة وطهارة اليد اللتين يتمتع بهما النقراشى لا تكفيان لتحمله رئاسة الوزارة.. وجاء فى التقرير أيضاً «إنه لو تمكن من مقابلة دولته بعد أن مضت سنتان لم يلتقيا فيها بسبب فجوة آثارها الوشاة لأقنع دولته بأنه من صالح الحكومة والأمة معاً أن يبقى

(١) روى مرتضى المراغى الشهيد كاملاً فى مذكراته التى نشرت فى مجلة أكتوبر ثم صدرت فى كتاب مستقل عن دار المعارف.

الصرح الضخم الذي جاهد الإخوان سنوات طويلة في إقامته». تحول الأمر إلى مجرد فجوة ناجمة عن وشاية بينهما وأنه سيقنع الباشا بأهمية الجماعة للحكومة، أى له.

في التقرير ما يفيد أن حسن البنا قام بتغيير إستراتيجيته بالكامل، وبذلك أوحى بشديد، في التماس إلى الملك نفى تمامًا أي دور أو مسؤولية لجماعته عن أعمال العنف التي وقعت، وأتهم النقراشي صراحة بأنه متحامل على الجماعة ويحاول أن يلصق بها تهمة تلك الأعمال ويحملها المسؤولية، والمعنى أن النقراشي رئيس الوزراء ووزير الداخلية يبحث عن كبش فداء، يحفظ به ماء وجهه أمام الملك.. لكنه في مكتب النقراشي، قال شيئًا جديدًا، يبدو أنه قرار عدم مجادلة النقراشي في هذا الأمر، وقدم ما اعتبره إغراء للباشا وتنازلًا ضخمًا من جانبه «يريد أن ينهى إلى دولة رئيس الوزراء بأنه قد عدل نهائيًا عن الاشتغال بالشؤون السياسية، وقصر نشاط الجماعة على الشؤون الدينية كما كانت الحال في بداية قيام جماعة الإخوان وأنه يود من كل قلبه التعاون مع دولة الرئيس تعاوُنًا وثيقًا مؤيدًا للحكومة في كل الأمور، وأنه كفيل بتوجيه رجاله في كل الجبهات بالسبر على مقتضى هذا الاتجاه».

ويقول عبد الرحمن عمار في تقريره إن البنا «كرر ذلك المعنى وبكى بكاءً شديدًا». والواقع أن أي سياسي مثل النقراشي لم يكن ممكنًا له أن يأخذ بجدية كلام البنا، هو يقرر أنه سيعود بالجماعة إلى ما كانت عليه تمامًا ويترك الانشغال بالسياسة والاشتغال بها، لكنه يعود لينفى ذلك، في نفس الجلسة حين يقول إنه يود التعاون مع رئيس الوزراء وأن يؤيد حكومته، وقد وصف هو التعاون المأمول بأنه «وثيق»، وهذا يحد ذاته قمة الاشتغال بالسياسة، لكن الخطير حقًا في الرسالة ويدين نفسه به ويؤكد اعترافات بعض أعضاء التنظيم الخاص من أنهم تحركوا بأوامر المرشد حين قال لعمار بك إنه كفيل بتوجيه رجاله إلى العمل في هذا الاتجاه، وهذا اعتراف منه أنهم يسبرون بأوامره وتوجيهه في كل ما يقومون به، أو كما جاء في التقرير «في كافة الجهات». ولم يكن حسن البنا ساذجًا، فلا بد أن يتوقع سؤالًا من النقراشي ومن المحيطين به

من رجال الداخلية.. ماذا عن العمليات التي تمت خاصة وأن هناك ممتلكات أتلقت، وضحايا سقطوا؟ لذا انتهى إلى حل يعفيه هو وجماعته من كل هذه العمليات وإن لم يذكرها، وجاء في التقرير «.. أعرب عن أسفه لما وقع من جرائم ارتكبها أشخاص يرى أنهم اندسوا على الإخوان».

حسم البنا الأمر بسهولة شديدة هو بأسف - مجرد أسف - لوقوع قتلى.. مواطنين أبرياء وسقوط جرحى وتدمير المنشآت .. ومن قاموا بها ليسوا إخواناً بل مناسين عليهم.. من الذى دسهم.. ولماذا .. وقد يدس أحد عنصراً للحصول على المعلومات أو التجسس على الآخرين، كما فعلها البنا نفسه مع الآخرين، خاصة الشيوعيين ومصر الفتاة، لكن من يدس عنصراً للقتل؟

ذهب عمار بالتقرير إلى النقراشى الذى قرأه بعناية وناقش عبد الرحمن عمار في تفاصيله، والواضح أنه لم يكن يريد أن يقابل حسن البنا أو حتى يراه، في أعماقه لم يكن يثق به، كان حسن البنا متلوّاً ومتقلّباً، وكان النقراشى شخصية حادة ومستقيمة، وعاد النقراشى يؤكد لعبد الرحمن عمار .. إن كان البنا صادقاً فيما يقول فعليه أن يكشف أسرار التنظيم الخاص، وكان من المستحيل أن يكشفه البنا، فلو كشف فهو المدان الأول، هو الرئيس المباشر والأعلى للتنظيم. تابع تفاصيل نشأته ونموه.. تدريباً وتسليحاً.. وكان التنظيم من ألفه إلى يائه خروجاً على القانون، وهو - حسن البنا - كما يقول أتباعه من أعطى الأمر بكل عملية من عملياته، لو كشف التنظيم فسوف يدان أمام القانون، فضلاً عن أنه لا يأمن انتقام أعضاء هذا التنظيم. وهكذا حسم النقراشى أمره واتخذ قرار الحل يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ م.

نعرف أن مرتضى الراغى رأى التريث في الحل لأن هناك بعض خلايا للتنظيم وحازن أسلحة ومفرقات لم يتم للأمن التوصل إليها، عدده من الوزراء حذروا لأن الجماعة اختارت الجيش. إبراهيم عبد الحادى رئيس الديوان الملكى كان يرى عدم حل الإخوان، وأنه يمكن الاستفادة منهم خاصة في تهجير نشاط الوفد، واقترح



عبد الهادي الاكتفاء بتحجيم نشاط الإخوان ... والواقع أن التنظيم الخاص أوقع العرب في نفوس الكثيرين، كان جهاز معلومات وغارات يفوق جهاز الأمن الرسمي، وكان كذلك جهاز عنف وإرهاب، ورغم كل ما يقال من أنه أنشئ خصيصاً للعمل ضد الإنجليز والصهيانية، فالواقع أنه عمل ضد المصريين فقط، لقد أقسم حسن البنا رجال السفارة الأمريكية أن التنظيم أنشئ للكفاح ضد الشيوعية والشيوعيين في مصر، وكان يأمل من وراء ذلك أن ينتقل هذا الرأي إلى الإنجليز عبر الأمريكان، وسرب شيئاً من هذا إلى الملك، وفي العلن قال للمصريين إنه ضد المحتلين، ولم يكن صادقاً في هذا ولا ذاك، كان التنظيم ضد خصومه وخصوص جماعته أولاً، وضد من لا يسير على نهج الجماعة، حدثني الراحل سيد أبو النجا، في حوار مستفيض بمنزله<sup>(١)</sup>، وكان أبو النجا يعمل في مجال الإعلانات منذ عودته من بعثته في إنجلترا، كان يعمل مع محمود أبو الفتح في «المصري»، وكان يعمل أيضاً في شركة الإعلانات الشرقية ليزيد دخله، وذات يوم جاءه استدعاء من التنظيم الخاص أنه مطلوب للمحاكمة بتهمة العمل مع اليهود، وكان تفكيره أن لا يعبر الأمر أى أهمية أو أن يبلغ البوليس إن اقتضى الأمر، واستشار أستاذة محمود أبو الفتح صاحب المصري، فهو يعمل معه، ونصحه أستاذة أن يأخذ الأمر بجدية كاملة وإذا كانوا يطالبونه بالثول أمامه، فليمثل، لأنهم سوف يضايقونه، وربما قتلوه إن لم يفعل، وإذا أبلغ البوليس فلن يتمكن من حمايته، ولن يفعل له شيئاً، وذهب بالفعل مدافماً عن نفسه بأنه أزهري التعليم والثقافة وإنه حين يعمل في شركة مملوكة لليهود فإنه بذلك يحصل على مكان في هذه الشركة لسلم وهو يلتزم في عمله بالقيم الإسلامية.. وانتهى الأمر بالنسبة إليه، أمام قوة هذا التنظيم وأخطبوطيته حذر كثيرون النقراشي، ويكفى أن نعرف أن أربعة خطابات وصلت إلى النقراشي على مكتبه مليئة بالشتم والكلمات البذيئة والتهديد بالقتل إن هو أقدم على حل الجماعة، ولم يمررها أى اهتمام،

(١) جرى الحوار سنة ١٩٩٠م، ونشر على حلقين بمجلة «سواء».



واعتبرها من باب «اللغو»، وتبين بعد اغتياله أن عبد المجيد حسن هو الذى قام بكتابة هذه الخطابات المجهلة، لكن الأخطر من ذلك أن هناك خطابات مشابهة وصلت بمجهلة إلى بيت النفرانى، ولكن هذه المرة ليست له بل إلى زوجته، تهددها ليس بقتل زوجها، بل بما هو أقسى عليها، وهو اختطاف ابنها وابنتها إن أقدم زوجها على أى شيء تجاه الجماعة<sup>(١)</sup>، وقد سبب لها ذلك ألاماً وقلقاً فظيماً، خوفاً على ابنها وابنتها من ناحية وخوفاً على زوجها، ومن ناحية أخرى لم يكن من حقها أن تتدخل في عمل الزوج والقرارات التى يتخذها، وليس لها أن تطلب إليه اتخاذ قرار ما أو عدم اتخاذ قرار بعينه.

كان الحصار يشند حول النفرانى، لا تريد الجماعة أن تترك له فرصة، ولا هى ساعدته باتجاه التهدة، بل استمر التنظيم الخاص فى عملياته، لم يردعه المرشد، ومكنت حرب فلسطين التنظيم من جمع وتخزين أكبر كمية من السلاح والذخيرة، وقد استعمل هذا السلاح فى تفجيرات الداخل، من جهة أخرى مارست الجماعة عليه ضغوطاً عنيفة، بدأها حسن البنا نفسه بمهاجمته لدى الملك فى الالتباس الذى تقدم به، ثم فى محاولة استدراج عطفه بالتوسل والبكاء فى مكتبه، فضلاً عن خطابات التهديد له ولنزلته، وربما لو كان هناك رئيس وزراء آخر غيره لترث كثيراً فى القرار، لكنه كان عبيداً وثورياً، كان يعرف النهاية، وقالها لمرضى الراغى... آخرتها رصاصتين... وطلب من عبد الرحمن عمار تجهيز مذكرة بحل الجماعة، ويبدو أن حسن البنا لم يتوقع أبداً أن يصدر مثل هذا القرار، ليس فقط بسبب التحذيرات والتهديدات أو الضغوط التى مورست على النفرانى، بل كان يدرك أن الكل سبق وأن احتاج إليه، وأنهم سوف يبقون فى احتياج إليه، بدءاً من الديوان الملكى ومروراً ببقية الأحزاب من الوفد إلى الأحرار الدستوريين والكتلة ثم السعديين، فضلاً عن طريقه المتفوح مع السفارة الأمريكية بالقاهرة والشروع المشترك بينه وبينهم فى

(١) هذه الواقعة رويتها لى حفيدة النفرانى د. هدى أباطة.

مكافحة الشيوعية، لكنه لم يكن يدرك أنه تجاوز الخطوط الحمراء، وأنه قد يكون هناك احتياج إلى الجماعة، في أداء بعض الأدوار، لكنه لم يعد هناك احتياج إليه هو، وأنه كان عليه - منذ مقتل الحازندار - أن يتخذ خطوات بتحجيم التنظيم الخاص أو حتى تسريحه وإعادة توزيع أعضائه على شعب الجماعة، لكن من جهة أخرى كان هو نفسه بحاجة إلى هذا التنظيم ليخفف به أعداء الجماعة، بل وقمع به أي تمرد عليه داخل الجماعة. كانت القوة عنصرًا مهمًا في تفكيره وخططه، القوة العسكرية بالأساس .

يوم ٢٨ ديسمبر أطلق الرصاص على النقراشي أمام أسانسير وزارة الداخلية، استقرت ثلاث رصاصات في ظهره، انطلقت من مسدس طالب تنكر في زي ضابط شرطة.. هو طالب بكلية الطب البيطري اسمه عبد المجيد حسن، والغريب أن الداخلية كانت طلبت اعتقاله بتهمة الانتماء إلى الجماعة، لكن النقراشي كان ضد التوسع في الاعتقالات، والغريب أيضًا أن النقراشي كان منح الطالب مجانية في التعليم مدى حياته تقديرًا لوالده الذي كان يعمل بالداخلية.

فوجئ حسن البنا برد الفعل على اغتيال النقراشي ، حتى أن خصوم النقراشي من الوفدين بادروا باستنكار العملية والهجوم على منفذها، وصل الرعب إلى الديوان الملكي، حاول البنا في كل الاتجاهاات، لكن كل الأبواب أغلقت في وجهه، لم يعد أحد يتق به ولا أحد يأمن إليه، اكتشف الجميع - كل بمقدار - أنهم ربوا وحشًا مدمرًا، وقد بدأ يلتهمهم واحدًا وراء الآخر، بدم بارد، كان البنا يريد تأييد حياته أولاً وإعادة الجماعة ثانيًا، وكان الرأي في الأوساط الحزبية والسياسية المصرية أن المشكلة ليست في الجماعة، بل في رأسها حسن البنا نفسه، وتم الخلاص منه في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ م.

وقد اتهم فريق من الإخوان «الملك فاروق» بأنه وراء اغتيال حسن البنا، وهذا كلام يفتقد إلى أدلة، ويبدو أن بعض الإخوان بلغ بهم الاعتزاز بمر شذهم المؤسس

بأن يكون الملك قاتله، وليس أقل من ذلك، لقد خرج الملك من مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م، وتم تقليب أوراقه جيدًا، ولو كان هناك شيء يدينه في هذه العملية لظهر وتم استخدامه، فور خروجه من مصر بدأت حملة تشهير واسعة به، بدأها مصطفى أمين في أخبار اليوم تحت عنوان «ليالي فاروق». ولو كان له صلة بالعملية من قريب أو من بعيد لا سكنت عنه أحد، يضاف إلى ذلك أن الملك كان لديه «الحرس الحديدي» يقوم بالعمليات القذرة، وكان «الحرس الحديدي» تحت إشراف يوسف رشاد، صديق حسن البنا، وكانت طريقتهم في تنفيذ العمليات مختلفة تمامًا عن الطريقة التي جرت مع حسن البنا، وقصة السيارة السوداء التي كانوا يستخدمونها معروفة، لقد تحدث بعض أعضاء الحرس الحديدي ونشروا مذكراتهم، ولم نجد فيها شيئًا يتعلق بالمرشد العام، ولم يكن الملك غيبًا ليتورط في هذه العملية، كان يعرف أن خصوم حسن البنا كثيرون، وكارهوه ليسوا قليلين، وراغبوا الخلاص منه عديدون، هو نفسه أشار ذات مرة إلى السعدين.

تحدث الإخوان كثيرًا في أديباتهم عن دور الملك فاروق في العملية وعن الانتقام الإلهي الذي حل به وزوال عرشه، وأن خروجه من مصر كان عقابًا إلهيًا لما حدث مع حسن البنا، والله سبحانه وتعالى لا يدير الكون بهذا المنطق، ولم يكن للملك فاروق دور مباشر في هذه العملية، صحيح أن فاروق لم يكن يثق بحسن البنا، لكن البنا حتى وفاته كان من أشد الناس مدحًا لفاروق.

ويبدو أن رجال التنظيم الخاص كانوا مقتنعين بأن الملك وراء الاغتيال؛ لذا سموا إلى اغتياله، إذ يحكى مرتضى المراغى - في مذكراته - إنه تم العثور على مسدس في جيب عامل الأسانسير الخاص بقصر القبة، وهو الأسانسير الذى كان يستعمله الملك فاروق، ولكن شاءت إرادة الله أن يبيت الملك ليلتها خارج القصر، وبالتحقيق مع هذا العامل تبين أنه عضو بالتنظيم الخاص للجماعة، وقد واجه المراغى المرشد الثانى حسن الحضيبى بتلك الواقعة.

واقعة اغتيال النقراشي حملت تحدياً خاصاً لحسن البنا، تمت العملية بينما قائد التنظيم عبد الرحمن السندى مقبوض عليه، وظل عبد المجيد حسن ملتزماً بالصمت، واتجه التركيز إلى مسؤولية البنا المباشرة عن هذه العملية، خاصة بعد أن رفض النقراشي مقابله وتوسلاته، كان اتجاه التحقيق يسير نحو إدانة البنا مباشرة، ويبدو أنه أراد أن يبرئ نفسه فأصدر بيانه الشهير «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»، ولما حل المحققون البيان إلى عبد المجيد، فكت عقدة لسانه، وجاء في اعترافاته أن العملية نفذت بتعليمات من المرشد، وأنه الذي أقمعه بتنفيذها وأفناه بمشر وعيتها رجل المرشد في التنظيم سيد سابق حيث تلا على عبد المجيد حسن الآية القرآنية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. واستدعت النيابة سيد سابق للتحقيق فيها نسبة إليه عبد المجيد حسن فأنكر تماماً وأدان ما قام به عبد المجيد وتلا قول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]<sup>(١)</sup>.

سمى البنا إلى مقابلة إبراهيم عبد الهادي الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد النقراشي، وكان البنا يتصور أن بيانه سوف يفتح الباب أمامه، لكن عبد الهادي قالها صريحة لن يجلس معه قبل أن يعترف بأساء وأعضاء التنظيم ومخازن الأسلحة، فرد البنا بأنه لا يعرف، وعاد البنا ثانية يطلب ... إذا كان رئيس وزراء مصرًا على مطلبه فهو يشترط إما الإفراج عن الأعضاء ليعرف منهم، أو أن يعتقل إلى جوارهم، كي يعرف كل شيء منهم، ولم يكن حسن البنا في وضع يسمح له بمعرض شروط، فضلاً عن أن هؤلاء المسؤولين لم يكن لديهم استعداد للاستماع إلى شروط منه، هو ليس مصطفى النحاس كي يشترط، هم اعتادوا منه المديح والتوسل وأن يقدموا له

(١) راجع د. سيد عبد الرازق: محمود فهمي النقراشي، ص ٦٦٠.

ولجماعته الهبات وأن يقوموا بتوظيفه هو وجماعته في خدمات وأدوار يقومون بها. سوف نلاحظ أن الشرطين اللذين وضعهما البنا كان لهما معنى وحيد، هو أنه يرى نفسه من أي تهمة، ولكن لا ينفيها عن إخوانه وجماعته، وربما كان يناور لكسب مزيد من الوقت، لإبعاد شيخ الموت عنه.

بيان «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» واستعداد البنا للتعاون مع الحكومة يكشف التنظيم، هو الذي جعل التفكير يتجه إلى أن رجال التنظيم هم الذين اغتالوه، وهذا أيضاً من باب التوقعات، ربما كان ممكناً حدوث ذلك، لكن الواقع الفعّال أن الذين قاموا بعملية الاغتيال لم يكن لهم صلة بالتنظيم، كانت صلتهم ببعض رجال الداخلية، ولو كان للتنظيم الخاص صلة أو مسؤولية عما جرى لحسن البنا، لما تردد رجال الثورة في كشفها، خاصة بعد أن حاولوا اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر في ميدان المنشية سنة ١٩٥٤م، لقد قام رجال التنظيم بمحاولة اغتيال أحدهم وهو سيد فايز، حين أراد المرشد الثاني حسن الهضيبي تعيينه بدلاً من عبد الرحمن السنوسي، وقاموا بمحاصرة حسن الهضيبي في منزله، لكن لم يثبت أنهم فعلوا شيئاً من هذا مع حسن البنا، أقصى ما حدث أن احتد عليه السندى بعد واقعة اغتيال الخازندار، وقيل إن السندى دفع البنا في كتفه وهو يقول له «لقد قلت لي»، يقصد أنه قال له يقتل الخازندار.

لا يبقى سوى انتقام السعديين لزعيمهم أو انتقام بعض رجال الداخلية، كان هناك فريق من السعديين يصبر على الثأر لقتل النقراشي، لقد شعروا بالإهانة، من طريقة مقتله، وربما كان بعض رجال الداخلية، لقد قتل الإخوان في شهر واحد، حكمدار القاهرة اللواء سليم زكي ثم وزير الداخلية محمود فهمي النقراشي، قيل، وهي روايات شفهوية: إن حامد جودة هو الذي تولى إحضار القتلة، وقيل آخرون.. لكنهما في النهاية أقوال مرسلّة لا يمكن تأكيدها ولا إثباتها، المؤكد أن حسن البنا قتل، وأن الذين أطلقوا الرصاص عليه كانوا محدودى الكفاءة في التخطيط والتنفيذ،



أين تلك العملية مما فعله عبد المجيد حسن... وهذا يبعد فكرة أن تكون العملية انتقاماً رسمياً من الداخلية، هي على الأغلب انتقام سمدى<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنه كان هناك من يصير على الانتقام للنقراشي، وقد جرت واقعة لم يتوقف أحد عندها، جرت في ليلة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢م، وحققتها مجلة المصور - عدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م - في ذلك اليوم افتتح الشيخ «حسن الأخر» في قريته «عين غصين» بالإسماعيلية شعبة الإخوان، ولم تكن الشعبة انتحلت منذ حل الجماعة في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وفي نفس اليوم تم إطلاق الرصاص على الشيخ حسن في منزله ومات، كان الأخر من تجار القطن بالمنطقة، وتبين أن قاتله هو حسين هاشم، كان حسين من الشرقية، وذهب قبل الجريمة بأسبوعين إلى الأخر طالباً أن يعمل لديه، وكان بيت في مدخل منزل الأخر... حامت الشبهات حول أحد الأشقياء في القرية، فاضطر ذلك الشقي أن يكشف كل شيء، وهو أن «الأخر» سجن عامين في الهايكسب؛ لأنه هو من درب عبد المجيد حسن قاتل النقراشي على إطلاق الرصاص وجهزه لتنفيذ العملية، أما من قام بقتل الأخر والذي ذهب خصيصاً إليه فقد كان حارساً في لسان طرة واستقال من عمله قبل أسبوعين، وذهب إليه، لم يهتم أحد وقتها بهذه الجريمة ولم يتابعها أحد بالبحث، لكن الواضح أن القاتل استقال خصيصاً من عمله وذهب إلى هذا الرجل في قريته لينفذ العملية التي قام بها. في التحقيقات اعتبرت المسألة جريمة قتل عادية، لكن الواضح أنه كان مدفوعاً إليها. نحن بإزاء حلقة من حلقات النار لقتل النقراشي.

قتل النقراشي أولاً بسبب قرار اغتله ورأى ارتأه، واعتبره أنصاره شهيداً. وقاتل حسن البنا في عملية ثار. وحين قتل كان يقال عنه «الرحوم»، كان وحده يستعمل هذه الكلمة وكان الآخرون يستعملون كلمة «القتيل»، لكن منذ السبعينيات وحين عادت الجماعة إلى العمل أطلق عليه أنصاره لقب «الإمام الشهيد». من الشهيد ومن القتل بالضبط؟ النقراشي أم البنا؟!

(١) ذكر بعضهم أن أرملة النقراشي قدمت هدايا لمن أطلقوا الرصاص على البنا، ودفعت لهم مكانة مالية، وقد نفت أسرة النقراشي ذلك نفياً تاماً.

## الفَصِيلَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرُونَ

### الفرق في «بجيرة العسل»

في أكتوبر من عام ١٩٠٦م ولد في المحمودية حسن أحمد عبد الرحمن البنا، بعد عام وبضعة أشهر على رحيل الإمام محمد عبده، وأربعة أعوام على رحيل عبد الرحمن الكواكبي، كان كل من محمد عبده والكواكبي يعبر عن مدرسة واتجاه في التفكير، جاء حسن البنا ليكون تقيضاً لكل منهما وانقلاباً عليه، خاصة الأستاذ الإمام محمد عبده، فبينما كان محمد عبده يسعى إلى إعادة تأسيس العقلانية في التعامل مع التراث والفقه الإسلامي، كان البنا يعيد إحياء السلفية بمعناها الضيق، وفي حين أن محمد عبده اختلف مع أستاذه الأفغانى، وحاول أن يجعل مفهوم «الوطن» والوطنية المصرية بعداً أساسياً في تفكيره، دون انعزال أو ابتعاد عن البلدان الإسلامية، عمل حسن البنا جاهداً على إعلاء مفهوم الخلافة والدولة الدينية على المفهوم الوطنى، أما الكواكبي فقد اجتهد لمقاومة الاستبداد والتسلط العثماني في المقام الأول، وإعطاء المسلم في وطنه حرية التفكير والتعبير، في المقابل كان حسن البنا يعلى من الاستبداد الفردي بصورة خطيرة وتحدث عن «الخليفة» باعتباره ظل الله على أرضه.

ومن بداية حياته كان حسن البنا طفلاً مختلفاً، قضى في «الكتاب» أو مدرسة الرشاد عدة سنوات دون أن يتم حفظ القرآن الكريم، وقد أغضب ذلك والده كثيراً، صحيح أن حسن البنا وعد والده أن يتم حفظ القرآن الكريم، لكن لا يوجد ما يثبت أنه حقق وعده لوالده، وهذا ما حال دون أن يلتحق بالأزهر ويصبح أزهرياً. لكن ظهرت موهبة حسن البنا مبكراً في العمل السرى وتخويف الآخرين، أو من يرى،

وهو طفل، أنه لا يسير على الصراط المستقيم، إذ كان يحرر خطابات موجهة إلى هؤلاء مليئة بالتهديد والوعيد لأناس مسلمين من أبناء بلدته، وقد أمسك به ذات مرة صاحب مقهى فشكاه إلى والده طبقاً لروايته هو في مذكراته، هذه الموهبة والميل الغريزي لديه في العمل السري سوف تصاحبه طوال حياته وستكبر معه، خاصة بعد تأسيس جماعة الإخوان المسلمين.

في اللائحة الأولى لجماعة الإخوان ١٩٣٠م، نجد فيها نصاً واضحاً على أن الجماعة ليس لها صلة بالسياسة من قريب أو بعيد، وأنه لا يجوز في اجتماعاتها انتقاد الشخصيات العامة بالأسم ومن يفعل ذلك يخرج رئيس الجماعة فوراً من الاجتماع، لكن في اللائحة الثانية للجماعة اختفى ذلك تماماً، وظهرت فيها بنود هي من صميم العمل السياسي، وحول حسن البنا جماعته لتصبح مشرعاً سياسياً - في القام الأول - وما عدا ذلك من نشاط جماعته هو مجرد حواش وغطاء لذلك المشروع، والحق أن عين حسن البنا كانت على السياسة منذ وقت مبكر، ويبدو ذلك حين وجدناه يبعث برسالة إلى الملك فؤاد حول التعليم الديني، امتلأت الرسالة ثناءً ومديحاً على الملك فؤاد، الذي لم يكن كثير من المصريين يحبونه، وأمراء الأسرة العلية والوزراء والكبراء، من البداية كان يبحث عن موطن قدم له في السياسة وعالمها، آنذاك لم يكن لديه الكثير من مؤهلات العمل السياسي، فضلاً عن أدواته، كانت المؤهلات أن يكون صاحبها نال حظاً كبيراً من التعليم في إحدى الجامعات الكبرى بأوروبا أو أن يكون من كبار علماء الأزهر، أو أن ينتمى إلى واحدة من العائلات الكبرى في المجتمع المصري أو أن يكون قام بدور وطني كبير في أثناء ثورة ١٩١٩م أو أن يكون لعب دوراً بارزاً في قضية ما، وأخيراً أن ينتمى إلى واحد من الأحزاب القائمة، ويتم تصعيده من خلاله، وهو كان بلا أى ميزة من تلك الميزات، فقد نال حظاً متواضعاً من التعليم، لم يتخرج من أى من الجامعات الأوروبية، ولا حتى من الجامعة المصرية ولا جامعة الأزهر، لقد نال دبلوم دار العلوم، أى أنه لم يبل حتى الشهادة العالية،

ولم يكن من ذوى الثقافة الواسعة مثل عباس العقاد، لم يكن البنا يعرف حتى اللغة الإنجليزية، ويذكر جمال البنا أنه ذات مرة طلب إلى شقيقة الأكبر أن يدرسا معاً كتاباً بالإنجليزية، وكان يقصد أن يلم الشقيقتين ببعض مبادئ تلك اللغة، فرد عليه شقيقه رداً أجمه تماماً، وينم عن الرفض الكامل، إذ قال له قم نقرأ آيتين في القرآن أحسن<sup>(١)</sup>. وهو لم يكن شارك في ثورة ١٩١٩م، صحيح أنه كان لا يزال بالحمودية، والثورة عمت البلاد المصرية كلها، هو لم يكن منخرطاً في تلك العملية، بينما وجدنا سيد قطب في «طفل في القرية» يحدثنا عن مشاركته بالخطابة بين أبناء بلدته ضد الاحتلال الإنجليزي ومناصرة الثورة وزعيمها سعد زغلول.. وكان حسن البنا من أسرة فقيرة وبسيطة، يكده عائلتها بشرف وكرامة لرعاية أسرة كبيرة العدد بالأبناء والبنات، هو كذلك لم يكن عضواً بأي حزب ولا كانت لديه رغبة في الانضمام إلى أى حزب، كان يكره الأحزاب ويرفضها، ويبدو أنه فهم الأحزاب السياسية القائمة والحزبية عموماً، بالمعنى الذي أشار إليه القرآن الكريم للأحزاب التي كانت مناوئة للرسول وللإسلام في بداية الدعوة بمكة المكرمة ثم المدينة المنورة.

لم يكن مستريحاً للأحزاب القائمة ولا لمبدأ الحزبية عموماً، لكنه كان يحب السلطة ممثلة في ملك البلاد؛ لذا وجدناه يتعين الفرص لمخاطبة الملك فؤاد والإشادة به، لكن الملك فؤاد كان وقتها في نهايات حياته، وكان مستبداً طاغية فلم يكن مستعداً للانتفات إلى هؤلاء الذين يكيلون له المديح، هذا بالنسبة إليه العادى أو تحصيل حاصل، لكنه كان متنبهاً بكل قرون الاستعمار لديه وموهبة التسلط والطفاني إلى أولئك الذين يمكن أن يهددوا انقراضه بالعرش، ولم يكن هناك ما يراه تهديماً له غير حزب الوفد وسعد زغلول، وكان سعد قد رحل إلى بارته منذ سنة ١٩٢٧م، فأراح الملك فؤاد من خصم عنيد، وهكذا لم يجد حسن البنا موطئاً عند الملك فؤاد ولا عند المحيطين به، لم يشعر به أحد وقتها، لا بين الأحزاب ولا بين

(١) راجع في ذلك جمال البنا: رسائل حسن البنا الشاب إلى أبيه.



العاملين بالديوان الملكي، لكن الفرصة جاءت مواتية بعد ذلك، فقد توفي الملك فؤاد فجأة سنة ١٩٣٦م، وكان ولي عهده الأمير فاروق خارج مصر يدرس في لندن، وكان لا بد أن يعود وبدأ التنادي به ملكًا على البلاد، كانت الملكة نازلي والدة فاروق مصابة بجنون أن يكون ابنها ملكًا، لكن لم تكن العائلة الملكية كلها مريحة بذلك، خاصة الأمير محمد على الذي كان ينتظر ويحلم، ويسمى لدى الإنجليز لتنصيبه ملكًا، فهو كما يرى الأحق، وكان هناك من على استعداد لأن يستمع منه ويتعاطف معه، فإذا تم تجاوز هذه العقبة كانت هناك عقبة أخرى تتعلق بعمر فاروق فلم يكن قد بلغ سن الرشد بعد؛ ولذا كان يسمى الأمير محمد على أن يتولى هو، ولو لفترة مؤقتة، إلى حين بلوغ فاروق السن القانونية.

بإزاء هذا كله كان الاستعداد جاريًا لدى الديوان الملكي لتجهيز استقبال شعبي حاشد ومهيّب للملك الشاب فور وصوله إلى الإسكندرية قادمًا بالبحر من لندن، وأن يكون الاستقبال متمدًا من الإسكندرية إلى القاهرة، ليقنع الجميع داخل الأسرة العلوية أن فاروق هو الملك القادم وليس أحد غيره، وأن جماهير مصر تريده هو، وكانت فرصة حسن البنا الذهبية أن يشارك في هذا الاستقبال وأن يعلن للجميع عن نفسه وعن جماعته، وأن يقول لهم «نحن هنا»، حين توفي الملك فؤاد نماه حسن البنا نوعًا مؤثرًا، وكأنه كان كل شيء لمصر والمصريين، بل وللعرب كلهم والمسلمين أجمعين، ثم للإسلام ذاته، ورجب بالقادم الجديد «مات الملك.. يحيا الملك» وكان البنا على رأس أفراد الجماعة الذين اختارهم هو للمشاركة في استقبال الملك، وكان معهم أيضًا من سيصبح الرشد الثالث للجماعة عمر التلمساني المحامي بشبين القناطر وقتها، وبينما كان المطلوب - فقط - استقبال جيد للملك الشاب، تقدم حسن البنا وجماعته خطوة، فقد أعلنوا مبايعة الملك، فكان استقبال ومبايعة.. فتج ذلك الاستقبال شهية حسن البنا للسلطة وللسياسة، فبعدها بعامين يشرع في تأسيس التنظيم الخاص، الذي سيصبح في غضون سنوات قليلة الذراع الباطشة لحسن البنا،



ومع قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، وحالة السبوتلة في موقف مصر... هل نحتاج إلى بريطانيا بحكم أن جيشها يوجد على أرض مصر، أو نحتاج إلى المحور على طريقة عدو عدوى صديقى، وجدنا البنا يسعى إلى اختراق الجيش المصرى بتجنيد ضباط ومجندين به، وتصبح له خلايا داخلية، ويروى أنور السادات في مقال له بالجمهورية أنه رأى حسن البنا سنة ١٩٤٠م وهو يجمع السلاح ويقوم بتخزينه، وأن ذلك كان يتم حتى دون علم الأعضاء الكبار بالجماعة، كان جمع السلاح يتم بناء على صلات خاصة ومباشرة بين البنا وتجار هذه الأسلحة، ذات مرة كان السادات عند حسن البنا ورأى جنديًا بالجيش، كان السادات يعرفه، يدخل على البنا، وكان المجدد يحمل صندوقين، وحين رأى السادات خاف الجندى، لكن البنا طمأنه، وفتح الصندوقين، ليجدهما مملوءين بمسدسات جديدة<sup>(١)</sup>، أى أن هذين الصندوقين جيء بهما من مخازن الجيش مباشرة. كان البنا موهوبًا بحق في العمل السرى، لم يجمع السلاح والذخيرة فقط، ولكنه استعان بمن جندهم من ضباط الجيش لتدريب أعضاء التنظيم الخاص في صحراء المقطم، وهى حينها غير مأهولة، ولا يقترب منها أحد.. ودفع البنا بعدد من أعضاء التنظيم الخاص لاختراق الجماعات والأحزاب التى رأها منافئة ومنافسة له، فقد زرع بعض الأعضاء داخل الخلايا والتنظيمات الشيوعية ثم داخل مصر الفتاة، وداخل الحزب الوطنى وهكذا.. اخترق القوات المسلحة وجهاز الشرطة، وبقيت أمامه الدائرة المحيطة بجلالة الملك، وكان يسعى إلى اختراق هذه الدائرة بهدف الوصول إلى الملك نفسه والاجتماع به. كان حلم البنا أن يلتقى الملك وجهًا لوجه وأن يجلس معه، أتاحت له الجماعة أن يجلس مع النحاس باشا ويساومه سنة ١٩٤٢م وأن يجلس مع إسماعيل صدقى باشا، ولكن بقى أمامه الملك، وهكذا طلب من أنور السادات أن يتحدث إلى صديقه د. يوسف رشاد، كى يرتب له لقاء مع الملك، كان المسمى الرسمى ليوسف رشاد أنه طبيب الملك، لكنه

(١) الجمهورية : عدد ٢١ ديسمبر ١٩٥٣م.

كان أكثر من ذلك، كان موضع ثقة الملك ويؤدى مهامًا خاصة للملك، من بينها الإشراف على «الحرس الحيدى» الذى يقوم بمهام خاصة للملك تتعلق بتصفية خصومه وقتلهم.. وتحدث السادات مع يوسف رشاد، واقنع رشاد، وحاول أن يتحدث مع الملك ليستأذنه ابتداءً فى أن يجلس مع البنا ليعرف ما لديه، لكن الملك لم يأذن ليوسف بمقابلة البنا، ولم ييأس البنا وعاد يطلب من السادات أن يكرر المحاولة، وكانت علاقة البنا والسادات قد توثقت، وهى علاقة سياسية فى القام الأول، وتحدث السادات مع يوسف رشاد، وكرر رشاد المحاولة مع الملك، لكن الملك، هذه المرة، نهزه، وأبعده لمدة عشرة أيام، لكن حسن البنا كان مصرًّا أو كان لحوخًا فلم يلبث أن كرر الطلب للمرة الثالثة، وكانت المفاجأة أن الملك استجاب هذه المرة وأذن ليوسف رشاد أن يقابل البنا، وتمت المقابلة، كان يطلب البنا أن يسمح له بالجلوس مع جلالة الملك ليعبر له عن التأييد والساندة، فضلاً عن المايعة، وذهب يوسف إلى الملك سعيًا لينقل له هذا الذى سمعه، ورأيه أن يلتقيه الملك، وكانت المفاجأة الثانية أن الملك رد على يوسف رشاد «حسن البنا ضحك عليك يا يوسف»<sup>(١)</sup>..

ترى هل كان الملك يعلم بما يقوم به البنا من محاولات لاختراق الجيش المصرى وتشكيل خلايا تدين بالولاء له وليس للعرش وللملك؟ هل وصل إلى الملك نبأ علاقات حسن البنا الخارجية وتلقيه أموالاً من بعض هذه الجهات مثل شركة قناة السويس التى كانت رمزًا للاحتلال البريطانى فى مصر، هل كانت لدى الملك تفاصيل اللقاء الدائم فى جدة بين البنا ونائب وزير المالية السعودى، من قبل أن تعترف مصر بالملكة العربية السعودية وقيل أن تكون هناك علاقات رسمية بين الدولتين؟ هل بلغ الملك أن هناك لقاء دائمًا يتم بانتظام بين البنا وأحد ضباط السفارة الأمريكية؟ هل ... هل ... هل ...!

(١) القصة كاملة رواها أنور السادات فى مقال له بجريدة الجمهورية عدد ٤ يناير ١٩٥٤. وراجع أيضًا محسن محمد: من قتل حسن البنا؟.

لا تستبعد ذلك، فالملك فاروق كانت لديه طرق خاصة للحصول على المعلومات ومعرفة كل ما يريد أن يعرفه، وقد عرف الكثير والكثير<sup>(١)</sup>، لكن الأمر يؤكد أن الملك فاروق لم يثق يوماً في حسن البنا، كل زعماء مصر من الوفد إلى الأحرار الدستوريين تعاملوا لبعض الوقت مع البنا واستفادوا منه، لكن فاروق لم يأمن له أبداً، لقد ترك الديوان الملكى يستفيد في بعض المواقف من جماعة البنا، وأن يوظفها ويوظف البنا للقيام ببعض الأدوار، لكن فاروق لم يتغير رأيه أبداً في حسن البنا، رغم أن البنا كان من أكثر وأشد الذين نافقوا فاروق بشتى السبل، ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أن فاروق يجلس في القصر معزولاً، لا يعرف شيئاً بعيداً عن السهرات والمجالس الخاصة، كان حسن البنا يمتاح الملك وينافقه في كل مناسبة وأحياناً بلا مناسبة، لكنه حين يذهب مع إخوانه خارج القاهرة يجدهم بخطاب آخر، مثل أن الملك بالبيعة وليس بالورثة!

أخذ حسن البنا جماعته عنوة إلى ميدان السياسة، وتعامل في السياسة بطريقة الهجوم والقصاص، يقتنص موقفاً هنا وينتهز مكسباً هناك؛ ولذا اتخذ الكثير من المواقف المتناقضة، يهاجم الوفد بضراوة، لكن حين يصبح مصطفى النحاس رئيساً للوزراء سنة ١٩٤٢م ويحقق للجماعة بعض المكاسب يمتدحه البنا، وتصل قمة المأساة مع النقراشى، الذى يقود حسن البنا بنفسه مظاهرة سنة ١٩٤٧م لمناصرته، وما أن يصدر قرار بحل الجماعة، حتى يقتله رجاله.

قدم البنا - كذلك - عدة خطابات متناقضة ومتلونة، مثلاً يقتنع رجال السفارة الأمريكية بأن التنظيم الخاص تأسس لمكافحة الشيوعية والشيوعيين في مصر، وكان ذلك هدفاً عزيزاً لدى الولايات المتحدة، وإذا كانت السفارة الأمريكية اقتنعت بذلك، فهذا لا يمنع أن تغض السفارة البريطانية الطرف عن هذا التنظيم، وما أن

(١) راجع في ذلك: د. حسين حسنى «سنوات مع الملك فاروق» دار الشروق ط ١ سنة ٢٠٠١م.

يكشف الوجه القبيح للتنظيم أمام المصريين بعد العمليات الإرهابية التي قام بها. خصوصاً اغتيال المستشار أحمد الحازندار حتى يصبح البنا بأن التنظيم تأسس لمكافحة الصهيونية في فلسطين ومقاومة الاحتلال البريطاني في مصر، واعتبر حسن البنا أن تحرير فلسطين يبدأ من حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية وبعض المحلات المملوكة لليهود في مصر، والواقع أن حسن البنا بمحض إرادته اختار مع السياسة طريق الدم واندفع فيه إلى النهاية وحين أوشكت الدائرة أن تدور عليه من جراء جرائم التنظيم الخاص صاح قائلاً: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين».

★★★

حين جرى اغتيال أحمد ماهر، لم يكن ماهر عدواً للإسلام، ولم يصدر فتوى بقتله، كان أحمد ماهر زعيماً وطنياً لكنه قتل بسبب عدم نجاح حسن البنا في الانتخابات النيابية، ومع الوقت كان يبتعد البنا عن أهدافه الأولى المعلنه، ويلقى بنفسه في ألأعيب السياسية، المعلن منها والسري، المشروع وغير المشروع أو المسموح به منها والقدر أيضاً، فللسياسة جانبها القذر وقد عشقه حسن البنا، وكان هناك بعض الشبان في الجماعة يرون ذلك جيداً.. يلاحظون ويتبهون، ربما لم يكن لديهم كل التفاصيل عما يقوم به مرشدهم، فحاولوا التنبيه وأرادوه أن يتجنب تلك الطرق، ويعود إلى العمل الذي قاموا من أجله، لكنه أبى ورفض، ثم كان أن استعلى عليهم، وبعد بأس انفضوا عنه وعن جماعته، وأسوا لأنفسهم جماعة جديدة باسم «جماعة شباب محمد»، واستغرق ذلك حوالى عامين، تحديداً بين عامى ١٩٣٩م/ ١٩٤٠م، والتاريخ مهم، فقد كان خروجهم ذلك في أعقاب تأسيس التنظيم الخاص والاندفاع العنيف للمرشد في طرق السياسة وانغماسه في أحوالها.

تكررت محاولة التنبيه والإصلاح من داخل الجماعة مرة ثانية ولكن من وكيل الجماعة أحمد السكرى، والواقع أن فضل السكرى على البنا كبير، والارتباط بينهما طويل، ومن ثم كان يجب أن تؤخذ ملاحظاته بجديّة واهتمام، لكن المرشد تصرف



كما حكم فرد، صاحب قرار مطلق، كان السكبرى يرى الكارثة التى يندفع نحوها حسن البنا ويأخذ معه الجماعة، وكان يحاول أن يوقف اندفاعه، فأصدر المرشد قراراً بعزله من كل مواقفه وفصله نهائياً من الجماعة وتم تمرير القرار على مكتب الإرشاد. كانت تهمة السكبرى لدى البنا هى «التمرد على القيادة»، وقال السكبرى للبنا فى رسالة إليه مذكراً بإياه ومخذراً له من «الإغراق فى السياسة الخيرية إغراقاً تاماً وتقليب فى هذه السياسة وتناسى أهدافنا السامية مما جعلنا موضع مساومة للجميع...»، فصل السكبرى دون أى إجراء قانونى، لم يتم تحويله إلى تحقيق، ولم يطلب منه دفاع ولا سمح له بذلك، فقط قرار من «فضيلة المرشد».. واعتبر السكبرى.. ناقضاً للمهد، حائثاً لليمين خارجاً على الجماعة، محارباً للدعوة وكذلك كل من اتصل به أو ناصره. وهكذا نجح اتجاه البنا ولم يعد هناك من يمكن أن يناقشه أو يراجع، وفرح البنا بتنظيمه الخاص والجيش المدرب والمسلح الذى جهزه وسعد بجهاز المخابرات الذى شكله والإذاعة السرية التى أسسها .. لم يكن يدرى أنه بذلك ينهى حياته هو ويقضى على الجماعة.

لم تكن النصائح والتحذيرات تأتى من داخل الجماعة فقط، بل جاءت من خارجها أيضاً، لكن حسن البنا كان منطلقاً كالقطار السريع لا يريد أن يتراجع خطوة واحدة، كان يسير فى طريقه لا يريد أن يلتفت يميناً ولا يساراً، يذكر د. إبراهيم بيومى مذكور أنه بعد عودته من البعثة التعليمية فى فرنسا، استأنف علاقته بزميل دراسته فى تجهيزية دار العلوم حسن البنا، كانت عودة د. مذكور إلى مصر سنة ١٩٣٥م، وعرض عليه البنا أن ينضم إلى جماعته وإلى جواره، يقول د. مذكور «كان يرغب فى أن أكون إلى جانبه فى جماعة الإخوان المسلمين»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع د. إبراهيم بيومى مذكور: مع الأيام .. شيء من الذكريات، كتاب الهلال، أكتوبر ١٩٩١م، ص ٤٩.



رفض د. مذكور هذا العرض، وكانت لديه أسيابه الوجهية في ذلك، ويقول له هو «صارحته أنني أؤيدها إن التزمت بأهدافها الثقافية والسلوكية، أما أن تسلك ميدان السياسة فذلك طريق سلكته من قبل، ويتطلب أوضاعاً وأساليباً لم تنتهيا الجماعة لها»<sup>(١)</sup>.

كان د. مذكور واضحاً وكان اعتراضه يستحق أن يتوقف عنده حسن البنا، فهو زميله القديم، وابتعد الطريق بينهما، ومن ثم فهو يقول رأياً مخلصاً ومجرداً، وهو من عائلة سياسية، يعرف دهاليز السياسة في مصر وما يجري فيها، وهو كذلك قضى سنوات مهمة في أوروبا، كان ينتقل بين فرنسا وعدده من البلدان المجاورة لها، وتابع كذلك ما يجري هناك في مجال السياسة الدولية، وبعد ذلك كله هو أستاذ الفلسفة والدراسات الإسلامية، ومن ثم فهو متابع جيد للفكر والحركة الإسلامية، لكن حسن البنا ألقى هذا كله وراء ظهره، لم يكن يريد لأحد، كائناً من كان، أن يشير عليه بالاعتماد عما خطط له وحلم به، كان مأخوذاً بالأعيب السياسية والسلطة، ويتمنى أن يصبح لاعباً أساسياً فيها، إنه حتى لم ينتبه إلى قول د. مذكور بأن الجماعة لم تنتهياً بعد للعمل السياسي وأن اللعب في السياسة يستلزم أوضاعاً وشرطاً معينة، فضلاً عن أساليب خاصة، ليست متاحة له ولا لجماعته، كان د. مذكور موجزاً وهو يكتب ولكن لا بد أنه شرح رأيه باستفاضة لزميله القديم.

والواقع أن المؤمن كيس فطن، كما روى عن رسول الله، لكن الفطنة غادرت حسن البنا في هذا الجانب، لقد عرض على د. هيكل أن ينضم إلى الجماعة وأن يصبح رئيساً لها، لكن د. هيكل اعتذر للسبب نفسه، تلميحات لا تصريحاً، ولم ينتبه البنا ولم يكن لديه أي استعداد لذلك.

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الاعتراض على انخراط البنا فى العمل السياسى جاء من الأحزاب الأخرى، وعبر عنه مصطفى النحاس مباشرة لحسن البنا، لكن الأخير تصور أنه الأقوى.. وجبّ يدخل إنسان العمل السياسى ومعه فكرة تمثل لديه اليقين المطلق، ومن خلقه مليشا خاصة يخيف بها الآخرين والمخالفين له، فويل للجميع منه وويل له من نفسه.

★★★

كان حسن البنا فى بداية حياته يسعى إلى أن يكون صوفيًا، وانضم فترة إلى «الطريقة الحشافية». ومن المعروف أن التصوف الإسلامى بدأ بالزهد والترفع عن صفات الحياة ومحاولة الاقتراب أكثر من الله سبحانه وتعالى، واستمرت هذه المرحلة فى القرنين الأول والثانى الهجريين، ثم انتقل التصوف إلى ما بات يعرف بالتصوف الفلسفى أو المذهبى حيث اختلطت به بعض الأفكار من فلسفات وثقافات أخرى، فصار فيه الظاهر والباطن لكن بالمعنى الإيجابى وليس بالمعنى التامرى والسلبى، ناسبيًا على أن هناك سرًا لا ينبغي للمتصوف أن يبوح به لغير الله سبحانه وتعالى، وحين صلب الحلاج قال محبوه إنه ما لقى هذا المصير إلا لأنه كشف للبشر ما لا ينبغي أن يكشف لهم، ومع هذا اللون من التصوف صارت هناك قواعد تنظيمية تحكم العلاقة بين المرشد والمريد.. ومن يقرأ الرسالة المنسوبة إلى محيى الدين ابن عربى «فى آداب المرشد والمريد» يجد أن العلاقة بينهما هى أقرب إلى أن تكون علاقة عبودية.. ليست علاقة أستاذ بتلميذه، ولا هى علاقة أبوية تربط بين أب وابنه، بل هى علاقة السيد بالعبد، ليس فيها أى ندبة. ليس للمريد أن يتكلم نهائيًا فى حضرة المرشد إلا إذا طلب منه ذلك، وليس له أن يناقشه فيما يقول ولا أن يعترض عليه، ولا أن يرفض أى طلب يطلب منه، حتى لو كان فيه إزهاق روحه، وأن تكون روح المريد وحياته فى يد المرشد كجثة الميت بين يدي من يقوم بمُسلها.. وإذا توفى المرشد ليس للمريد أن يتزوج من زوجته.. وهكذا.. وأظن أن حسن البنا أخذ من التصوف وقرائنه فيه هذا النمط من العلاقة، للاحظ أنه لم يسترح لمسمى رئيس

الجماعة، بل فضل «المرشد العام».. فالرئيس له سلطة تنفيذية وقرارات إدارية، لكن المرشد يتحكم أو يحاول أن يتحكم في روح من يتبعه، هو على الأقل لديه سلطة روحية عليهم، يحركهم أنى شاء هو، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، هذه العلاقة والتنظيم الحديدي أخذته حسن البنا من التصوف، فصار لديه ظاهر وباطن.. جماعة معلنة وتنظيم خاص، خفى حتى عن الكبار في الجماعة.. وطاعة مطلقة من الأعضاء، لا يشوبها أى شائبة، ويصبح الإيمان بالجماعة مرادفاً للإيمان بصاحبها أو المرشد، لا تتم هذه دون تلك، وغياب الثانية أو اهتزازها ينفى الأولى تماماً.. وتأمل ما فعله البنا مع أحمد السكري لا يقل في قسوته - بشاعة - عما كان يصدر من ستالين مع بعض رفاقه الذين يجرجون عليه أو يتصورهم كذلك.

لم يكن حسن البنا رجل علم ولم يكن فقيهاً، لكنه كان رجل تنظيم ومعلومات بالقطرة، ومن يرصد طريقة تشكيل التنظيم الخاص وعمله والاختبارات التي كان يجربها البنا بنفسه لمعاونه وللمقربين منه<sup>(١)</sup>، فضلاً عما قام به مع خصومه، يدرك تواضع قدرات مؤسسى أجهزة المخابرات الكبرى إلى جواره، يغتال رجاله د.. أحمد ماهر دون أن يتركوا بصمة واحدة، ويظل السر مكتوماً لأكثر من أربعين عامًا، ولولا أن الشيخ الباقورى وكذلك الشيخ سيد سابق، خشي كل منهما أن يلتقى الله وهو في دور «الشيطان الأخرس» لما تكلم كل منهما ولما عرفنا بالواقعة.

ويحكى أنور السادات إنه وهو ضابط صغير أراد أن يلتقى الفريق عزيز المصرى، ويعرف حسن البنا تلك الرغبة، فينفذها له، وكان البنا قد طلب من السادات أن يتحدث مع يوسف رشاد لتدبير لقاء بين رشاد والبنا، فأراد البنا أن يجامل السادات ويقدم له - مقدماً - المقابل، وهو أن يحقق له رغبته في لقاء المصرى. يعطى البنا ورقة إلى السادات يذهب بمقتضاها إلى عيادة طبيب في السيدة زينب، ويقول له لا تنسى أن تدفع تذكرة الدخول للطبيب، ويذهب إلى العيادة بالفعل

(١) رصد محمود عساف تفاصيل هذه الاختبارات في مذكراته.

ويدخل حجرة الطبيب، الذي يأخذه إلى صالون ملحق بغرفة الكشف، وما أن يفتح باب الصالون حتى يجد «المصري» أمامه وفي انتظاره. روى السادات هذه الواقعة في أحد مقالاته بجريدة الجمهورية، الغريب أن الملك حسين كان حين يطلب لقاء مع أحد قادة إسرائيل، كانت الموساد تدبر اللقاء بنفس الطريقة، في إحدى العيادات بلندن. ولم يكشف أمر هذه الاتصالات إلا حين كشفها مصادر إسرائيلية عن عمد.. وحين أدار البنا اللقاء بين عزيز المصري والسادات، كان كل منهما مرصوداً من رجال الأمن السياسى ومن السفارة البريطانية، ومع ذلك لم يتمكن رجال الأمن ولا رجال السفارة من اكتشاف هذا اللقاء أو معرفة ما جرى فيه، لولا أن السادات هو الذى أذاعه بنفسه، أما البنا نفسه فلم يكشفه ولا كشفه أحد من رجاله، لأنهم على الأغلب ما كانوا يعلمون به.

ولأن حسن البنا لم يكن صاحب فكر دينى أو سياسى واجتماعى؛ لذا انحصر دوره في اللعب بكواليس السياسة، وفي القضاء الخلفى للمشهد السياسى، يؤيد هذا ويطعن ذاك من الخلف، يستفيد من الجميع ويتلاعب بالجميع وكذلك يتلاعب به الجميع، ومن يكون دوره هكذا سوف تأتى لحظة وينكشف أمره للجميع، وهذا ما حدث له بالضبط بعد اغتيال النقراشى، لم يقف أحد إلى جواره لأنه لم يكن صديقاً لأحد، كان يقدم الخدمات للبعض في مقابل مدفوع فوراً، أيما كانت أشكال ووسائل الدفع، قد يكون الدفع مالياً أو في شكل امتيازات وتيسيرات تمتح له ولجماعته؛ لذا لم يكن له مكرمة لدى أحد أو دلال عند أى طرف، وفي العادة فإن من يضع الآخرين في نقاط ضعف أو يترصدتهم مما يتصور أنها نقاط ضعف لديهم، وفي الوقت المناسب يستغلهم أو يبتزهم ويتنزع منهم بعض المكاسب، لن يحظى باحترامهم ولا بحبهم، وليس صحيحاً ما يدعيه أنصاره من أن الجميع تخلوا عنه لأنهم كانوا يخشون الفكرة الإسلامية فقد أدانته هيئة كبار العلماء في بيان صدر عقب اغتيال النقراشى، ورغم أنه حاول أن يتخلص، لكن لم يصدقه أحد ولم يساعد هو أحداً على أن يصدقه.



بعد اغتيال النقراشي باشا، بذل حسن البنا جهداً خارقاً في محاولة احتواء الموقف، وسعى لدى كثيرين بهدف إعادة الجماعة، وعرض أن يتوقف نهائياً عن السياسة، وروى عنه أنه تمنى لو لم يؤسس التنظيم الخاص، وأنه بأسى أنه لم يقيم بتربية مجموعة شبان يلتقى بهم الله سبحانه وتعالى، يعملون للدين ولرفعة شأن الإسلام، ومعنى هذا - يفرض أن ذلك القول لم يكن تكتيكياً منه للخروج من الأزمة - أنه كان يعيد النظر في كثير مما قام به، وأنه يحلم بجماعة أخرى وإخوان جدد، بلا ظواهر وباطن وبلا تنظيم سرى مسلح، وبلا قتل وترويع للآمنين أو تهديد للمخالفين. حين أعلن حسن البنا ذلك لم يصدق من تمنى أن يصدقوه، تحديداً إبراهيم عبد الهادي الذي كلفه الملك بتشكيل الحكومة خلفاً للنقراشي، وكان إبراهيم عبد الهادي يستمع إلى الرسائل والوساطات التي يبعث بها البنا إليه، وكان أكثر إصراراً من النقراشي، لا بد أن يعلن البنا للحكومة أسماء أعضاء التنظيم الخاص وعليه كذلك أن يكشف عن مخازن الأسلحة والذخائر التي لديهم، ثم بعد ذلك تنظر الحكومة في بقية الأمور، خاصة عودة الجماعة، وكان البنا يصر على أنه لا يعرف ولا علم له بأسماء أعضاء التنظيم ولا شيء لديه عن التسليح، وكرر ما قاله من قبل كي أعرف وأبلغكم إما أن يفرج عنهم جميعاً أو يعتقل معهم، فاعتبر ذلك مناورة منه.. وفي النهاية فإن إبراهيم عبد الهادي ومن ثم الحكومة وكذلك الديوان الملكي لم يشقوا كثيراً في إعلان البنا استعداداً للابتعاد عن السياسة وعن العمل السرى.

الطريف في هذا الأمر أن جماعة البنا أيضاً لم تصدقه أو لم تأخذ مزاعمه وأقواله على حمل الجدل، واعتبرتها من قبيل «كلام المفاوضات»، فلم ينفذوا كلمة واحدة مما قاله ولا التزموا بشيء منه، بل فعلوا ما ندم هو عليه وقتئذ لم يقم به، والحادث أنه في عام ١٩٥١م عادت الجماعة إلى العمل واختير المستشار حسن الهضيبي مرشداً عاماً للجماعة، وكان اختياره برضاء ومباركة القصر الملكي لصلته بمصاهرة كانت تربطه بهمراد محسن ناظر الخاصة الملكية، وقد حاول الهضيبي تحجيم التنظيم الخاص، لكن



كان التنظيم أقوى منه، وغرقت الجماعة في العمل السرى أكثر من العمل العلنى، وألفت بكل ثقلها في العمل السياسى، سواء في الشهور التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، من اتصالات مكثفة لهم بالضباط الأحرار، ثم بعد ذلك تدخل الحزبى وجماعته في الخلاف الذى نشب بين اللواء محمد نجيب ورفاقه من الضباط الأحرار، والأدهى من ذلك تدخله في الصراع بين الضباط الأحرار ورجال السفارة البريطانية، وكان التدخل «سرياً» أى دون علم الضباط ودون التنسيق معهم، وحدث ما حدث في سنة ١٩٥٤م حيث حاولت الجماعة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنية بالإسكندرية، ثم عادت الجماعة مجدداً في السبعينيات، لتعمل بنفس النسق ونفس العقيلة، أى السياسة أولاً، وما دون ذلك يأتى بعدها.. ولأنه لم يعد لدى الجماعة سوى السياسة واللعب في كواليسها، فإنهم باتوا أكثر تمسكاً بها وإصراراً عليها وأشد ابتعاداً عما هو دنى ودعوى، وفي السنوات الأخيرة شهد المجتمع المصرى العديد من القضايا لم نسمع للجماعة صوتاً فيها، تأمل وفود بعض الكهول من دول مجاورة ليتزوجوا فتيات قُصُر، مقابل مبلغ مالى يتم دفعه لأهلها، استغلالاً لفقرتهم وعوزهم، وأحياناً يتم الزواج بالتوكيل وهو مخالفة مباشرة وإهدار لقيم الدين وكل القيم الإنسانية، ويصنف هذا الزواج على أنه نوع من النخاسة أو الرق المعاصر.. ومع ذلك وجدنا من الليبراليين واليساريين من يتصدى لتلك الظاهرة، وهم من يصنفون في خانة «العلمانيين» في قاموس الجماعة، أما الجماعة التى ترفع شعار «الإسلام هو الحل» فلم تعباً بهذه القضية، ولم تتوقف عندها، فضلاً عن غيرها من القضايا المشابهة.

تحدث إحدى الأساطير القديمة عن ذلك الذى غرق في بحيرة من العسل، وكان كل من يراه يتمنى لو خاض معه هذه البحيرة، ليكون محاطاً بالعسل.. يأكل عسلاً ويشربه ويستحم به، لكن لم ينتبه هؤلاء إلى أن العسل لزج وثقيل، فلا يمكن صاحبه من السباحة ولا يتيح له أن يتمكن من الخروج إلى الشاطئ ليمارس حياته

العادية، فضلاً عن أنه وهو وسط العمل لن يقترب منه أو يحيط عليه سوى الذباب أو النحل ليلدغه، وهكذا حال جماعة الإخوان الآن، ومنذ أن نزل حسن البناء بحيرة العمل بكامل إرادته ورغبته، لم تبح الجماعة مكانها يوم أن تركها حسن البناء.. ظاهراً وباطناً.. عمل علني وآخر سري، صفقات مع الجميع وضد الجميع، التنسيق حتى مع الشيطان إذا كان في ذلك مصلحة لهم، تنظيم حديدي يساوى حديدية سنالين، ترى هل يقدر للجماعة أن تتجاوز تلك المرحلة وتخرج من بحيرة العمل أم أن الدودة فعلاً في أصل الشجرة؟!

## الملاحق

- ١- الفصل المحذوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م ويتعلق باستقبال حسن البنا والإخوان وببإيادهم للملك فاروق.
- ٢- وفد الإخوان في القصاصين، بعد تعرض الملك لحادث القصاصين (مجلة الإخوان) وفي الخبر تعرض من الصحف الأخرى.
- ٣- صورة الملك فاروق غلافاً لمجلة "القدوة الصالحة".
- ٤- تهنئة الملك بعيد ميلاده سنة ١٩٤٧م، وهي تهنئة سنوية، لم تتوقف حتى اغتيال حسن البنا.
- ٥- الإخوان يستجيبون لنداء الزعيم (مجلة شباب محمد) سنة ١٩٤٢م.
- ٦- نظر الفاروق السامي ورأيه الناقب. حسن البنا ١٩٤٦م.
- ٧- التقرائي بطل الغلاف.. (٢ فبراير ١٩٤٧م) هي صورة من ثلاثة أغلفة في أقل من شهرين.
- ٨- الطابور الخامس.. مقال في الهجوم على المعارضة (مجلة الإخوان المسلمون ٣١ مايو ١٩٤٧م العدد ١٥٤).
- ٩- الطابور الخامس يتحرك... وهو مقال يتهم النحاس والوفد بالخيانة (مجلة الإخوان المسلمون ٢٦ يوليو ١٩٤٧م العدد ١٦٢).
- ١٠- غضبية في سبيل الله (مجلة النذير).
- ١١- رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على غلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٦م.
- ١٢- مصر الفتاة تتقدم (تحية من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم).
- ١٣- تهنئة الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨م.
- ١٤- تقرير عبد الرحمن عمار.
- ١٥- التماس البنا إلى جلالة الملك.
- ١٦- حسن البنا يخرض على قتال الأقليات - القمصن سر جيوس - المنارة المصرية.
- ١٧- حسن البنا يخرض على قتال الأقليات - القمصن سر جيوس - المنارة المصرية.
- ١٨- سلامة موسى والإخوان.
- ١٩- سلامة موسى والإخوان.
- ٢٠- سلامة موسى والإخوان.
- ٢١- سلامة موسى والإخوان.

(١)

الفصل المحذوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى ١٩٥٠م  
«الإحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد  
وتقديم فروض التهئة والولاء بهذه المناسبة الميمونة».

#### المؤتمر الرابع للإخوان

والإحتفال بحضور جلالة الملك وتسلمه مقاليد الأمور

وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية وبإشرافه  
سلطته أن يحتضروا بهذه المناسبة وأن يقدموا مؤتمر الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب  
الفترة الآتية :

قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الإحتفال بحضور جلالة مولانا الملك  
المعظم (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهئة والولاء بهذه  
المناسبة الميمونة . وتأسست لجنة من حضرات :

عبد الحلبي أحمد بك وعبد عبد الرحمن بك وعبد القادر غنار بك وعبد زهري أفندي  
والدكتور محمد زكي شاهين وقضية الأستاذ الشيخ الطنطاوي جومري والأستاذ  
عبد المعظم الهادي وعلان مندوب المكتب بالشرقية والأستاذ الشيخ محمد عفيف  
عبد الحافظ رئيس الإخوان في الرح والأستاذ عمر الطلساني الهادي بشيخين الناطق  
ومندوب الإخوان بها وعمود البراوي أفندي للاتصال بنسب الإخوان وبالجهات  
المنهضة ووضعت النظام اللازم. ومقر اللجنة الرئيسية دار الإخوان رقم ٥ بالتيه الخمرام.  
وقد اختيرت مدرسة النيل الثانوية بشبرا لتكون مقراً لاجتماع الإخوان ووافق  
مديرها حينذاك الأستاذ سيد باناشا مستكراً على ذلك ، وتوافد الإخوان في الموعد المحدد  
وحضات بهم رباب المدرسة على ستمها وانتظم الإخوان الموالون في طوابيرهم استعداداً  
لهذا الحفل العظيم . ومنتقل وصفت موكب الإخوان من عجلهم في «الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

شند لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة

٢٠٠٠٠ ألف أو يزيدون — بطل العالم يحمل اللواء — بين دار الإخوان  
وقصر بابطين — سيحلت الحق تتجاوب في أرجاء السماء : الله أكبر وقد الحمد —  
القرآن دستور الدنيا — الإسلام منقذ الإنسانية .

لم يكبد بطل الزكر العام للإخوان المسلمين بالقاهرة الشعب التابعة له بالأفانيم  
عزبه على هذا الحشد وصدور الأوامر إلى فرقته العسكرية بالرحف إلى القاهرة حتى أتهم  
سبل الإخوان إلى دار الضيافة بدار مدرسة النيل الثانوية بشبرا ، ولم يتقطع تيار  
الوفود منذ سبعة أيام التلاوة إلى منتصف نهار المجلس يوم التوجع للملكى حتى  
أدخعت هذه الدار على ستمها بيوتلاء العيون الكرام .

وقد حوالت الساعة الثانية مندر الأثر بانتظام المركب قدوى الخفاف (الله أكبر  
وقد الحمد) وأسرع كل وفد إلى مكانه المده له في الصف : ومع النشاط السكافي

والنظام الدقيق استغرق سير الوكب في خروجه من الدار حوالى النصف ساعة على الصورة الآتية :

### السيد نصير بطل العالم يحمل اللواء الأعظم

هذه أول مرة في التاريخ رأيت أو سمعت أن سارية اللواء تبلغ حوالى أربعة أمتار ونصف متر وعليها رقعة فسيحة من القطنية الخضراء ، وقد رسم عليها المصنف في نصف دائرة حلالية وكتب في أعلاها الله أكبر ولله الحمد ومن تحتها الإخوان المسلمون . وقد يستغرب القارئ هذا الوصف ويقاسم وأين الرجل الذى يحمل هذا العلم ؟ ولكن إذا علم بعد ذلك أن هذا الرجل هو السيد بك نصير بطل العالم في حل الاحتمال قد شرح الله صدره للإيمان واعتنق مبادئ الإخوان المسلمين وحاز البطولة بالقوى والورع كما حازها في قوة البدن فلا غرابة إذا كان هو حامل اللواء ويستلم الصفوف .

### فرق الرحالة

وانضمت فرق الرحالة في إثر العلم ، وأردت أن أحسبها عدداً فعددت إلى حوالى المئة صف أربعة أربعة في كل صف ، وحدث بعد ذلك ما منعت من مواصلة العد .

### أعلام الأقاليم

وتبع هؤلاء حملة الأعلام وكانت صفوفهم أكثر من الستين كل اثنين في صف وهذه الأعلام كلها من طراز واحد وقمتها من الجوخ الأخضر رسم على كل منها المصنف في نصف الدائرة الحلالية ومن تحتها ( الإخوان المسلمون ) شعبة النصورة مثلاً ، أو شعبة أسيرط . وهكذا كتب عليها أسماء الشعب .

### الوفود منتظمة في الصفوف

وبعد هذه الأعلام سارت جوع الإخوان المسلمين يلبسون وساماً أخضر اللون وشارة منيرة قد كتب عليها اسم الإخوان ، وانظروا صفوفاً في كل صف أربعة وليس من السهل إحصاء هذه المجموع عدداً إلا بعملية حسابية كالآتى :



- ٢٥٤ -

تسمى في اتجاه عكسي للوكب على حساب دقات الساعة وتسمى كم سناً قطعتها في خمس دقائق وتضرب هذا العدد في أربعة ؛ إذ ذاك يمكنك الإحصاء تقريبا إذا لم يحدث لك من روعة القيام بما يحملك تضطرب في شيتيك .

### سيور الموكب

وقد أخذ للوكب يسير حتى قطع شارع شبرا وتجاوز الكوبري واتجه نحو الجيوب في شارع اللكة نازلي حتى دار الشبان المسلمين وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف ولم يستد إخواننا في الشبان للخروج - وكان هذا هو الودع الضروب بيتنا وبينهم - كما كان اليوم شديد الحرارة والشمس عميقة قرأت القيادة أن تتجه إلى القصر الملكي ثم يلحق بنا الشبان المسلمون .

### الهيئات الإسلامية الأخرى

كان في انتظار الشبان المسلمين بحسب وعدم هيئات إسلامية كثيرة تعمل أعلامها ، فلما رأيت موكب الإخوان المسلمين يتجه نحو السراي الملكية رأيت هذه الهيئات أن تسير تبعا للإخوان إذ أن الوقت لا يسمح بهذا الانتظار خصوصا والزحام شديد والحر أشد ، وفضل الدكتور عبد الحميد سعيد أن يسير في موكب الإخوان المسلمين وأتاب عنه من يتصدر موكب الشبان . وكان سرورنا بهذا الاتحاد لا يذانية سرور .

### في ساحة عابدين

كنت لا تجد في ساحة عابدين موقعا قدام من شدة الزحام وكنت لا أكاد أسمع عددا لك من الهتاف الذي يتردد صدها في الأثير . وهناك انتظم الإخوان على باب القصر راقدين أعلامهم يهتفون ( الله أكبر وفه الحمد ) - الإخوان المسلمون يابسون اللك المنظم .

### عهد الإخوان وهتافهم

لأول مرة في تاريخ مصر الحديث ترى مثل هذه المجموع المنظمة يمثل هذا الإيمان الميق . وذلك الشعور النياض يرددون هذه الماني الخالدة : يهتفون

(الله أكبر والله الحمد) — الإسلام متقد الإنسانية — القرآن دستور الدنيا ومن يتبع غير القرآن قانوناً قد ضل — نياييك على كتاب الله وسنة رسوله .

### في مسجد الكخيا

وقارت الشمس التروب ، فصدت الأوامر للإخوان فهوروا إلى أقرب مسجد  
« مسجد الكخيا » لإدراك صلاة العصر قبل فواته ولم يسهم السجد فيبقى البعض  
في خارجه حتى صاروا فرادى ، بعد انتهاء الجماعة الأولى ، ولم يعلمهم وقت المغرب فضلوا  
وخرجوا يقصدون دارم قبل صلاة المشاء .

### في ميدان التبة الخضراء

قصدا بعد ذلك إلى التبة الخضراء وكان يخيل إليك أن الأمة من أقصاها  
إلى أقصاها انضمت إلى صفوف الإخوان المسلمين تهتف من قلوب ملؤها الإخلاص  
« الله أكبر والله الحمد — لا نريد غير قانون الإسلام » .

وهكنا انتهى اليوم بسلام ، لم يسكر صفوه شيء مما يحصل في مثل هذه الاجتماعات  
عادة ، وكان غاية في الدقة وحسن النظام .

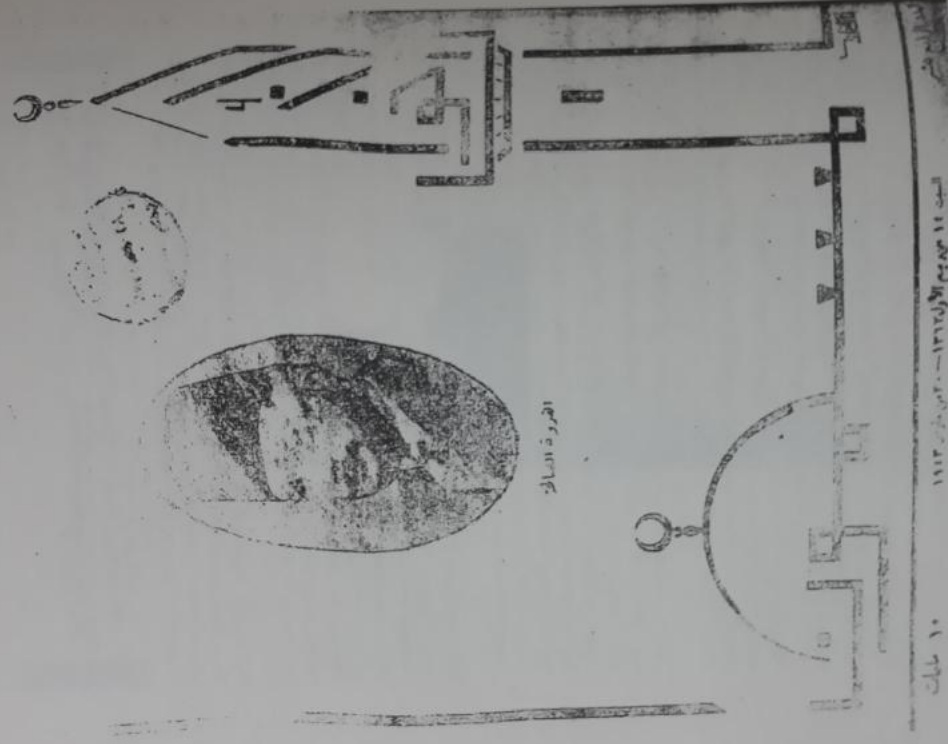
خبر بمجلة الإخوان المسلمون (حول تقدم حسن البنا  
لوقد الإخوان لهيئة الملك بالنجاة من الحوادث الأليم)  
وفي الخبر عتاب وتحريض على الصحف الأخرى التي لم تهتم بهذا الحدث.

## من أبناء الإخوان

وقرر الإخوان في انقصاصين

لطف اللوي القدير بملك البلاد في  
هذه الحادثة التي هزت الشعب وأثارت  
عواطف ولاه الكرامة ، ولقد كان  
الأخوان المسلمون في عاصمة الزايفين  
إلى انقصاصين مكان انقصادم الأليم -  
فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد  
من المركز العام كما ذهبت الوفود ترى  
من شعب الأقاليم والمواضع ومن غرق  
الجوالة : مجدوم جيمعاً شعورهم نحو  
ملك البلاد حفظه الله وعجل له بالعافية  
وسرعة الشفاء ونحن نمتب على الصحف  
تناقلها من تسجيل هذا المظهر الطبيعي  
الذي تشترك فيه كافة طبقات الأمة ١١

نموذج من الأغلفة المتكررة لمجلة الإخوان المسلمون  
وتتضمن صور للملك تحتها عبارة «القادة الصالحة»



١٠ مليك

العدد ١١ من المجلد ١١ - ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٣ م

(٤)

تسنة الملك بعيد ميلاده ١٩٤٧م

وهي تسنة سنوية لم تتوقف حتى اغتيال حسن البنا.

٣

الأخوان المسلمون

من اوراق المذكره

## العصر المفقود

يلتم الرئيس العام

عبد سعيد



بسم الله الرحمن الرحيم  
في هذا العام لم يكن أبهى من ولا أجل  
ولا أكرم في أي عام مضى، إذ خلف  
جلالته مظاهر الاحتفال وأنواره  
سارده وسافر إلى إقليم الصعيد  
رئيسي التكوين منوزود الفقراء  
الذين يؤمنون بطلهم وبره وفكراته  
وعلمه القادوق والعام المحكومة  
والثبات من الأغنياء مثاليين في أعضاء  
بزة محمد علي وجبهة الملل الأخر  
طبا للتكوين - قوسهم البانسة  
أخرج إليه من جسمهم العانية  
ولنا التبريد أن يكون رلاً غنياء  
تلقوا را موسولا بأخذ القدوة  
والثبات من القادوق ، ولا يكون بر  
تسلسات .. مظاهر ا-



الإخوان المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم (مجلة شباب محمد ١٩٤٨م).

## مناجاة .. !!

## الدخوات المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم

الاخوات المسلمون استجابوا للنداء الذي نادى به الزعيم  
وقد أشرتم إلى التطور الجديد في حياة  
السلام كله تطورا . من مقدمة لتطور أخفى  
غيره وأريد أن أرى مظهر التطور في عدم  
غير مظهر اليوم .  
ثم ختمت هذا الحديث . بأن علينا أن  
نعم الطريق المحفوف بالمكاره المحرط  
بالحاطر متوازين . بتجديد مع السموي  
الترقية وإخواننا آباء العزرة الكريمة  
كأبائنا المرحومين . بتدعيم بعض تفرق  
يبرقع فسر الحروب والاعتداء بين الشعوب  
يقوم عدل الحكم على اقتضائهم الظلم  
والاستبداد وننأى الأسم خلال الضائقة  
والسجينة والسلام .  
أخبرنا إلى هذا الحديث ثم طالعتنا  
الصفحة بنصائح الجلية إلى حضرات  
الديين والهاكفين ودعوتكم إليهم إلى  
أن يكونوا أداة سلام ودعاة صلح وتسامح  
بين التلات وأن يدعوا الحيوان والبلاد  
لينبوا مطالب الأهلين وينظروا فيها  
بالعين المجردة عن كل جبرل وهوى فيها  
يستمعوا إلى شكواي المظلومين ويمسكوا  
على دمع الظلم عنهم .  
وقد رأيت الصفح أن مع إلى وزير  
الصفة أخذ يدرس بأهم شكلا البناء  
تعبدا لتخلص مصر من مصائبها فإنه  
والبناء من أدل ما يورث القل .  
والأخوة والأخوات اللطيفة أمام هذه الآمال  
أصبح أن يستجيبوا لتدائكم وأن يملأوا  
أهم حرمهم كل الحرص على أن يكونوا  
هويا للحكم الإسلامي الذي ألتهم  
بمستحسب دائما . آداب الإسلام العالية  
دينامية التربة وأخلاقه العاتقة  
وقد نال أن يربها جميع غير هذا  
الوطن العزيز .

بسم الله الرحمن الرحيم  
حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى  
الناص باشا رئيس الحكومة المصرية  
أحد الكرام الذي لا اله الا هو وأصل  
وأعلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وأسيك فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
وبعد فقد تحدثت رفعتكم إلى الأمة  
المصرية الكريمة حديثا أنا صاحب لاجل متتوه  
كثيرا من المبادئ القوية والأمانى الطيبة  
التي سر كل مصري أن يحققها الله على  
يتكم  
فقد ألتهم بالصراحة والتسامح  
والإخلاص ودعوتكم إلى معارضة  
والقلم لكم بالصلح وودتكم أن تتقبل  
محدونا جميعا بهذه الحال السامية ( فسن  
أبدأ أسرة واحدة من الأمة المصرية  
الكرامة )  
وقد ترون وضعكم انه من دواعي سروري  
أن تعاونوا مع الحكومة في هذه الظروف  
التيقة في تنفيذ سياسة خارجية حكيمة  
وتصميم سياسة داخلية بصيرة . فالواجب  
ينظرون والمصالحة تدعونا إلى أن ننقل  
أفكارنا من اختيارنا وطن . حريتنا  
وقضائنا من هذه الظروف المصيبة . .  
والإحسان من وراء سياسة استقلالتنا القوي  
كما أن الحكومة ساهرة على اتباع سياسة  
مراعية عاطفة طهير الطغاة الفائرة قبل  
ظهرها . ومن واجب الحكومة والبرلمان  
أن يسعوا في دأمر برناجها درس لتسايل

نظر الفاروق السامي ورأيه الثاقب . حسن البنا ١٩٤٦ م. (مجلة الإخوان)

## محمد رشيد ورأيه الثاقب

ولمسة اربعين عاماً من الفرحات وسأيت الأذى في منها الفترات هزئت الفاروق  
وكانت أن أم حبيب فربما أن الفاروق عندنا في طريقه فليس يملكه الخلق القائل :  
الحرف والصلوة والسلام على رسول الله  
والسلام عليك وروعة الله وبركاته  
ولا بعد ، فأنت يا صاحب الجلالة  
حظرة صاحب الجلالة الملك فاروق مؤتمن الأمل ومصدق الرجاء وراعي التبتل  
الأول ملكه والتبتل حلفك ولأبناء القروية ولعروب الاسلام -

في مناقشة مع حكومة بريطانيا زعيم  
من دولنا أن تعمل إلى حق الوطن في  
السلام ووحدة الأراضي حتى يحيا حياة  
الحرية والكرامة والاستقلال في ظل  
مرعك العزيز وعاجك القدوس .

وصلى تحية المناوشات كحالة  
ما كانت على فعل الأمة والحكومة  
تبتل وواجبات تنال لا يمكن النهوض  
بها إلا إذا توحدت الشكامة وتعاشرت  
جهود الصالحين الخاضعين .

وعظمة ليس لها إلا انوار السامي  
ورأيت الثاقب السعيد فتأمل يا مولاي  
وأسميك الكريمة هذه الجراح وأنت  
لم تلتفت ، ووجه دعوتك الدينية  
وأمرتك النافع إلى حمله الأحرار  
والطيمات لتأتي جهماً عند كفايتك وهي  
سكة الوطن العزيز وتذكر عظمة في  
برئاع السبل المستعمل القريب والبريق  
لأن تبتل على كل الفروض حتى لا توجد  
على مرة ولا تفرق من قساة .

والله لسان أن يحقق على يدك الآمال وأن  
يتم بهدك السعيد فرحاً أدي التبتل الجيد  
والسلام عليك وروعة الله وبركاته .

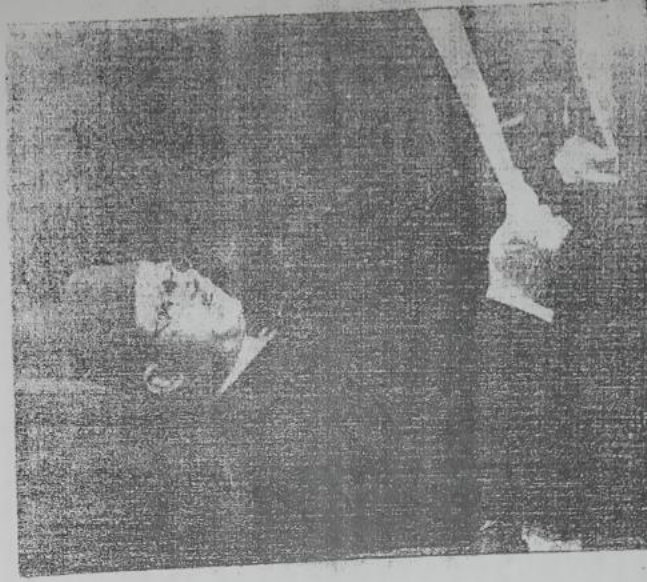
الثاقبة في ٢١ من جادي الأولى ١٣٨٥  
١٩٤٦ من أبريل  
الحسن

مسحه البنا

لرعه العام للاخوان المسلمين

النقراشي بطل الغلاف.. (٢ فبراير ١٩٤٧م)  
هي صورة من ثلاثة أخففة في أقل من شهرين.

الأخوة المسلمون



إلى الأمام..

ما هو دولة النقراشي باشا بعد سر سوره وكما طلبنا منه أن يسهل بعد أن يتكلم ، وما نحن مرة  
أخرى نقول له إلى الأمام واصل العمل ولا تفت في الطريق.. ١٢

## الطابور الخامس... مقال في الهجوم على الممارسة (جلة الإخوان المسلمون ٣١ مايو ١٩٤٧م العدد ١٥٤)

# الطابور الخامس

والهنا الملاحق... كان مصورا في  
تحت... وروى... لاسم...

وأن... على... في...

الانتماءات... في...

هذا... أن...

الوجه... في...

أخذ... و...

صريح... و...

الأمر... على...

دونا... في...

مع... في...

مروعة... في...

من... في...

من... في...

جاء... في...

وهي... في...

تعال... في...

المحكمة... في...

كاتب... في...

القلم... في...

المحكمة... في...

ونائب... في...

المجاهد... في...

لأن... في...

الحاكم... في...

ولكن... في...

بعد... في...

وقد... في...

تفشي... في...

صالح... في...

في...

أند... في...

من... في...

الأمر... في...

وإذا... في...

في... في...

لقد... في...

نولا... في...

وكانت... في...

وكانت... في...

فما... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...

في... في...







غضبية في سبيل الله. (مجلة النذير)

موقفنا النهائي من جمعية الإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير وباسم الزعيم الأعظم محمد سيد الأنبياء والرسلين نتقدم إلى إخواننا في الله معلمين تحت راية القرآن الكريم مدار الخلاف الذي استمر بيننا وبين الإخوان المسلمين في مسائل جوهرية تخص صميم الدعوة التي يابعتها الله على أن نمثل في ميدانها في غير هواذة أو ضعف أو لين مشهدين الله على ما نقول وهو نعم المولى ونعم النصير.

والإخواننا في الله نسرد بإيجاز أوجه الخلاف بيننا وبينهم مذكرين من عرفوا الدعوة آمنوا بها بأنها لا تنحصر في مكان ولا تتوقف على شخص ولكنها دعوة الحق، دعوة إلهاً واحد واحد وزعيمها واحد خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه. وهي مفروضة على كل مؤمن.

أوجه الخلاف:

١- الشورى:

يرى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين أنه لا شورى في الدعوة، وأن الدعوة إنما ينهض بها فرد واحد له أن يأمر وعلى الجميع أن يطيع. وقد خالفناه في هذا الرأي. وأصررنا على موقفنا لأن في رأى فضيلته مخالفة للنظام السياسي وتحدياً لمصدره العظيم الكتاب والسنة «فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر».

«وأمرهم شورى بينهم»

حاولنا أن نتفاهم مع فضيلته كثيراً فأبى إلا أن يكون رأيه الفصل ولو كان في ذلك إقصاء للمخلصين من الإخوان المسلمين. ثم عاد إلى التعلل أخيراً بأنه لم يجد في الإخوان من هو أهلاً للشورى وهذا ما لا نقره عليه.

٢- العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله:

من مبادئ الإخوان المسلمين أن لا نجاح للدعوة إلا بقوة الشعب الذاتية وتوجيه الرأي العام توجيهاً إسلامياً خالصاً دون الاعتماد على الحاكم ولكن الأستاذ حاد عن هذا المبدأ القويم

معلمًا أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت لوثتهم الحزبية وأخذ يسلك سبيلًا متفرقة ما يائسنا الله عليه «وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» متناسيًا ألا أمل للإسلام فيهم وأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله - والله تعالى يقول «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - الظالمون الفاسقون».

«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم

لا تنصرون».

«أيتقون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا».

عارضنا هذا بكل قوة مرددين أقوال فضيلته بأننا إسلاميون غير حزبيين وأنا نعمل لله ولرسوله لا لزعيم ولا لحزب مدعين هذا بخطبه في المناسبات الكثيرة وبمقالاته في صحف الإخوان - فأبى إلا العمل برأيه وأصر على المضى فيه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون».

## ٢ - القلاعب المالى:

طلبنا من فضيلته تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسؤولة أمام الإخوان المسلمين فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذى ندمه طلبًا عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة - وكان من نتيجة عدم الأخذ بهذا الرأى أن أنقضت أموال كثيرة لا نقول فى أغراض شخصية ولكن على الأقل فى غير الأغراض التى جمعت من أجلها.

فأولاً: على سبيل المثال. قد جمع فى عام ١٩٣٩م أكثر من ٣٠٠ جنيه مصرى قيمة اشتراكات سهم الدعوة وكان الواجب أن يكون نصف هذا المبلغ على الأقل بائناً فى خزانة الجماعة حسب القانون المالى لهذا السهم ولكن بكل أسف لا يوجد ملزم واحد من هذا المبلغ فى خزانة الإخوان.

ثانياً: على سبيل المثال أيضاً قد جمع فى خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة فى محنتها التى تجازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنبها مصرياً وما لا شك فيه أن هذا المبلغ يعتبر أمانة فى ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها لأصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم.

ومع ذلك فلم يصل لفلسطين من هذا المبلغ سوى ٤٦٥ جنبها على ثلاث دفعات أما باقى المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءاً كبيراً منه نفق فى شؤون الجماعة الخاصة ولا يرى فضيلته فى

ذلك مائتاً شريعياً ثم عاد وقال بعد أن سمع من أحد الإخوان حكم الشرع في هذا إنه مستند لجمع هذا المبلغ وارساله. والمهم أنه لا يوجد كذلك بغزاة الجمعية ملهم واحد من هذا المبلغ أيضاً.

#### ٤ - تطهير الدعوة:

أخفنا على فضيلته ورجونا غير مرة أن يحرص على طهارة الدعوة بإقصاء كل الأعضاء الذين تنوب أخلاقهم الشوائب ليسلم هذا البناء الذي كنا وما زلنا نفتديه بأنفسنا وحتى يسمو عن الطان والشبهات وكان من بين هؤلاء الأعضاء أشخاص اعترف بفضيلته في أحاديث متعددة بعد أن تبين من تحقيقات أبحاثها بنفسه بأن في وجودهم إضراراً بسمعة الدعوة من الناحية الخلقية، ولكنه أصر على إيقانهم فضلاً عن أنه أسند إليهم أعمالاً رئيسية وأخذ يشيد بذكورهم في رحلاته إلى الصعيد وغيره.

#### وأخيراً:

على هذا اختلافنا وكان موقفنا واضحاً جلياً لا غموض فيه.

وكان اختلافنا على المبادئ العامة فلم نلجأ إلى دعاية شخصية ولا إلى أساليب كلامية متخفين من محمد صلوات الله وسلامه عليه إمامة ومن كتاب الله الكريم منهجاً - هوجنا أشد الحاجة وعودينا أشد المعادة فلم نقابل العدوان بمثله بل كنا نردده قوله تعالى «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا أئماناً أئماناً ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين».

غير أن هذا الموقف الهادئ نفسه لم يعجب فضيلة الأستاذ - فقد أعلن وقد راعه تأييد الإخوان المسلمين الثورالي لموقفنا بأنه لا يستطيع العمل معنا على هذه الأسس التي تنتمسك بها بحق كل الاستمسك وبأبى بكل قوة أن يجيب على أى واحدة منها ولذلك فقد أعلن فصلنا من جماعة الإخوان المسلمين.

ولما كنا قد عاهدنا الله تعالى على أن نظل طوال حياتنا جنوداً للإسلام نجاهد في سبيله «حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» عاملين تحت راية القرآن متأسين بالزعيم الأول سيد الأنبياء وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولما كان الجهاد في سبيل الله والعمل معتمدين على أنفسنا ورض عن العمل لتحقيق المثل العليا التي نقر بها (ولينصرن الله من ينصره إنه لقوى عزيز) (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

ونحن إذ نسير في طريقنا في عزم وقوة مزودين بأعشق الأسس رائدنا الإخلاص ووجهتنا الله بمجهود كل شاب مؤمن يدين أن الغاية النبيلة مقبلين على تلك التي تعرفونها.

أيها المسلمون الأبرار في ميادين الجهاد والتضحية مترسمين ؟؟؟ المجاهدين والأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

#### التوقيعات:

- محمود أبو زيد عثمان: مدير «النذير» وعضو مكتب الإرشاد العام سابقاً.
- السيد عثمان المرافي مندوب شعب الأقاليم.
- محمد الحسيني: مندوب شعب القاهرة ومندوب كلية الشريعة.
- يوسف غنيم: مندوب شعبة أسبوط.
- علي سامي النشار: الفلسفة وعضو لجنة تحرير «النذير».
- محمد حسين: لجنة الطلبة والعمال العامة.
- عز الدين عبد القادر مندوب كلية الصيدلة.
- محمد عزت حسن: مندوب كلية الهندسة.
- تيمى حمزة فراج: مندوب الطب البيطرى.
- عبد المال رشدان: مندوب الفنون التطبيقية.
- راغب خير الدين: مدرس بالجمعية الخيرية الإسلامية.
- محمد حمص: المهندس بالقناطر الخيرية.
- محمود حسن جدامى: كلية الزراعة.
- حسين عوض بريقى: كلية الحقوق.
- أحمد عامر: كلية الحقوق.
- عبد المجيد النجار: كلية التجارة.
- محمد فهمى عبد الوهاب: الفنون التطبيقية.
- محمد على الملاوى سكرتير لجنة الطلبة والعمال العامة وعضو مكتب الإرشاد سابقاً.



رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على غلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٣ م

[illegible]

والملك إلى الشيخ الودي

## رسالة الملك إلى شباب الوادي

تفضل جلالة الملك جرياً على عاداته الكريمة بتكريم شباب الجامعة والأزهر بإقامة حفل لهم يقصر رأس التين العامر حياهم فيه يعطفه ثم قابلهم وأهدى كل واحد منهم هدية هي صورة جلالاته، ثم أذيعت رسالة جلالاته إلى الشباب وتسجلها فيما يلي:

### يا شباب الوادي:

يا مناط الأمل ومعدن الرجاء، وما كان للشباب هذه القيمة، إلا لأنه الفصل من العمر الذي نجيش فيه النفوس بأعذب الأمان، ونشتو فيه العوائم إلى الجليد من الآمال.

أنتم الآن في سن، هي سن الأحلام والآمال، فليكن لكم نفع في جماعتكم، وكلكم حرص على ما تتطلبه الجماعة منكم، فما استحق الحياة من عاش لنفسه فحسب.

إن العلم اليوم قد انفتح مداه، ولا تظنوا أنكم وقد تخرجتم في دور العلم قد نلتهم منه ما يروي ظمأكم، فعملوا لتزداد ثقافتكم سمة وعمقاً، وتزدادوا للحياة فهماً وإدراكاً لما فيه من جمال وجلال.

والتي حرص على أن أسمع من رجال البعث عنكم ما تروح له نفسي وترضاه لكم بلادكم، وإنا لنريدكم رجالاً أقوياء، لأن عصرنا هذا لا يعيش فيه إلا القوي، وأقروا القوة بالطموح، إذ لا خير في أمة تفقد روح الطموح.

ولكن لكم مثل أعلى في الحياة، فإنه هو الذي ينير لكم الطريق، ويثبت أقدامكم عند الشدائد، ويغرس فيكم حب التضحية، وإن مصر وهي تعلن حرباً شعواء على الفقر والجهل والمرض، تنتظر من شبابها المثقفين فتيات وفتياناً أن يساهموا في خدمتها حتى يؤديوا الرسالة الكبرى، رسالة الوطن القوي العزيز، وأن ينصرفوا إلى إعداد نفوسهم الإعداد الكامل، ويقيدوا الآراء المعوجة، التي هي وليدة تفكير غير سليم، حتى يكونوا كما قلت لهم من قبل: نارا تضيء لا نارا تحرق.

### أيها الشباب:

هذه رسالتكم وإنا لرسالة مصر لكم، مصر التي هي آمالنا وأحلامنا فانبضوا بها، وأدوها حتى أداها، فالإنسان الجدير باسم الإنسان هو من أدى واجبه وعرف حقه.

مصر الفتاة تتقدم (تحية من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم)

## مصر الفتاة تتقدم الصفوف

وهم يترجمونهم القوي، الطير يترجم  
أو ما عايناهم القوي، الطير يترجم  
أعداء أعدائنا ليسوا

إن معطي الزكوى رحمه الله،

وهو الذي جئت باسمه كتيبة مصر

الفتاة، كل من أشد فحاشا للفتاة

تقريبه، وقد طبع بأخلاقهم مبدأ

مصر الفتاة، : اختار كل ما هو

أجنى ونصيب لقوتيت حقيق

الجور، وفل عتقنا طير وشبه

طال بيت في لندن، ولقد شاهدت

بني وهو يسير مفرج الأرس

الفتاة، ولا عيب، كان الأمل

لأعزبون إلا من يترجم شبه

بلده هي سيرة معطي الزكوى

الزمن الصادق، والجماعة النيرة،

وكانوا أن يترجم شباب الفتاة

التي جعل اسم هذه السيرة الناطقة

حسبوا ولم يستأفروا لبل

إبليس عرو

## وشباب محمد ﷺ

سليطون ٣٣

ولقد تلقى الذكر العالم وكثير

من خطابات أخصاء الدرة بالعامرة

والأكامل، يتطلع فيها أصدابا

جلائل للجهاد في سبيل فلسطين،

وطالبون عنه الوسايل المؤدية إلى

تسليم سطرهم، وإل مؤلا يقول

حراسة إن الفتية الأربعة التي

عقول دون جهاد هي اللذة، وإن

مصر الفتاة قد استأضعت بتدليل

هذه الفتية، وكفعلت لفتوها

بمبارتهم في السمر، روى حال

٢٥ جنيا للرد الواحد، ومن

أجل ذلك قد بدأ شباب جديدا

كثرتهم توطئة لتدليل

محمد ﷺ

هذه الفتية،



(١٢)

مصر الفتاة تتقدم (تحية من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم)

## مصر الفتاة تتقدم الصفوف

لايسن وأنا أكتب حمله  
السطور إلا أن أداما تسمية شباب

مصر الفتاة، وتحية يسلمهم الأصداء

أحمد حسين، الذين عاجزوا في

سبل الله وركزوا أبنائهم وعشيقهم

جهادا في حسياسة، وبقا عن من

السلام والهدوء.

لقد طالت الفتيانيات الوطنية

والإسلامية في مصر، فعلا الأفاق

بدهوى الجهاد، والرغبة في

الاستكفاء، فاشادوا قاتل الاختصاص

الإلا الظاهر الواجبة، الأمم الفتاة

قد جهمت هذا الشيطان وأنتجت

أبنيا في مقدرة الشبان، وسارت

في مصر قبا القليلة في عدها الكثيرة

برحمتها ردا لفتاة، أقدام تاشد

إلى ميادين القتال، بل إلى ميدان

الجهاد الإسلامي الأكرم.

حقا لقد اعتشنا في اللحن مع

مصر الفتاة بمصر الأحرار والحرية

ومادنا عند رأينا بترحمنا الحرص

على آداب الإعلام وشالته،

باعتبارها أعظم جهنم لفتة الأمة

والحصول على مصر الله.

ولكن لايسننا ونحن نرى

القتل القسري لإعدام رئيس مصر

الفتاة، ويجتروا، إلا أن نيسن

جمعة جديدة في يوم قناتهم، وإلا

أن تلن بتدري بالهد الروح الصادقة

ولاخره، فإن الجهاد يصعب عليه.

ولنا لند من الله من الأحمق

أن يترجم في جهاد، وأن يعطهم

سالمين لأوطانهم فأخرج مصر إلى

مثل هذه الروح الصادقة.

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

وإلا

(١٣)

تمهنة إلى الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨م



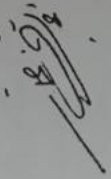
تقرير عبد الرحمن عمار إلى النقراني باشا  
«صورة هذا التقرير بحوزة حفيدة النقراني باشا د. هدى أباطة،  
ونشره بإذن خاص منها، فلها كل الشكر»

(١١)

عمر الليلة الشيخ حسن البنا إلى دوغان وزارة الداخلية وطلب تقليصا  
بمجة الانضمام إليها بأمر طاعة عروب في إيلائها فوراً إلى طاعة صاحب  
الدولة رئيس مجلس الوزراء ، علماً بأننا قد علم أن الحكومة  
أصدرت قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين أو هي في سهل اعداد هذا  
القرار وأنه يريد أن يجمع إلى دولة رئيس الوزراء بأنه قد تولى بها  
على ترك الاحتفال بالشئون السياسية وقصر نشاط الجماعة على الشؤون  
الدنية كما كان الحال في بداية قيام جماعة الإخوان المسلمين وأنه يريد  
كل قلبه التعاون مع دولة الرئيس معاً وطناً وتأييداً للحكومة في كل الأمور  
وأنه كمثل يوجه رجاله في كافة الهيئات بالسيرة على خفض هذا الانضمام  
كما أمر به من أسلف لنا وقع من جرائك إركانها انضمام مع أنهم اعدوا  
على الإخوان المسلمين وراح يترحم على سليم زكي باشا قائلاً أنه كان مدنياً  
صعباً له وكان عليها صالون وعقل وطاقم طم - ثم تكلم بأدب دولته  
للخوفاً بأنها قائلاً أنه على يقين من طاعته وحرصه على خدمة وطنه  
ودعاه في كل الأمور - وأنه لو تمكن من طاعة دولته بعد أن دخلت حيطان  
لم يأنس فيها بسبب طيبة لأمرها للوحدة لأتبع دولته بأنه من صالح  
الحكومة والامة كما أن يقين للمسلم العلم الذي يبعد الإخوان المسلمين  
عن طوبى في قضايتهم كما قال أنه يترحم على بل ويزيجه ويؤلفه  
أن يمار هذا الصبح على يد دولة الخوفاً بأنها للمرحوم على عدة بيلاده  
ثم قال أنه إذا قدر أن يصفى الحكومة في ما استمره من حل للجماعة  
فانه يؤكد أنه ورجاله سوف لا يصدر منهم بادرة صكر متو الأثر إذ لا  
يسلم على مثل هذا العمل إلا يجهون كما أكد أن الحكومة لو صالوت معه  
لمس للبلاد أسداً شاملاً .



وختم حديثه بقوله انه على استعداد للموت من اجل جماعة الانصار المسلمين الى قوامها بعيدا عن السياسة والاحزاب متوفرا على خدمة الدين ونشر تعاليمه. بل انه يتنى لو استطاع ان يعتكف في سجنه ويقرأ ويؤلف مؤثرا حياة العزلة ثم جعل على بكاء شديد ويقول انه سيهرب الى مقبره في انتظار تعليمات دولة رئيس الوزراء داميا له بالنفس والتوفيق . ولعل الاضحية



٨ ديسمبر ١٩٤٨

التناس البناء إلى جلالة الملك.

«صورة هذا الاتفاقيات بحوزة حفيظة النقراشي باشا د. هدى أباطة،  
ونشره بأذن خاص منها، فلها كل الشكر»



بسم الله الرحمن الرحيم

١١

سرى

=====

١٦٦٦

ممنون صاحب المدة محمود زكي بنفراشي باشا

نائب مجلس الوزراء



( ١٦٦٦ )

( ١٢ )

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

أشرف بأن أبعث لديكم مع هذا - بالاحالة - بالتمساع  
تلقاه الديوان من فضيلة الشيخ حسن البنا ، المرشد العام  
للأخوان المسلمين .

وتغفلوا يا صاحب الدولة بتقبل أسس عبارات الاحترام ...

رئيس ديوان جلالتكم  
عبد الرحمن

في ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨

البيان التاريخي - الانوار - مصر  
دم العبد :

تحريراً ١٠ أغسطس ١٩١٨  
١٠ أغسطس ١٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الانوار - البيان  
المشرك الصالح

شؤون : ١٩١٨ - ١٩١٩  
مصر :

خسرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادي النيل حفظه الله !

أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أولاً صلى وأسلم على سيدنا محمد حاتم  
النبين وألم العقين وأحيى حدة جلالكم المجدبة بحمة الإسلام باللهام عليكم  
ورحمة الله وبركاته متبوعة بأصدق آيات الاحلا مبرأاً خلس معاني الزوال .  
يا صاحب الجلالة !

لقد حرمتا شعرات جمادنا في فلسطين اوكدنا لا لخصف في جيشنا ! و  
نمادل في تقص في عددنا ! وجهال برا جونا ولكن لنمك السهامة القردة  
في الحرب المارمة وندخل رشمير الحكومة في شتون القتال وتردده في مواجعة  
الوقوف بمناقضتهم ! الى جانب الرشا الأخرى التي لا بد لنا منها ولكن كان لسي  
وسع الحارم اللوق والقوى القل أن يفتح بها ويغفد منها .

ولقد اغرد الحاك الممل بالمثل في السودان بنقد فيه سياسة بريطانيا  
الرسومة وحفظها الانسانية الملوقة وأخذ يوجه الى مسر اللقطة بعد اللطاسة  
ويقتد من برماجه الحظوة نلو الحظوة والحكومة المصرية تند له في ذلك وتشجعه  
على الضي فيه بسياسته السلبية ومومسن في عذرائه حتى بلغ به الأبرأ حسيرو  
الى أن بلغ بمتة الحاملين من اداء واجهها وجبن على لسان رجاله ان مسرسي  
والسودان في آخر كل هذا جند والحكومة المصرية لم تفعل شيئاً بعد .

والسالم كذا الآن يا صاحب الجلالة نعلي مراجله بالأحداث الحسام  
والحضور العظم ربحادي آفاته كل حرم شأن جند لا يفرى أبداً دولاً  
الترابي يا صاحب علي ان يفتتح يا عبا الترفيد بما حففت كرامة مسر وحسور  
حقوق هذا الوادي الجيد الصالح . والترافة وطمارة اليد لاشككي وحدها لواجبة  
هذه العورات الملا حقة من أحداث الزمن ومضلات الفتن .

وفي وسط هذه اللبنة من الحوادث الجسيمة التي نسل جانوس الوطسن  
ومستقبله وكياته في الصمم يملن دولة القرائتي بادنا الحرب المارمة المانسة  
على الامران المسلمين .

لعل بالأمر المسكوي بضم تتمهم

السوان الثورال : الاخوان  
رقم البدي :

سم الق الارض الرسم

الانوار اليانور  
المركز العام

شورن : ١٩٧١ - ١٩٧٢  
موس :

نوراني

(٢٢)

ويعتقل مبرهه السلطة نفسها بدون انهم اذ ينفق سكرتيرهم العام وبعض آهيا  
هيتهم ربا مرالوزارات والمصالح المختلفة يشترط المورثين الذين يتصلون بالهبة  
ولوياليعتبر ان في أقسام البرر العدمه الاجتماعية تلغوباً أ وتلغز اميا الى الأياكن  
الثانية والمها وهج السحقة وما عليهم ان يتلقوا مدد لان تسان المورثف المورثف والمورثف  
ولكن مدور هذه التقلات في هذه المورثف القاسية التي يتحمل معنى الانقسام والانهل  
يخرج المدور وتثير المورثف وتسي المورثف في تثير المورثف ومورثفهم على السرا  
ويعتقد المورثف العام أ مرم. يتعطل جرمهم المورثف الى أ جل ميرمسي  
بحجة لا قيمة لها ولا دليل عليها بل انه لو صحت الأ وضاع لكان للمورثف ان يوالمد  
الرقيا أ تبد المورثف بمر المورثف منها ويستقيم مصها وعدم ااصامتهم الى شكها بأنها  
الملا حقة .

ويخرج على الأموال والشعاع قرار حل الهيئة وبعيد الحكومة لكن مسر  
اتصل بها بالويكي والشور وعشان الأمور .

وأخيرا يحاول دول رخص العلومة ان يلقى بالاخوان تهمة الخواات  
الأخيرة التي لم تكن الا مدى لهذا المدور ان من الحاكم في السودان ولجهااد الخواات  
السودانيين في جنوب الوادي. ويلقى عليهم تهمة هذا الحادث الأ سيف حادث مسر  
حكمدار المصاصة الذي كان المركز العام للاخوان المسلمين أول من أ سق له وثام  
سنة اذ كان رحمه الله معروفا بمسطله على حرمهم ودلفهم عن هيتهم ومورثفهم  
الطبية في ساعات الحسن الى حاتهم مع حركة في العمل واحسان في التسرف .

وحاول دول انه ان يشرح لهم انه الحرب التسموية بتحقيقات لم يته أ مرمها  
بعد ولم يشر فلهما التهم من البري الى الآن وان كانت وزارة الداخلية في بلاعها  
المورثف قد حالف أ مرمها وسقت كلمة القضاء وأ علنت على رؤوس الأ تيهاد انهم  
الأ مرمها .

بما صاحب الجلالة

استمع ان أ مرمها في هذا الكلام الكريم فأقول ان هذه المجموعة من الاخوان  
المسلمين في وادي النيل هي أ أشهر مجموعة على غير الأ رضى لنا سريرة وحسن  
سيرة واحلا صالحة وللوشن وللجالس على العرش في كل كفاهم في سهيل دنوة لا



البيان التفصيلي للأحكام

رقم العدد :

١٣١  
١٣٢

تجريباً

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣٦)

الافتتاحية  
المكررة

الافتتاحية : ١٣١٩ - ١٣٢٠  
عموم :

نصرح أن هذا رسم الإسلام الحنيف قيد شعرة وأنهم حكم إيمانهم وسماهم  
ونظامهم وانتشار دعوتهم بكل ملأ في الداهل والخارج أن فضل قوة معتقد عليها  
من يريد بهذا الوطن الحبيب ويتولى التقدم والتأخر وأكسب رقة في سبيل  
كل عامل لحبر البلاد والعساكر وأن تعظم دعوتهم والقضاء عليهم وهو ما تستخدمه  
الحكومة إذا أرادته وعملت عليه ولوني ما جرد إلى حين بما في يدهما  
من سلطان عسكري وما يملكه من قوة رسمية ليس من السلطة في شيء بل هو قدس  
على ماسة هذا الوطن العتيبة وقيل للبيعة البالية من روع الأحرار والجسد  
والاستقامة والشهامة على أن نقاد هذا الوقت في مثل هذه الظروف والخصائر  
مضمونة ولا مبرر في ذلك لأنهم يدعون دولة رئيس الحكومة بهذه المهمة  
وحيث هذه المهمة الصعبة أمام الله وأمام الناس وفي السراج الذي لا ينسى ولا  
يبرح.

يا صاحب الخلافة

إن الأعداء المسلمين باسم تعصب وادنى البهبل كله يلوذون بعزيتكم  
ويستجيرونكم ويعدونكم بمعصيتكم وهو أفضل معاذ المسلمين أن تفصلوا خلافتكم  
بتعصب الحكومة إلى مع استواب آراءها قائم من أضاء الحكم لغيرهم بها من حصر  
أدرك على حيلها ولعلنا لكم التأييد الأعلى والله نعلم أن من علم عليكم تعصبه  
الآن يهدد بإفتراسكم واستسلام عليكم ودرجته الله وبركاته .

الملك

عليه السلام

المفتي العبد المذنب

حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - القمصن سر جيوس - المئارة المصرية

## حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - (٣)

بعد أن سلج هيوته بعلم الحكومة !

يقول الشيخ السره حسن البنا في تفسيره لسورة التوبة:  
وأهل الكتاب يقتاتون كما يقتات الكفرون تماماً إذا  
اعتدوا على أراض الإسلام وأصول الدين القشار دعوتهم... وأنا  
أهل الكتاب ندمت فني تهديداً بآياتي ودموا بها فقد وجب  
أن يرض عنهم كسيف ومثلهم في ذلك الجحوش والعابثون  
والشركون من غير العرب والوثنيون

لأنهم أيا الناس كيف أن شيخ السره يسوى بين أهل  
الكتاب وبين اليهود المصكين والوثنيين في قتالهم وأخذ  
الحرب منهم ؟ وهو إذ يقول هذا القول يخالف آيات القرآن  
التي تحرم أن تجمل وتؤاخذ طائفة من أهل الكتاب وتغريم  
من المشركيين لأنهم أهل الكتاب وبمعهم بعض  
جاء في سورة آل عمران : « ليسوا سواء من أهل الكتاب  
أمة واحدة يتلون آيات الله قبل أن يفرحوا وهم يسمعون يؤمنون  
بأنه واليوم الآخر وأمرؤ بالمرء ويؤمنون عن المنكر  
ويؤمنون في الحيات وأوتوا من السماطين » . وما جاء

في سورة المائدة قوله : « ولصعدن أحد الناس عدواً للذين  
كسروا اليهود الذين أشركوا » ولنجعل أقرهم مودة  
لذين آمنوا الذين آمنوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين  
ورهباناً وأولئك لا يتكلمون » . بل هناك في القرآن  
ما يسوى بين سوانل القصارى وبينهم وبين مساجد  
المسلمين قوله : « ولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدت  
سوانل وبيع وصولات وساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً »  
هذه نظرة القرآن إلى نصارى أهل الكتاب نظرة لا

يجوز للشيخ حسن أن يطرأ إلى أهل الكتاب نظرة إلى  
المشركيين والوثنيين ؟ ولكن لا عجب إذا عالج الشيخ  
حسن البنا آيات القرآن الكريم وراح يفسرها حسب  
مواهبه تفسيراً يخرجها من معناها في قد سبق وألقى لمعالجة  
سورة مائدة : « بأن التوبة والمعرفة والبراءة من قبل الأمم  
والانهاط من قبل مشن المسلمين » الأخر القتي المستحق  
لأهله معذات علماء الإسلام الذين مالهم جرأة هذا  
الخلق المشتهر بالدين والإخلاص فراحوا يثلثون على

صفحات جريدة النداء التي نقلنا عنها اقوال - - - بعة من  
كبار العلماء في عهد المئارة السابق وفي مقدمتهم «فتية  
مغنى الديار المصرية» الذي قال عن حسن البنا الذي ألقى  
هذه الفتوى القوية : « بأنه أحق بدين نفسه بدينه » قبل أن  
يدينه الآخرون »

لا عجب يا شيخ السره ان تشييع علماء الأقليات  
وأموالهم بقتالك وقد استنعت الأحرار والشرف

والفتية تقديماً ذائع تحت رجل مسرك ما يدين  
ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التي نشرنا  
مشك في الصحف ما يجعل المسلمين في بلاد الشرق أش

يعبروا بأنهم أمة عرض بالخطأ ويدعوا فتاوى تفسيرك  
تحت مولاهم ناعلم . لا يستمعوا لك في ما تقول أو  
تعرض لأنك أصبحت غير ذي نفوذ في أمور الدين بعد أن

اختلعت الدعوة إلى الخير وحسية لإرتكاب الجرمات وهو  
من أشد ما عنته الدين الأمر الذي فيه تسخير الظاهر البقي  
لأصول على الشهوات وهو باب في الوقت نفسه من أبواب

إفساد الأخلاق كما جاء عنك في رأي فتية الأستاذ محمود  
شلتون عضو هيئة كبار العلماء

وإنا نسأل الله التي أطمع جماعة الإخوان المسلمين حتى  
اكتشفوا دجلك وتبرجك وشروك ومغادرتك لظلمنا

برأيتك منك وكشفوا الناس عنك عنك وقطعتك بصور  
زكوة غريبة عجزت عن الرد عليها مع ما فيها من فضائح  
كانت كافية أن تعصيك إلى مائة سبعة . كما أطمع الشعب

المصري أن يأتى إلى علماء الدين الإسلامى يستفتيهم في  
أمرك وفي فتاواك فلم يشأ أحد أصحاب الفتية عن أن  
يردوا عليك ويتبعوا تسخيرك ويجردوك من كل روح

دينى أو أدبى أو أخلاقى

إنه كذلك أن يلهم الحكومة المصرية ان تتبرأ منك  
ولا تساعلك على القيام على وجيلك بعد أن هدمت أعمالك

ودرى يعلم للمصري بأقاصيك إلى خراب حدود ومأمورة  
تعود بدماء السلام بين الناس إلى عارها وبدم كل إنسان  
أن للكنانة رأياً بملك كل من يفسد دينه بدينه بدينه بدينه  
بدينه ( ينتج )









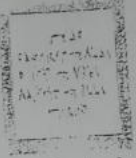
سلامة موسى والإخوان



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

الإخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين



## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة.....
١١	الفصل الأول: صعوبة الكتابة عن حسن البناء.....
	الفصل الثاني: أول لائحة تستبعد السياسة نهائيًا وفي الثانية صارت السياسة الأصل.....
٢٣	الفصل الثالث: التكفير في تعاليم المرشد.....
٣٣	الفصل الرابع: طريق الدم.....
٤١	الفصل الخامس: حرب فلسطين.....
٦٥	الفصل السادس: القمص ودولة عم حسن.....
٨٣	الفصل السابع: الجليل السعودي.....
١٠٧	الفصل الثامن: إلى السفارة الأمريكية.....
١١٧	الفصل التاسع: حسن البناء والملك فاروق.....
١٣٥	الفصل العاشر: نقيض الأفغانى ومحمد عبده.....
١٤٧	الفصل الحادي عشر: أنا الدعوة والدعوة أنا.....
١٦٣	الفصل الثاني عشر: من الشهيد ومن القتل.....
١٧٧	الفصل الثالث عشر: الغرق في بحيرة العسل.....
٢٠٧	الملاحق.....
٢٢٣	

# حسني البنا

الذي لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" يأنف لأم التعريف، وهو اللقب الذي وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا أنصاره هو كذلك .. الرجل المهمل .. النوراني .. الرياني .. القُراني، وهي صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من إن القُداسية والعصمة.

في المقابل أطلق خصومه حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين" والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع الوهم والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

تري أين يقع حسن البنا بين هذين التقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أم راسيوتين؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حول، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظيم .. والفعل عنده يستلزم اليقظة ويتقدها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقربوا منه أو تعاملوا معه.

MADBOULY BOOKSHOP

مكتبة مديوني

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

# حسنى البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" بألف لام التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني .. الرجل القرآني، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصومه حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين"، والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والفساد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أمر راسيوتين ..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظيم .. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقتراباً منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مدبولي

MADBOULY BOOKSHOP

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ج ١ (١٤١٩هـ)

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com



# حسنى البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" بألف لاهم التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني .. الرجل القرائي، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين"، والمعنى أنه عندهم رجل الشroud والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أمر راسيوتين..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تفكير.. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقترابوا منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مدبولي

MADBOULY BOOKSHOP

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com